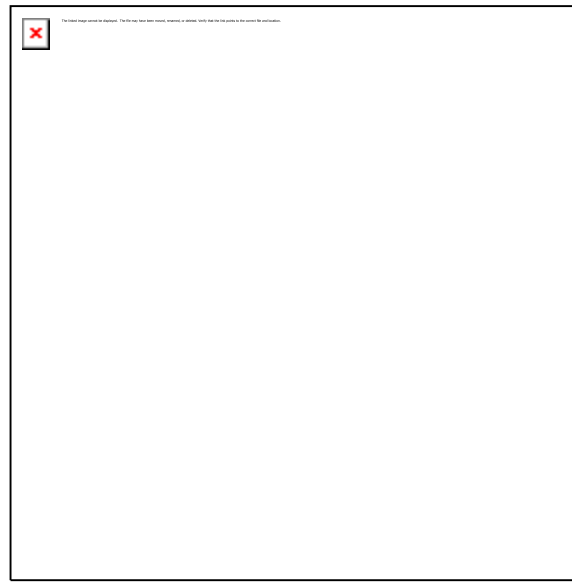

@MadrastAlwahy

هو العليم

السعادة الأبديّة

شرح إجماليّ لوصيّة

أمير المؤمنين للإمام الحسن المجتبى عليهما السلام

في حاضرين

تأليف:

السيّد محمّد محسن الحسيني الطهراني قدّس سرّه

ملاحظة من إدارة الموقع: هذه نسخة أوليّة لم تطبع بعد،

ولكنها نشرت لاستفادة المؤمنين طلاب الحق و الحقيقة

ةمّدقملا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ والثناء اللامتناهي لذات الذي لا يزال كما يليق به، الذي جعل الشرع المبين على أساس الحكمة البالغة للتكوين هاديًا ومُرشدًا لأبناء البشر، من أجل أن يَفِدوا من مأزق الإجمال والاستعداد إلى منزلة الفعليّة والشهود، ففي هذا السير، يُرشد الواصلون إلى منزل المحبوب والذين ذاقوا زلال المعشوق، التائهين في وادي الحيّرة، والعطاشى المتوغّلين في الكثرة إلى المنزل المعهود، فيُساعدونهم على الوصول إلى مرتبة المعرفة والتجرّد عبر الموازين الرصينة والقوانين المتينة والفطرة النقيّة والضمير الطاهر الإلهي والعقل المستنير بالأنوار الساطعة للنشأة الربوبيّة. وكما يقول مولى المتقّين:

فبَعَثَ فيهم رُسُلَهُ، وواتَرَ إليهم أنبِيائَهُ، ليَستأدوهم ميثاقَ فِطرَتِهِ [التي أودعها فيهم فيما يتعلّق بالتوحيد ويُذَكِّروهم] واإلقرار بربوبيّة الحقّ وعبوديّتهم له]، ويَحتَجّوا عليهم [من خلال الحجّة والبرهان] بِالتَّبليغِ [للبنايي مَستيَّ نِعمَتِهِ [من الاتصال بالمبدأ الربوبي]، ويُثيروا لهم دفائنَ العقولِ [حتّى وألصول المعرفة]، ويُروهم آياتِ المقدرة بالضربِ والمخوفِ من سطواتِ النقمِ وبثائرِ النِّقمِ، ويتلبوا عليهم بالكائناتِ من الرغدِ والبرغدِ والنعمِ، ويذكروهم مكتنكشف لهم حقائق عالم الوجود، ويتّصلوا بمرتبة العقل الفعال ويحصلوا على دولة المعرفة]...»[1]

وكذلك أفضل الصلاة على الروح الطاهرة المطهرة لحامل لواء ساحة التوحيد، الراكب الفريد في وادي التجريد، وخلاصة جوهرة الوجود، وثمرة تكوين الرب الودود، وخاتم السفراء المقربين، وغاية تشريع الأنبياء والمرسلين، محمّد بن عبد الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الذين فتحوا طريق السير إلى الله والتمكّن في ذات الأحدية أولئك الذين يبحثون عنها من خلال بيان الحقائق وقائق الدقائق، فأضحت

---

[1]. نهج البلاغة (عبده) ج ١، ص ١٣.

الكلمات العربيّة لهؤلاء العظماء كالشمس الزاهرة

كم تمنّت ظلمات وادي الحيرة ومحقت سواد مهالك

الجهالة، وأشعلت نور الأمل في قلوب الضائعين

والحيارى من أبناء البشر، وبشّرت القلوبَ الواهمة

والضائعة في الكثرات الدنيويّة الدنيّة بتألّؤ البوارقُ

القدسيّة النابعة من مبدأ الأنوار الربوبيّة.

﴿قَدْ جاءكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾.[1]

الحمد والشكر لله المتعال الذي جعل من نصيب هذا الحقير التوفيق لترجمة أحد أهم آثار أهل بيت العصمة عليهم السلام ونشره، يعني: وصيّة الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام في حاضرين؛ وجعلني فخورًا بتحقيق أمنيتي لعقودٍ في نشر هذا البيان المُعجز الذي نشأ قطعًا وتحقيقًا من مصدر الوحي، فعلى الرغم من أنَّ أمنية الحقير وبيّنه كانت في أن يُدوّن شرحًا عليها وفقًا لفهمي القاصر وعقلي الفاتر، إلا أنَّ كثرة المشاغل وتراكم الشواغل كانت مانعًا من حصول مثل هذا التوفيق، لذا اكتفيت بهذا المختصر، مقدّمًا إياه لعُشّاق المدرسة العلويّة وللمأسورين بالجمال السرمديّ مصحوبًا ببعض التوضيحات والتعليقات.

وبعد عودة الدنا المرحوم العلّامة الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني ـ قدّس الله سرّه ـ من

---

[1] ١٦. سورة المائدة (٥): ذيل الآية ١٥ وصدر الآية

النجف الأشرف قام بشرح هذه الوصيّة وتوضيحها للرفقاء في أيّام الجمعة، وقد اهتمّ بشدّةٍ بمضامينها وحقائقها ووصاياها، وشوّق الجميع لقراءتها والتدبّر في عباراتها والتعمق في دساتيرها، وكان يرى الاهتمام بالعمل بها، تكليفاً شرعيّاً وأصلاً وأساساً لحركة السالك نحو الله، وقد قال في وصيّته ما يلي:

لقد كنت أريد كتابة وصيّةٍ مفصّلةٍ تحتوي على مجموعةٍ من المسائل الأخلاقيّة المهمّة، إلّا أنّني رأيت أنّه مع وجود تلك المطالب العالية والحقائق السامية التي كتبها أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بحاضرين، والموجودة في نهج البلاغة، فإنّ الحديث عن الآداب ومكارم الأخلاق سيكون بعثاً على الخجل.[1]

بيان كافة جوانب الحياة السعيدة ومستلزماتها في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

لقد اهتمّ أمير المؤمنين في هذه الوصيّة ـ التي يصحّ تسميتها سبيل الفلاح أيضاً ـ ببيان كافّة جوانب الحياة

---

1. مطلع أنوار [فارسي]، ج ١، ص ١١١.

الاسعيدة الاموفقّة ومستلزماتها في جنبتيها الادينويّة والأخرويّة والاشخصيّة والإجتماعيّة من أجل الوصول إلى نقطة الكمال؛ وقد وضع دستورًا عمليًّا وبرنامجًا مدوّنًا ومبوّبًا في مجال الأمن والاعتدال الاجتماعي بنحوٍ واضحٍ وجليّ،

وذلك من خلال إشرافه الكامل والولائي على سرائر النفوس البشريّة وأسرار الحياة اللطيفة الإجتماعيّة، وعلى رموز السير في مراتب الفعليّات الإنسانيّة وتحصيل السعادة في الدنيا والآخرة باللحوق الأتمّ. وكأنّما هذه الشخصيّة المتميزة في عالم الوجود كانت ترافق كلّ فردٍ من أفراد البشر منذ بدء خلقة الأفلاك والأرض والزمان ومنذ نشأة بني آدم، فكان مطّلعاً على سرّ كلّ فردٍ منهم، وكان له حضورٌ عينيٌّ وشهوديٌّ في كافّة الأحوال وتبدّل الأحداث، فيضع ثمرة ونتيجة هذه التجربة الناذرة بين يدي أهل المستقبل، وعطاشى سبل السلام، وحتّى بين يدي الباحثين عن طريق الأمن والصلاح الدنيوي، وعلى الأخص في الزمن الحاضر؛ فلا يقتصر وجوب اتّباع منهج الإمام والانصياع له ولدستوره بشكلٍ دقيقٍ ومتطابقٍ مئةً بالمئة على الذين نظموا مسير حياتهم اللطيفة بناءً على محور تعاليم الأولياء الإلهيّين والحقائق الوحيانيّة والذين لم يضعوا غايةً لهم أو مراماً سوى لقاء الحقّ

وفرع حجب ما سوى الله وتحقّق حقيقة العبوديّة المحضة، بل حتّى غير الملتزمين بمباني الشرع من سائر المذاهب والملل والمنكرين لأصل الدين والتشريع ووجود الصانع والخالق أيضاً فحتّى هؤلاء إذا أرادوا أن يعيشوا بأسلوب عقلائي ومنطقي وفي أمنٍ وطمأنينةٍ تامّةٍ، وإذا أرادوا تحصيل الأمور المشروعة والمنطقيّة الإنسانيّة وحقوق المواطنة بالنحو المطلوب بعيداً عن القلق الاجتماعي والمتاعب الفرديّة، ينبغي لهم العمل بهذه الوصيّة والمسائل الذهبيّة التي توجيهها.

التمدن المنقطع النظير وجاذبيّة الغرب الساحرة لا ثمرة له سوى الضحالة وانهيار مبادئ الحضارة

وقد تمّ الإقرار بهذه النقطة في المجتمعات الغربيّة في أيّامنا هذه، وهي أنّ المسير الذي تمّ تبنّيه في العلاقات الاجتماعيّة في الغرب، هو مسيرٌ منحطٌّ ومنحرفٌ عن الحاجات الإنسانيّة وأهدافه العاليّة، إذ لم يكن للحضارة المنقطعة النظير والجاذبيّة الغربيّة الساحرة من ثمرةٍ سوى الضحالة وانهيار العلاقات الأسريّة ومبادئ

الحضارة المتعالية، ولم يكن لها نتيجة سوى الذوبان في الماديّات ونسيان مقاصد الحياة.

يقول **ألكسيس كاريل**[1] حول هذا الأمر:

ليت أنّ حضارة الغرب عملت على تربية الصفات الباطنيّة وإحيائها، وليتها اهتمّت بتقوية جنباتها المعنويّة الوجوديّة، بدلًا من الاهتمام بالتطوّر التكنولوجي والوصول إلى رموز الحياة الظاهريّة، كي لا تخسر هذه الخسائر المعنويّة، ولا تبتعد كلّ هذا البعد عن المراتب العليا من القيم.[2]

بالطبع يجب أن لا تغفلوا عن هذه النقطة، وهي أنّ العلّة المهمّة والرئيسيّة لميل الغرب نحو الجنبة الظاهريّة من الحياة والمسارعة بهذا النحو السّاحر نحو المراتب العالية من التكنولوجيا والتقنيّة نابعٌ من الإحباط واليأس من الامتثال للتعاليم المسيحيّة وأسلوب التبليغ المتبع من سلطة الكنيسة التي لا مئات سلها، فأدّت

---

[1] Alexis Carrel

[2] مقدّمة: [الإنسان ذلك المجهول] الإنسان موجود ذو شخصية

هذه المسألة إلى ظهور منهج التفكّر كما برزت الحاجة إلى النهضة وتجديد الرأي في معتقداتهم.

ومن وجهة نظر الحقير، رغم أنَّ الابتعاد عن جو الكنيسة وعن الارتباط برجال الدين المسيحيّين أدّى إلى جذبهم ناحية منهج اللاأباليّة والحريّة الجامحة وسقوطهم بعيداً عن الشأن والمقام الإنساني، إلّا أنَّ نفس قطع التعلّق والارتباط بجوّ المسيحيّة الكاذبة المليئة بالذهب والزور والتزوير كان طليعةً مباركةً للحركة نحو العقلانيّة والارتباط بالموازين الفطريّة والأصول القيّمة لبقاء النوع البشري.

مخاطر ظاهرة ترك الدين المدمّرة وغير المباركة

لا يُمكن لنا مقارنة ظاهرة ترك الدين غير المباركة والتي تُمثّل آفةً مدمّرةً، ولا يُمكن وضعها في كفّة الميزان ومقارنتها بأيّ خطرٍ من الأخطار والآفات والعقبات التي تعترض طريق حياة الإنسان الآمنة.

إنّ الفطرة الواعية والعقل المتّصل كوديعة إلهيّةٍ في نفوس البشر لا يُمكن جعلها في خدمة الميول

والرغبات الحيوانيّة والمضادّة الإنسانيّة والمضادّة للقيم المعنويّة بأيّة حيلةٍ أو وسيلةٍ كانت. بل لا يُمكن وضع ستار على نضج تلك الفطرة وخلّاقيّتها في إبداء مسير الرشد والصلاح إلّا من خلال تزيين المقاصد الخاطئة والمخالفة للصواب، ليُواصل الإنسان طريق المعصية. وحتّى في أكْرهِ صور الجناية والقسوة وأكثرها بشاعةً تستمرّ الفطرة والعقل المودعتان لدى المرتكبين، فتبديان لهم الصورة الكريهة والقبيحة للظلم والفساد، فلا تتبرآن من أداء مسؤوليّةِ إبداء الحقّ من جانب الله ولا تتجلسان جانباً.

ولكن حينما تستغلّ الرغبات الحيوانيّة الدنيّة والشهوات والميول الشيطانيّة الوقحة والكثرات، وحينما تستغل أدوات الدين من أجل الوصول إلى الأهداف [الدنيويّة]، وحينما تُخفى النوايا القبيحة في طيّات التعاليم الدينيّة والمبادئ الاعتقاديّة، عندها يُمكن لهذه المسألة أن تتحوّل إلى تهديدٍ لأسر وأن تُحرق الدين والديانة بالنسبة لعموم الأفراد الذين علمهم قليلٌ

واطلاعهم على مباني الشرع محدودٌ وعقائدهم ومفاهيمهم وعقولهم تتضمن خطرًا للمجتمع؛ فينبغي أن تحذّرها الناقصة في مستنقع مطامعهم القذرة، وأن تستخدمهم.

وغرم أنّه يُمكن أن نُشاهد هذه الفاجعة بشكلٍ أو بآخر خلال عصر نبوّة الأنبياء الإلهيّين، حيث كان تدخل أرباب الكنائس والمعابد في الشؤون الإجتماعيّة للناس عبر استخدام التعاليم الدينيّة واستغلال معتقدات الناس أمرًا ملحوظًا وملموسًا، ولكنّه كان بصورةٍ صارخةٍ وصريحةٍ وواضحةٍ ودون أيّ تخفٍ أو تستّرٍ بعد ارتحال النبيّ الإسلام عن طريق غصب الخلافة من صاحبها الأصلي والهجوم على بيت ابنة رسول الله وحرق باب منزلها وتخريبه بحجّة البيعة لخليفة المسلمين وقتل ابنة رسول الله وإسقاط جنينها وإخراج الأفراد المتحصّنين في البيت ومن جملتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وجرّه إلى المسجد وإلزامه بالبيعة بالإجبار والإكراه، فكشفوا عن أوجههم الكريهة المشؤومة.

المضار الناتجة عن استغلال عقائد الناس الدينيّة

إنّ إساءة استغلال عقائد الناس الدينيّة لعدم اطلاعهم الكافي على محتوى الدين واستعمال الأدلّة

واللحُجج التي يقبل بها العوام، مثل: مخالفة إجماع الناس وفق مصفوفة المسلمين، وإيجاد التفرقة والصدع بين المسلمين الملتحدة، وإيجاد الخلل في نظام وأمن المجتمع، وأنّ الخليفة المنتخب من قبلهم هي امتداد لحكم الإسلام وخلافة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومحاربةٌ لله ورسوله، والارتداد عن نهج الإسلام ومسلكه، وإيجاد الشكّ والشبهة في المعتقدات الدينيّة وعقائد الناس، وإضعاف أسس النظام الإسلامي، والتأسيس لتدخّل الأجانب في الأمور السياسيّة والداخليّة للدولة الإسلاميّة، والارتباط بالأعداء خارج حدود ثغور البلاد الإسلاميّة، والتواطؤ وتهيئة الظروف لتغيير الحكومة الإسلاميّة، فهذه كلّها من ضمن الحُجج والذرائع التي كان يستغلها الحكّام الغاصبون والمنحرفون والمُحرّفون بالنسبة لآل الوحي وأهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله، فكانوا يجنون عليهم كلّ جنايةٍ يُمكن تصوّرها.

كتب معاوية بن أبي سفيان في رسالته ألمير المؤمنين في مقام لوم شخص حضرة أمير المؤمنين وإهانته:

«كُنتَ تُقادُ، كما يُقادُ الجَمَلُ المَخشوشُ»[1][2]

أي: كُنت تُقاد مثل الجمل الذي ربطوه من أنفه وجرّوه ليروّضوه، فأخذوك إلى المسجد من أجل البيعة.

وقال أمير المؤمنين في جوابه عليه:

---

[1] خششتُ البعير، جعلتُ الخشاش في أنفه، والخشاش: عودٌ أو حبلٌ يُوضع في عظم أنف البعير، راجع: لسان العرب، ج ٦، ص ٢٩٦. (م)

[2] بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٣٦٧.

«وقُلتَ أنّي كنتُ أُقادُ كما يُقادُ الجَملُ المخشوشُ حتّى أُبايِعَ، ولَعَمرُ اللهِ لقد أردتَ أن تذُمَّ فمَدَحتَ، وأن تَفضَحَ فافتَضَحتَ؛ وما عَلَى المُسلِمِ من غَضاضَةٍ في أن يكونَ مظلوماً، ما لم يكُن شاكّاً في دينِهِ ولا مُرتاباً بيقينِهِ»[1].

أي: يا معاوية! لقد شبّهتني بالجمل الذي ربط الحبل في أنفه، فجرّوني إلى البيعة، أقسم بالله! إنّك أردتَ إهانتي، ولكنّك من خلال هذا التشبيه مدحتني وأثنيتَ عليّ، وأردتَ أن تفضحني لكنّك فضحتَ نفسك؛ إذ ليس عيباً ولا نقصاً للمسلم إذا تعرض للظلم وتمّ التعدّي عليه (بل النقص والخزي والعار للظالم والمتعدّي، وليس على من ظُلم)؛ وطالما أنّه لا يوجد شكٌّ في دينه ولا يزال ثابتاً على معتقداته، ولم يتحوّل عن يقينه بسبب الحدس والشبهة.

ويُمكن لنا أن ندرك من خلال هذه الرسالة عمق الفجعة التي حلّت في تاريخ الإسلام بعد ارتحال مؤسّسه؛ فجعةٌ كانت ولا تزال تحافظ على انحراف

---

[1] نهج البلاغة (عبده)، ج ٣، ص ٣٨.

مسير الإسلام حتّى بعد ألفٍ وأربعمئة عامٍ، وجعلت مئات ملايين البشر من المسلمين فريسةً لآفاتها.

ويُمكن الادعاء بوضوح في هذا الصدد أنّ جميع جرائم الحكام وأهل الجور في تاريخ الإسلام إنّما ارتكبت بسبب هذا الآفة المُدمّرة، يعني: ضرب الدين واستغفال الناس عبر استغلال الأدوات والوسائل الدينيّة.

استغلال الشرع والدين لتحقيق الأهداف الدنيويّة هي الأداة الأكثر تأثيرًا لعلماء السوء

وقد لوّث علماء العامّة وفقهاؤهم أيديهم بدماء آلاف المسلمين الأبرياء بجرم التشيّع، وذلك من خلال إساءة استغلال نفس هذه الأدوات، وكتبوا صفحةٍ من الخزي في تاريخ الإسلام، في الوقت الذي نجد أنّ صاحب زمام خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخليفته علي بن أبي طالب عليه السلام قال عند لقائه مع علماء اليهود بهذه العبارة: **«يا أخا اليهود»** (أي: أيّها الأخ اليهودي) وذلك حينما كان يُناقشهم وينظرهم، نرى أنّهم أصدروا فتوى بجواز وإباحة قتل شيعة أمير المؤمنين عليه

السلام والتجاوز عليهم بحجّة الاختلاف والافتراق في الدين، وكم هي الجنايات والفجائع التي ارتكبت بسببها! وكم هي دماءُ الأبرياء والأطفال المعصومين التي أريقت على الأرض! وما زال هذا الطريق المنحرف المخيف مستمرًا حتّى الآن.

طبعاً ينبغي الالتفات إلى أنّ آفة ضرب الدين وسوء استغلال الشرع في الترويج لأهداف الدنيوية لا يختصّ بمدرسة العامّة وعلماء أهل التسنّن، بل يُمكن رؤية مثل هذه الحالات الشاذة وهذه الانحرافات في تاريخ الشيعة أيضاً،

فإذا تمّ تسليم العلماء العظماء، والأعاظم من ذوي الأسماء الكبيرة من قبيل: الشهيد الأوّل والشهيد الثاني والقاضي نور الله الشوشتري بفتاوى الفقهاء السُنّة الفاسدين والفاسقين إلى يد الحديد والحطب، فإنّ جدّ الروحاني الكبير والعالم الجليل المرحوم الشيخ فضل الله النوري قد أعدم بواسطة فقهاء الشيعة وبفتواهم علّق على المشنقة.

ثمّ بفتوى من ارتقى العلّامة المكرّم والعارف بالله والفقيه النزيه المرحوم السلطان محمّد الجنابذي رضوان الله عليه؟! وبواسطة أيّ أشخاصٍ رفرفت روحه إلى الملأ الأعلى؟!

بوواسطة أيّ فئةٍ جماعةٍ تحقّق قتل كبار العرفاء

وإعدامهم بحجّة التصوّف؟!

بإعزازٍ ممّن؟! بإذنِ أي الأفراد هتكت حرمة

العارف بالله بأمر الله آية الله العظمى السيّد علي

القاضي الطباطبائي تمتّ إهانته؟! بإشارةٍ ممّن ضُيّق

عليه كلّ أنواع التضييقات في النجف الأشرف؟!

بوواسطة أيّ مرجعٍ ديني تحقّق إبعاد وتهجير

العلّامة الفقيه والفيلسوف العلَم، سماحة آية الله السيّد

حسن المسقطي من النجف الأشرف؟!

بوواسطة أيّ مرجعٍ غير مؤدّبٍ حصلت تلك

الإهانة وذلك التهكّم الخالي من الحياء تجاه فخر

عالم الإسلام سماحة العلّامة الوالد الحاجّ السيّد محمّد

الحسيني الطهراني ـ أعلى الله مقامه ـ في الكتب

الأخلاقيّة وتهذيب النفس؟!

بوواسطة أيّ مجموعةٍ من الأشخاص حصل التكفير

والتفسيق والحكم بارتداد العلماء العظام أمثال: المرحوم

آية الله الأذصاري وآية الله السيد الشيرازي، ونبغة

الدهر والعلّامة على الإطلاق المرحوم الأخوند الملّا حسين قلي الهمداني _ رضوان الله عليهم أجمعين؟!

بوساطة أيّ الأشخاص حدثتْ أعمال الظلم والجناية على آحاد أفراد الرعيّة بحجّة عدم المقبوليّة والاتجاه نحو هجومٍ لسلكٍ خاص؟!

إنَّ المحور لكافة هذه الفجائع والحوادث والنوائب، سواءً كانت في قالب اليهوديّة أم النصرانيّة أم التسنّن والتشيّع هو أمرٌ واحدٌ فقط؛ وهو محوريّة النفس والأنانيّة والفرعونيّة فقط، سواءً ظهرت خصلة الشؤم والشيطنة هذه في لباس علماء اليهود والنصارى وزيّهم أم في كسوة علماء التسنّن والتشيّع وفقهائهم، فجميعهم سواءٌ ولا فرق في البين.

ففي ذلك اليوم وبجرم إرادة الحقّ والمطالبة بالحقّ، أحرقوا باب بيت ابنة رسول الله وأسقطوا جنينها وحرموها من الوجود ودوام الحياة؛ واليوم بنفس ذلك الجرم يسيلون دماء الأبرياء بسخاوة في معارض الملزاد؛ كلاهما واحدٌ!

مدرسة التشيّع هي مدرسة الحقّ والعدالة والحريّة

مدرسة التشيّع هي مدرسةٌ عليّةٌ ومدرسة الحقّ والعدالة والحريّة، ومدرسة الرفض والابتعاد عن كلّ دناءةٍ وانحطاطٍ ونفاقٍ ومكرٍ وثنائيّة الوجه والسعي وراء المصلحة والانغماس في الشهوات والكثرات،

ومدرسة تعالي الروح وتجريد النفس والمعرفة والتوحيد والوصول إلى أعلى مرتبة قابلة للتصوّر من الفعلية والحصول، والخطّ الأحمر الوحيد في هذه المدرسة هو السخط الإلهي والقيام بما هو خلاف لرضا الله وحسب.

ففي هذه المدرسة تتحقّق الحركة نحو التعالي والترقّي في ظلّ الأمن والعدالة والمراعاة وفي ظلّ أداء الحقوق واستيفاء الحظوظ بالنحو الأكمل والأوفى، وكلّ من يكون تحت ظلّ هذه الموقعية الذهبية سيصل إلى ما يوجبه له المقام التقدير وتوجبه كفايته.

وقد تمّ حساب وتقييم مراعاة الصلاح الديني والسعادة الأخروية كعنصرين لا ينفكّان في الحياة البشرية، ولا يغلب أحدهما على الآخر ولا يحكم أحدهما على الآخر.

ويتشكّل برنامج الحياة في هذه المدرسة على أساس الإشراف الدقيق على مقتضيات النفس البشرية وعلى أساس الاطلاع على كُنه الفطرة الإنسانية وضميره

وسرّه وعلى أساس الإدراك الكامل للخصال والصفات ومَلَكات الإنسان الحسنة ورذائله، والالتزام بهذا البرنامج، هي تسوق الإنسان نحو فضاء القدس وتحصيل سلطان المعرفة في ظل الأمان والسلامة الروحيّة والنفسيّة في الحياة الدنيويّة.

واألحكام والتكاليف في هذه المدرسة إنّما تُلقّيت على أساس الشهود والملمس وعلى أساس مسّ الواقع، ومدوّنها هو خالق الإنسان الذات الإلهيّة المقدّسة، وتمّ تبليغها بواسطة عباده المنتجبين إلى باقي الناس، [قال تعالى:]

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.[1]

يعني: «قُل أيّها الرسول! هذه سبيلي وطريقي التي أدعو الناس لسلوكها إلى الله وأنا أدعوهم لها عن بصيرةٍ، وكذلك أتباعي يدعون الناس إلى الله عبر هذه الطريق».

إنّ وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام تقع في سبيل تحقّق هذا الهدف وفعليّة هذا المقصد وهذه الغاية، فقد اهتمّت هذه الوصيّة والتفتت إلى كافة زوايا حياة البشر في جوانبها المختلفة وإلى جميع أفراد البشر وجميع طبقاتٍ آحاد بني آدم من أيّ أمّةٍ ومذهبٍ، ومن أيّ

---

[1]. ١٠٨ سورة يوسف (١٢): الآية

وصنفٍ، العالم منهم والجاهل، وذلك من أجل سعادة الدنيا وفلاح الآخرة؛ ولا يستطيع أيّ شخصٍ أن يعتبر نفسه مستثنًى من الالتزام بها؛ على الخصوص الأشخاص ذوي المكانة والشهرة من الناحيّة الاجتماعيّة ـ مثل: أرباب السياسة والفقهاء والمراجع ـ فيجب عليهم مطالعتها مرّةً في الشهر على الأقل، ويجعلوا كلّ عبارةٍ عبارةٍ منها كحلقةٍ في آذانهم، ويجعلوها أسوةً لهم في أفعالهم وأعمالهم.

وكم هو مناسبٌ وجيّدٌ أن تضع عباراتها والمقاطع المختلفة مع ترجمةٍ جميلةٍ وسلسةٍ [غير الناطقين باللغة العربيّة] في ألواحٍ وبراويز جذّابةٍ وبتصاميم متنوّعةٍ وجذّابة، ثمّ تُعلّق في المنازل والمكاتب وأماكن تردّد المعوم بحيث تقع في مرأى ومنظر الأفراد والأشخاص.

العصمة تساوي الأبديّة والأبديّة خالدة ومستمرة

إنَّ كلام المعصوم عليه السلام معصومٌ؛ ويختلف عن سائر الكلمات والتعابير ولو أنَّها كانت ملفتةً ومهمّةً؛ لأنَّ العصمة تساوي الأبديّة، والأبديّة سوف تبقى خالدةً

وتعابيرهم على مرأى ومستمرة ً وثابتة ً ومستقرّة ً، ولذا يجب أن تتوضع كلمات أهل البيت العصمة عليهم السلام من الملقى الرحماني جنبة الكلام ومنحها من الأفراد دوماً، وتمييزه عن باقي المجمل والتعابير الوحي.

إنّ مجتمعنا يحتاج في هذه الأيّام أكثر من أيّ وقتٍ مضى، إلى العودة والنظر في الآثار والأحاديث المأثورة عن موالينا الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ويجب الاهتمام بهذه النقطة الحياتيّة اهتماماً لا مثيل له، وأن نتلافى غفلتنا عن المنهج المتين والمستقر ونقوّم أفعالنا ونصحّحها من خلال المضامين والكلمات الواردة عن أئمّتنا وساداتنا؛ وعلينا أن نضع الدساتير والمتون الأخلاقيّة والأحكام الصادرة عن هؤلاء العظماء نصب أعيننا واحدةً واحدةً، إنّ اتّباع الأوامر والبيانات النورانيّة لأهل بيت العصمة عليهم السلام، هو السبيل الوحيد لا غير للنجاة من الفتن والمصائب وموارد الحيرة ومن العجز والانغماس في الكثرات، ومن البحث والتفتيش بسبب الحيرة والتيهان، ومن الحركة في وادي الظلمات، ومن التعصّب والتمركز حول الذات والجهل.

ولا ينبغي علينا أن نُفكّر في هذه المسألة، وهي أنّه لماذا لا يعتني الآخرون ولا يهتمّون بهذه المسائل؟ وأنّه

ما الأثر الذي قد يترتّب على التزامنا بهذه الأصول؟ ما يجب علينا التفكير فيه هو أنّ هذه الوصيّة تريقُ فيه دواءُ لجميع الآلام، وعلاجُ لكافّة المصائب، وأنّها إكسيرُ حياتنا الأبديّة وإكسيرُ السعادة الأبديّة. فما شأننا بالآخرين؟! وماذا سينفعنا أو يضرّنا إعراضهم؟!

ومع كامل الأسف والحسرة يجب الاعتراف والإقرار بأنّه لو عمل كبارنا والمسؤولين والقيّمين عندنا بهذه الوصيّة والتزموا بها، لما وجدت في عصرنا الحالي هذه الابتلاءات المُؤلمة والحوادث المفجعة والأمور البعيدة عن الشأن الإنساني وعن المرتبة الإنسانيّة التي أحاطت بالمجتمع.

آفات النظرة الانتقائيّة إلى بيانات المعصومين عليهم السلام واستخدامها كأدوات

إنَّ النظرة الانتقائيّة لبيانات المعصومين عليهم السلام واستعمالها كأدوات وقبول ما ينسجم مع السليقة الشخصيّة ويتطابق معها، ورد ّما يُخالف الفكر والسليقة الشخصيّة، لن تجلب سوى سبيل النكبة وسوء الحظّ والضلال والضياع والحيرة والزوال للفرد والمجتمع.

أذكر أنَّه بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، كان أحد الفضلاء المحترمين ينشر هذه الوصيّة مصحوبةً بترجمةٍ سلسةٍ [إلى الفارسيّة] في إحدى جرائد البلد، ولكن للأسف عندما وصل هذا الفرد إلى عبارات الإمام عليه السلام حول شؤون النساء وكيفيّة تعامل الفرد والمجتمع مع هذه الشريحة، حذف هذه الكلمات والجمل تمامًا ولم يأتي على ذكرٍ لها لا في النصّ العربي ولا في ترجمته!

واعجباً! فما النقص والمنقصة التي لحظها في كلام المعصوم عليه السلام بحيث أقدَم بنحوٍ سليقيٍّ مَن عدّه على تحريف أوامر الإمام عليه السلام وأجرى مقصّ الرقابة عليها؟!

أليس هذا المعلم مصداق صريحٌ وواضحٌ لقول الله عزّ وجلّ: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[1]؟! وهل هذه المضامين مُختصّة بزمان صدورها ولا تشمل زماننا وأزمنة اللاحقة؟! وهل اختلفت الطبيعة الإنسانيّة عمّا هي لدى الأمم السابقة؟! وهل تغيرت الرؤية حول المسائل المرتبطة بالمرأة والرجل عما كانت عليه في الماضي؟!

رأي بعض المحقّقين الغربيّين حول حجاب النساء وكيفيّة تفاعلهم معه

تقول «آني رورد»[2] الكاتبة الإنجليزيّة الشهيرة:

«لا ليت بلداننا كبلاد المسلمين، حيث الحشمة والعفاف... والطهارة حيث يتنعم بأرغد عيش. نعم، إنّه

---

1. سورة النساء (٤): قسم من آية ١٥٠.

2. Ann Rord

،لذائل ًلا مثال تجعل أن الإنجليز بلاد على رُعاء
.الرجال مخالطة كثرة

فما نسعى وراء ما يجعل البنات تعمل ما يوافق
[تربية الأبناء] فطرتها الطبيعيّة من ملازمة البيت وتركُ أعمال الرجال للرجال سلامةً لشرفها!![1]

وتقول السيّدة **«نوسيلا فاليري»** وهي متخصّصة
:معروفة في علم النفس

تشير التحقيقات إلى أنّ النساء تغرب بالعمل بإمرة
رخآ ٍصخش ،وبتعبيرٍ آخر :إنّهنّ يُفضلن أن يُحبسن
مرؤوساتٍ بإشراف رئيس. إنّ النساء يجرين وراء
المشاعر، والرجال يجرون وراء العقل، وكثيرًا ما
لوحظ أنّ السيّدات في مجال الذكاء لا يُوازين الرجال
بحسب بل يفضلهم أحيانًا، وتقطة ضعف السيّدات
.تكمن فقط في إحساساتهنّ المرهفة

---

[1] **الإسلام في ظلّ المرأة**، تأليف مريم نور الدين فضل الله، ص ٤١، [نقلتها عن كتاب نظرات في السفور والحجاب للشيخ مصطفى الغلاييني، الذي نقلها عن مجلة (شجرة الدر) في الجزء السادس من السنة الأولى نقلاً عن جريدة (الإيسترن ميل)].

الرجال يُفكّرون دائماً بشكلٍ عمليٍّ أكثر كما أنّهم يحكمون أحسن، ويُنظّمون أحسن ويُوجّهون بشكلٍ أفضل، إذن ففضل الرجال روحيٌّ على النساء أمرٌ مصمّمه الله تعالى، ومهما حاولت السيّدات أن يدفعن هذه الحقيقة فلن يجدين ذلك نفعاً، ومهما أنّهنّ أكثرة حساسيّةً من الرجال، فقد وجب عليهنّ إذن أن يتقبّلن حقيقة حاجتهن إلى إشراف الرجل عليهنّ في الحياة، والأعمال التي تحتاج إلى التفكير الدائم تُتعب المرأة وتضجرها.

والهدف الأعلى للسيّدات في الحياة هو «الأمن» فإذا نلن هذا الهدف، تركن العمل والنشاط.[1]

تحريف كلام المعصومين عليهم السلام هو عدم احترام لساحة القيم الإنسانيّة العالية

فإذا قام مولى المتقين وفي ظروف ذلك الزمان ومع كافة الحدود في العلاقات بين الرجل والمرأة ومراعاة العفاف في تلك الحدود، وأوصى بهذه الوصيّة لأولاده وأهل ذلك الزمان، فإذن يجب الإعلان والاعتراف

---

[1] نظام حقوق المرأة في الإسلام، ص ١٨٥. [نظام حقوق زن در اسلام، ص ١٨٥. تحت عنوان: نظريّة عالم نفسانيّة ص ٢٠٦].

بالقطع واليقين بأنّه مع ظهور تقنيات عصرنا والتكنولوجيا الحاكمة على قرننا وسهولة الوصول إليها من قبل كافة أفراد المجتمع، أنَّنا على مشارف وقوع فاجعة زوال كيان الأسرة واضمحلال أساسها وبروز الهرج والمرج في العلاقات بين الرجل والمرأة بأقبح وأشنع وجهٍ ممكن.

ألا يعلم المتجرم المحترم الذي عندما وصل إلى هذه الفقرات العميقة والمضامين الإعجازيّة لأمير المؤمنين عليه السلام المرتبطة بالعلاقات بين المرأة والرجل قام بحذفها وتحريفها، بحجّة أنَّ المجتمع المعاصر يأبى تقبّل مثل هذه المضامين، ولذا لا ينبغي طرح مثل هذه العبارات عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ لأنّها توجب الوهن والإهانة لساحتهم المقدّسة، ألا يعلم أنّه بعمله هذا كم استهان بالحرمات وأهان ساحة القيّم الإنسانيّة العالميّة والعفاف والأمان الإجتماعي وطهارة النفس الآدميّة؟! إنّه لا يعلم أنَّ هذه العبارات أوجب لها

،هرصاعلا نمزلا يذلا ةلهذلا ةيوحيد ثركأو نامزلا

!تضمةٍهرُبدو أنامزٍ أيّ نم

مع التطور الملحوظ في أيّامنا هذه فيما يتعلّق بأساليب التواصل كالإنترنت وصنعة الهواتف والجوّالات، فلا يعلم إلّا الله كم هو حجم الضربة التي وُجهت إلى جسم العلاقات الزوجيّة. وأنا أعترف وفق محدوديّة علاقاتي واطلاعي على بعض الأشخاص أنَّني كنتُ شاهداً على انهدام العشرات من العلاقات الأسريّة بسبب هذه الظاهرة غير المباركة في نطاق العلاقات الإجتماعيّة.

واليوم يجب أن يُصدح بصوتٍ عالٍ وواضح بالعبارة الإعجازيّة لأمير المؤمنين عليه السلام التي وردت في هذه الوصيّة والتي يقول فيها:

«وإنِ استَطَعتَ أن لا يَعرِفَنَ غَيرَكَ، فافعَل»[1]

يعني: إذا استطعت أن تنتهج أسلوباً وطريقةً في تعاملك مع نساء بحيث لا يعرفنَ شخصاً غيرك، فحتماً لا تقصّر في فعل ذلك. وهذا الكلام يُعتبر معجزةً علويّةً

[1]. نهج البلاغة (عبده) ج ٣، ص ٦١.

في مجال العلاقات الاجتماعيّة والمسائل الأخلاقيّة والعائليّة.

فإنّ المسائل التي تطرق آذاننا عن الشذوذ الأخلاقي في العلاقات الأسريّة والزوجيّة بسبب ظاهرة الإنترنت والجوالات، مرورةٌ وغير إنسانيّةٍ جدًا بحيث تبهت العقل البشريّ، وتشير هذه المسألة إلى أنّه لا فرق في الأثر بين أفراد البشر الذين عاشوا في الأزمنة الماضيّة وبين من يعيش في زماننا الحاضر فيما يتعلّق بمراعاة الضوابط الأخلاقيّة والمباني الإنسانيّة والتكاليف الشرعيّة أو عدم مراعاتها؛ وإذا كان تدوين هذه الوصيّة قبل ألف وأربعمئة عام يحوز على درجةٍ من الاهتمام والإلزام لأفراد ذلك الزمان، فإنّ التأكيد على هذه النقطة يزيد في عصرنا الحالي بمئات بل بآلاف المرّات.[1]

---

[1] أخيرًا في واحدةٍ من الرحلات الكشفيّة الصيفيّة التي نُظّمت في دولة ألمانيا لما يُقارب المئة والسبعين شابًا ومراهقًا أعمارهم بين الثالثة عشر والعشرين، تمّ التحرّش الجنسي بمعظم الفتيات الصغيرات من الشباب المتواجدين في الرحلة، وتمّ متابعة هذه الفضيحة بعد شكوى آبائهنّ.

إنّنا نواجه اليوم التعاليم الوحيانيّة لأهل بيت العصمة عليهم السلام، فإنّ الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام تقول في أحد المواطن فيما يتعلّق بالعلاقة بين المرأة والرجل الأجنبيّ:

«خير النساء التي لا ترى الرجال ولا يراها الرجال»[1]

يقولون: إنّ مراعاة هذه المسائل في عصرنا الحالي صعبٌ بل ممتنعٌ، وأنّه بناءً للظروف الاجتماعيّة في عصرنا الحالي أصبحت العلاقة بين المرأة والرجل وتبادل الأحاديث والمزاح، أمرًا لا يمكن تجنّبه. وا عجبًا! هل سقطت الظروف الإجتماعيّة علينا من السماء، أم أنّها صعدت من قعر بئرٍ وأمسكت بتلابيبنا؟! أم أنّنا نحن من صنعها وأوجدها؟! فما الفرق إذن بين ذلك المجتمع الذي يُمضي على كلّ ما يُلقى إليه مرغمًا،

---

[1] بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٣٨. [مع أدنى تفاوت]؛ كشف الغمّة، ج ١، ص ٤٦٦.

ويحني لكلّ ظاهرةٍ تُحمَّل عليه ويبين الحيوانات التي تمشي على أربع وبينه وبين الوحوش؟!

في عصرنا الحاضر، هناك بعض الدول الإسلامية التي يُوجد فيها جامعاتٌ ومراكز علمية كوادرها النسائية بأجمعها من الفرّاش إلى رئيسة الجامعة، جميعهن من السيّدات ولا يوجد بينهنّ حتّى موظّفٌ واحدٌ، وهي تعتبر من جملة المراكز العلمية النموذجية على مستوى العالم من حيث الرتبة العلمية وقبول الرتبة الأكاديمية؟![1]

وأذكر أيضاً، أنَّ مثل هذه المسألة تمّ تأييدها بأتمّ وجهٍ في مستشفى الإمام الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المقدّسة الرضوية لمدّة ستّة أشهر، ولكن بسبب ظهور بعض الأذواق المنحرفة، لم تدم وعادت إلى سابق عهدها الأسف.

ينبغي أن لا يكون المتصدّين لمباني الشرع ملكيّين أكثر من الملك

إنَّ المسألة التي تستحق الاهتمام والالتفات هذا بالنسبة للمتصدّين لتعليم مباني الشرع ولمبلغي دين

---

[1] المملكة العربية السعودية، جدّة.

حبصُيأن يغبني هل، امذلأا ديّسم احكأ يجوري مو مولسلإا

؟! وهل تُصبح الدايّة أشفق من الملك على ولدها؟! أم أنَّ وظيفتهم تكليفهم بتنحية الأمّ عن رضيعها

إغلاق تلك الأحكام وإقفاء تلك الكتاليف التي تم تدوينها

تنظيمها من قبل الله ومن قبل الشارع، دون زيادةٍ أو نقصانها.

فهل نصَّبنا الله أولياء على الشريعة ووضع بأيدينا الاختيار في التدخّل والتصرّف بذلك القرار بحيث أضيف أو أحذف ما أراه من الصلاح بحسب ميلي وذوقي؟! لم نمنح مثل هذا الاختيار أبدًا ولن يُمنح لنا أبدًا.

فإنَّ المتولّي وصاحب الاختيار في الشريعة وفي الأحكام هو شخصٌ واحدٌ فقط، وهو الوجود المقدّس والمطهّر لصاحب الولاية الكبرى مهديّ آل محمّد، حضرت الحجّة بن الحسن العسكريّ أرواحنا لتراب مقدمه الفداء؛ أمّا الباقون فمهما كانوا فهم مُبلِّغون فقط وفقط ودُعاة وهداة نحو هذه العتبة المقدّسة لا أكثر من ذلك؛ ولا يحقّ لأيّ شخصٍ أن يزيد أو ينقص أيّ كلمةٍ من عنده، وإلّا فسوف يُحاسب على ذلك.

الآيات الإلهيّة تذم وتحقّر الأفراد الذين يستعملون الأحكام الإلهيّة بانتقائيّة

ويقول في سورة البقرة (٢) الآية خمسة وسبعون:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

يعني: «هل تطمعون أن يُؤمنوا بكم وبمسلككم بدينكم، مع أنّ مجموعةً منهم كانت تستمع إلى كلام الله ويُدركون محتواه، ثمّ يُحاولون تحريفه وتبديله، مع أنّهم يعرفون جيدًا وبوضوح أنّ هذه الكلمات والمفاهيم كلّها من عند الله تعالى وأنّه ليس ليد الإنسان أيّ تدخّلٍ فيها».

ةئملاو نيسمخو ةئملا :نيتيلآا فيأ لوقيو ءاسنلا ةروسن مـ نيسمخلاو دحاولاو (٤):

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

يعني: «إنّ الذين كفروا بالله وبرُسله، ويريدون أن يجعلوا فرقًا بين الله وبين رسله ويقولون: إنّنا نُؤمن ببعض الآيات التي تتوافق مع ميولنا وسليقتنا ومصالحنا الشخصيّة والاجتماعيّة، ونكفر بذلك البعض من الآيات الذي يُعارض مصالحنا، يريد هذا النوع من الأشخاص أن يبتدعوا طريقًا من عندهم في هذه الحالة ولا علاقة

لهم بالتعاليم الوحيانيّة، هؤلاء هم الكافرون حقّاً، وقد هيأنا للكافرين عذابًا مُهينًا».

إنّ الله تعالى يُصرّح في هذه الآيات بذمّ واحتقار الذين يعملون على تحريف الأحكام والآيات الإلهيّة والتعامل معها بشكل انتقائي، ويصدح بنداء اللعن والإبعاد عن رحمته ولطفه. ولألسف ولسوء الحظ إنَّ هذه الآفة والبليّة قد استحوذتْ على جسد تاريخ الإسلام وتأليف المؤلفين والمُؤرّخين، وحطّت من درجة اعتبار المتون الإسلاميّة ووثاقتها.[1]

ومن ضمن المواطن التي لم تسلم ـ للأسف ـ من هذه المصيبة والآفة، هي هذه الفقرات التي وردت في وصيّة أمير المؤمنين عليه السّلام هذه، والتي ترتبط بمسألة العلاقات بين المرأة والرجل وبعض الأحكام والمسائل التي ذكرها فيما يتعلّق بالمرأة.

التعاطي الجبان وغير المنصف مع كلام أمير المؤمنين عليه السّلام

طبعاً لا يخفى أنّ الإمام عليه السّلام ذكر في هذا حول لئام خطبٍ أخرى من **نهج البلاغة**

---

[1] لقد وضّح الحقير هذه المسألة أكثر في المجلّد الأوّل من كتاب **أسرار الملكوت**.

الموضوع أيضًا، كخطبته بعد معركة الجمل فيما يتعلّق بعائشة زوجة رسول الله، وفيها إشاراتٌ حول نقصان عقول النساء وضعفهن في التدبير، ومع الأسف ينبغي القول: إنَّ الأفراد الذين تعاملوا مع هذه الفقرات إمّا أنّهم أنكروها بالكليّة ونحَّوْها جانبًا عن زمرة تعاليم أمير المؤمنين عليه السّلام، وإمّا حرّفوها بتأويلاتٍ مثيرة للسخرية ووجهوها بنحوٍ مخالفٍ لمراد صاحب الكلام ومقصوده، وربما شاءوا إخلاء مسؤوليتهم من البلاغ والإبلاغ من خلال استعمالهم لتعابير من قبيل: «نحن لا نفهم» أو «لا اطلاع لنا على مثل هذه المواضيع» أو «ربما تمّ إضافة هذه العبارات إلى الخطبة في وقتٍ لاحقٍ».

يزاجعلإا ملاكلا عم اولماعتدقانرابكنَّأ بجع لاو ريغ بولسلأا اذهب ملاسلا هيلع نينمؤملا ريملأ اذه هباشُي ام رخلآا ضعبلا نع دهوُشد ذإ ،فصنملا نم وحنلا اذهبو هّينآرقلا تايلآا عم يطاعتلاو لماعتلا !اهتمرحبراتهتسلاا

نقل لنا أستاذنا المرحوم آية الله الغروي التبريزي رحمة الله عليه ما يلي:

في السفر الذي كنتُ قد سافرته إلى هامبورغ للعلاج، وفي إحدى الليالي كنتُ في منزل أخي، وحضر عددٌ من الأطباء والمهندسين الإيرانيّين المقيمين في هامبورغ وكان الحديث حول علاج بعض المسائل الاعتقاديّة والأخلاقيّة. وفي هذه الأثناء، قال أحد الحاضرين: كان هناك عالمٌ وكان متصدّياً في زمنٍ من الأزمان لمسائل مسجد هامبورغ، وكان لدينا محاضرة وطرح مسائل اعتقاديّة بعد صلاة العشاء، فسأله شخصٌ: ما هو رأيك حول هذه الآية الشريفة؟

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾[1].

يعني: «لقد جعل الله للرجال أفضليّة على النساء، وبسبب هذه الأفضليّة، جعل زمام أمور المرأة مُلقاةً على عهدة الرجال، ولذا ستستقر قيمومة الرجال على النساء في أمور المنزل والمسائل الاجتماعيّة».

فقال ذلك الشخص العالم: على حدّ علمي، إنَّ الإسلام دين التساوي بين المرأة والرجل!

وبالطبع من الذي لا يعلم أنَّ معنى ومفهوم هذه العبارة هو حذفٌ وتحريفٌ للقرآن، وإنكارٌ لآيات الوحي البيِّنة وتلويحيٍّ وعباراتٍ تلميحيّة؟!

وقد قال نفس هذا الشخص حول هذه الفقرات من نهج البلاغة: «نحن لا نفهم هذه الكلمات!» ومن الطبيعي أن لا يفهم أمثال هؤلاء الأفراد هذه العبارات، ولا يجب أن يفهموها، ولن يفهموها أبدًا؛ لأنّ فهمهم للإسلام يتعارض مئة وثمانين درجة مع نصوص القرآن

---

[1]. سورة النّساء (٤) صدر الآية ٣٤.

والتعاليم والوحيانيّة ومع الشريعة النبويّة. والإسلام الذي في مخيّلتهم هو إسلام مصطنع ومزيّف وسليقي ومن وضع وصنعة ذهنٍ مشوّشٍ وفنفسٍ مريضةٍ؛ وكما يقول سماحة الشيخ محمود شبستري أعلى الله مقامه:

**رمد دارد دو چشم اهل ظاهر ** كه از ظاهر نبيند جز مظاهر.[1]

[يقول: إنّ عيون أهل الظاهر مصابة بالرمد، فإنّهم لا يرون سوى المظاهر]

إنَّ عيون هؤلاء الأفراد عمياء عن رؤية الحقائق الوحيانيّة النورانيّة، ولا قدرة لها على إدراك تلك الحقائق؛ فيُوقعون أنفسهم والآخرين في الضلالة والخراب وزوال الاستعدادات وهدر العمر الذي لا يُعوّض وتضييع الفرص.

ولكن إلى متى؟ أليس هناك من يقول لهم: هل أنتم قيّمون على الدين وتتولّون للشريعة كي تُقدموا من عندكم على تحريف المباني وتزييفها؟ وكيف تضعون بين

---

[1] گلشن راز، القسم ٥، تمثيل في بيان سرّ اختفاء الحقّ في عين ظهوره.

أيادي الناس دين الله ورسوله ناقصاً ومُحرّفاً بلا فائدة ولا نتيجة؟

ألا يعلم هؤلاء أي عاقبةٍ سيئةٍ ستنجم عن عدم الالتفات إلى هذه الفقرة من التعاليم التوجيهيّة، وما هو حجم الضرر الذي سيلحق بالناس الذين ليس لديهم اطلاع؟!

ولو كان لأمير المؤمنين عليه السلام حياة ظاهرية،

فهل كان سيمحو هذه الفقرات من خطبه ويحذفها؟! وهل

كان سيقول: إنَّ هذه العبارات تتعلّق بألف وأربعمئة عامٍ

سابقة، ولا علاقة لها أبداً بالمجتمع المعاصر والمجتمع

المنوّر وبالفكر الحالي وبالأذهان المنفتحة والمثقّفة في

عصرنا الحاضر؛ ويجب أن تعزل وتطرح جانباً؟!

هيهات! هيهات!

إنَّ مشكلة هذه الفئة أنَّها تتصوّر نفسها قيّمةً على

الدين، وأنّهم يعدّون أنفسهم مسؤولين في قبال الأسئلة

والإبهامات، ويمدّون أقدامهم خارج بساطهم، ويُعيّنون

أنفسهم نوّاباً عن الشريعة ويعتبرون أنفسهم ملجأً للنّاس

لهم كلّ الاختيار، ويرون أنّ ماء وجههم هو ماء وجه

الدين، وأنّ فشلهم يُمثّل فضيحةً وزوالًا لماء وجه الدين؛

والخلاصة: إنَّهم يعتبرون أنفسهم ممثّلين لله على الأرض

وأنّهم رُسله إلى الخلق ولكن ليس مثل الأنبياء والرسل

بل برتبةٍ أدنى.

إذا استطعنا أن نُحقّق موقعنا التبليغي بحيث لا يكون على سبيل التولّي بل على سبيل الآلية والوساطة فلن نقلق عندئذٍ من استحسان الناس أو انزعاجهم؛ ولن يُؤثّر علينا إقبال الناس وإدبارهم، ولن ينتج أيّ أثرٍ بسبب تشجيع الناس ولا بسبب تعيير المعيّرين، ولن تتبدّل أحوالنا أو تتغيّر أفكارنا. لقد وقعت جميع هذه المصائب فقط لأنّنا غيّرنا موقعنا، ووضعنا أنفسنا في منزلة إمام الزمان ومرتبته، ولأنّنا أجلسنا أنفسنا على مسند ومتكئه.

وقد خطرت في خاطري قصّةٌ مثيرةٌ للإعجاب وحكايةٌ ذات عبرةٍ، وأرى أنّه من الحيف أن لا أذكرها هنا.

لقد انتشر في الآونة الأخيرة عن أحد الأعلام، كتاب مذكرات ومسائل مهمّة.[1] وقد ورد في ذلك الكتاب ما يلي:

[1] المرحوم آية الله المنتظري، رحمة الله عليه.

لقد تمّ إبعاده في زمان النظام البهلوي إلى إحدى بلاد كردستان، فبقي في تلك المدينة مدّةً من الزمان، وأصبح لديه علاقة وارتباط مع أهل وسكّان تلك المنطقة، ومن الفراقات أنّه في أحد الفصول التي كانت هناك حاجةٌ ملحّةٌ لنزول المطر، لم ينزل المطر فاستولى الاضطراب والتشويش على أهالي تلك المنطقة، وكان الناس يعيشون في خوف من تدمير الزراعة ومحصول الأشجار، في هذه الظروف طلب منه بعض الناس صلاة الاستسقاء حتى تتمكّن مجموعةٌ من السكّان الشيعة من أداء صلاة الاستسقاء بإمامته، فلم يقبل، ومهما أصرّ الناس عليه لم يقبل.

ثمّ ذكر لاحقاً أحد الأصدقاء سبب عدم موافقته، فقال ما يلي:

رأيتُ أنّني إذا أقدمتُ على صلاة الاستسقاء ثمّ لم ينزل المطر، فبما أنّ معظم سكّان تلك المدينة كانوا من أهل السنّة، فإنّ ذلك سيتسبب في توهين وإضعاف المذهب الشيعي، ولذلك رجّحتُ الامتناع عن أداء صلاة الاستسقاء.

إنّ هذه القصّة مليئةٌ بالعبر، وجديرةٌ بالملاحظة، وتثبّت صحّة مدعانا.

ومن جملة المواطن التي تستحقّ التأمّل ما يلي: إنّنا نُقيّم الأحكام والتكاليف بناءً للمصالح والأذواق الشخصيّة، لا على أساس حاقّ الواقع ومعيار التشريع والتدوين، وحيثما حكم الذوق الشخصيّ بالإقدام على ذلك العمل، فإنّنا نُقدم على القيام به، وحيثما خالف أداءه فإنّنا نستنكف عن الإقدام عليه.

وكذلك ما يلي: عند التأمل والتعمق النفساني، نُلاحظ أنَّ المراد من ماء وجه الإسلام والتشيّع هو ماء وجهنا نحن، ونزول شخصيّتنا وشؤوننا الاجتماعيّة نحن، لا ماء وجه الدين والشريعة؛ إذ للشريعة والدين متولّيًا

وصاحبُه هو الله تعالى وعبده الخالص الوليّ الحيّ والممسك بزمام عالم الوجود، إمام العصر أرواحنا فداه؛ فمن نحن لنتدخل في ساحة ولايته وحريم قيادته، ونُجلس أنفسنا على مسنده ومقامه؛ وما شأننا إذا تمّ توهين دينه أو أصبح متعاليًا؟!

حبّذا لو يأتي محكّ التجربة

ومن هنا يمكن إدراك العديد من المسائل يتّضح الهدف والمحرك للعديد من الظواهر والنوايا المختبئة خلف الستار، ومن العبارات التي تُستعمل في هذه المجال، والتبريرات التي تُعطى للنّاس بالنسبة لتصرّفاتهم وأقوالهم.

حبّذا لو يأتي محكّ التجربة

**خوش بود گر محک تجربه أید به میان ** تا سیه روی شود هر که در او غش باشد[1]

[يقول: حبّذا لو يأتي محكّ التجربة، لكي يَسوَدَّ وجه كلّ كاذبٍ منافقٍ غشّاشٍ].

---

[1] ديوان حافظ.

ـ سيأتي يومٌ ـ سواءً في هذه الدنيا أم في الآخرة ـ وسيُكشف النقاب عن نواياك وأهدافك وميولك وأعمالك الخفيّة؛ وسيظهر جليًّا كالشمس الساطعة تبيّن للجميع ماذا يوجد خلف الكلمات العذبة والتعابير الخادعة والابتسامات والملامح خلف حركات العوام المُحبّبة، وما هي النوايا السيئة وكم كان هذا من أنانيّة وازدواجيّة وكم هي السير والأحداث المنافقة.

فما الذي حدث بحيث جعلنا لا نُريد أن ننقل للنّاس كلّ ما وصلنا من ذاحية الله على لسان الرسول والمعصومين وأن لا ننقله كما هو وكما تمّ بيانه بدون زيادة أو نقيصة، وبدون تفسيرٍ أو تأويلٍ أو تغييرٍ أو تبديلٍ؟ ألم يحن الوقت لأن نعود إلى أنفسنا وأن لا نسلك الطريق التي سلكها إخواننا من أهل العامّة حيث أمضوا السنوات والسنوات حائرين ضائعين منغمسين في الخراب والضلالة؟! فهل نحن بحاجةٍ إلى تجربتهم المريرة والمؤلمة والموبقة، لنواجه مصيرهم؟!

فذلك العالم الديني رغم أنّه يعلم بالرجحان المؤكّد وبرضا الشارع بالتفريق بين الصلوات اليوميّة، إلّا أنّه يحكم من أجل مخالفة العامّة برجحان الجمع بين الصلوات كي يتحقّق بذلك التمايُز بين الشيعة وأهل السنّة، فما الإجابة التي يمتلكها ليُقدّمها لصاحب الشريعة وإمام الزمان؟!

فلو سأل إمام الزمان: هل أنت صاحب الاختيار في الشرع؟ وهل أنتَ مبسوط الإرادة في التدخّل والتصرّف

فيه، كي تغير حكم الله على خلاف السنّة النبويّة وسيرة الأئمّة المعصومين عليهم السّلام فقط من أجل مخالفة العامّة؟ فما الجواب الذي يستطيع أن يقدّمه له؟!

وإذا سأله الإمام: ألا تعتقد أنّك بفتواك المخالفة للسنّة تكون قد هيأتَ موجبات توهين مدرسة التشيّع مقابل مذهب العامّة ممّا أدّى إلى سخريتهم وانتقادهم، وسلّمتَ ذريعة بيد أعداء أهل البيت عليهم السّلام؟! فهل هذا هو المعنى والمراد من حراسة مدرسة أهل البيت عليهم السّلام؟! وألا تُهيّئ هذه الفتوى مقدمات البُعد بين الطرفين، ونشوء الأفكار المخالفة وسوء الظنّ بالتشيّع بين العامّة؟!

الوظيفة الأساسيّة لكافّة الأمّة الإسلاميّة وخصوصاً الزعماء والمتصدّين هي التبليغ

بناءً على ذلك، فإنّ الوظيفة الأساسيّة لكافّة الأمّة الإسلاميّة وعلى الخصوص للزعماء والمتصدّين لتبيين مباني الشرع، هي الرعاية الدقيقة والعناية الوسواسيّة في إجراء التكاليف والقوانين المدنيّة والإجتماعيّة والشخصيّة من جانب حامل لواء مدرسة

الحقّ، كي لا يَحرموا في هذا المقام الأشخاص المستعدّين لتقبّل التعاليم الدينيّة والأخلاقيّة، فيبوا عن اتّباع مباني الشرع والأوامر الإلهيّة؛ وكي لا ندم ولا نكون مسؤولين في تلك الديانة في محضر العدل الإلهيّ بأنّه لماذا حرمتمونا من فهم هذه المسائل ومعرفتها، ولم تبيّنوا لنا ما يُشكّل حاقّ الدساتير وواقع مباني الوحيّ ولماذا حرمتمونا من الوصول إلى الفعليّة الغائيّة من الخلقة؟

ينبغي أن تكون رؤية مبلغي الدين ونظرهم مبنيّةً فقط على أساس التوحيد وأداء التكليف الإلهي وحسب؛ وأن لا يدعوا مجالًا للافتراء والانتقاد وسخرية الآخرين منهم، وعليهم أن يضعوا الآية الشريفة: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[1] نصب أعينهم في جميع تصرّفاتهم وحركاتهم وسكناتهم دومًا، وأن يُوكلوا مسؤوليّة قوّامية الشرع والدين لصاحبها الأصلي، الإمام الحيّ المعصوم عجّل الله فرجه الشريف، ولا يُجلسوا أنفسهم مكانه وعلى مسنده، فلا يكون ذلك سببًا لخجلهم وحيائهم في الدنيا وعقوبةً في الآخرة.

أمير المؤمنين: صلاح أمور المجتمع، في الابتعاد عن الاختلاط بين الرجال والنساء

يرى أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته هذه أنّ صلاح أمور المجتمع تكمن في البعد عن الاختلاط بين الرجال والنساء؛ ويرى أنّ أمان المجتمع قائمٌ على رعاية هذا الأصل الأساسي، ويعتقد أنّ تربية النفس وتزكية الروح يحصلان في ظلّ الأمان الأخلاقيّ

---

1. سورة المائدة (٥): مقطعٌ من الآية ٥٤.

وعرياة العفاف والاحجاب، ويعتقد أنَّ راحة البال وسكينة الخيال وراحة الضمير تحصل في البعد عن مظاهر الشهوة والتهيّج وفي الابتعاد عن العلاقات المُدمّرة للجوّ الروحاني والنوراني للأشخاص والمحيط.

فالنفوس إنّما تتمكّن من الوصول إلى مراتب العلية واقتناء مراحل الغيب والمعرفة في هذه الأجواء والظروف، فإنّ تحصيل مراتب المعرفة ونيل الكمالات المعنوية في الظروف غير المناسبة وغير الملائمة أمرٌ صعبٌ جداً أو ممتنع.

شُبهة علاقة في بال البعض فيما يتعلّق بالعلاقات غير الصحيحة

قد يعتقد البعض أنَّ الاختلاط في العلاقات بين المرأة الرجل والتعامل بينهما في حدود الكلام والعشرة لن يتسبّب بأي مشكلةٍ في تفكيرهم أو تصرّفاتهم، ولن يتشكّل أيّ تصوّرٍ خاصٍّ في ذهنهم وضميرهم، ولن يجلب أي شعورٍ غير اعتيادي إلى مشاعرهم، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل هم ملتزمون بأمورهم اليوميّة

من قبيل العبادات والمسائل المعنوية حيث يقومون بهما في موطنهما، وليس لديهم أي شعور بالكدورة في مثل هذه العلاقات، ولذا ينخرطون بالحديث والمزاح في المجالس المختلطة، ويجلسون سوية على سفرة الطعام ويقومون بتبادل السؤال عن أحوال بعضهم وبيان القضايا والشؤون العادية في محادثاتهم الهاتفية، وفي نفس الوقت لا يصدر عنهم أي مسألة خارجة عن العرف ولا أي حادثةٍ بعيدة عن الشؤون الأخلاقية؛ وبالتالي كيف جاء الأمر في هذه الوصية بالاحتراز عن التعامل وتبادل أطراف الحديث والعلاقات العادية؟!

ينبغي أن نقول في الإجابة ما يلي: إنَّ خلقة الإنسان والغرائز الكامنة فيه تسعى بذاتها ومن تلقاء نفسها للارتباط والتعلّق والاتجاه نحو الجنس الآخر، ولا فرق في هذه المسألة بين المرأة والرجل، رغم أنّه في بعض الموطن تكون هذه الميول أقوى عند الرجل بسبب بعض الأولويّات والمُرجّحات، كما أنّها تكون في بعض الموطن بالعكس أيضاً، ولا يمكن لأحدٍ أن يُنكر هذا الأمر؛ لأنّ وجود هذه المسألة من البديهيّات والضروريّات الثابتة في نظام الخلقة.

ذرّه ذرّه كاندر اين ارض و سماست ** جنس خود

را هچو كاه و كهربا ست[1]

[يقول: كلّ ذرّة في الأرض والسماء تجذب نظائرها كما تجتذب القشّ الكهرباء.]

وينبغي أن نُضيف إلى هذه النقطة أنَّ الحالات النفسيّة والاقتضاءات المقتضيات الجسميّة

---

[1] المثنوي المعنوي، الدفتر السادس.

والروحيّة للشخص ليست واحدةً في كافّة الأوقات والأماكن والظروف وليست بنحوٍ واحدٍ على منوالٍ واحد وبابتجاهٍ واحدٍ، وكثيرًا ما يحصل أن لا يملك الإنسان في ظروفٍ خاصّةٍ الجهوزيّة الروحيّة اللازمة للتعامل مع الجنس الآخر، ولا يرى في نفسه ميلًا لتبادل الحديث أو التواصل، ولكن نفس هذا الشخص قد يكون في ظروفٍ أخرى متشوّقًا ورغبًا في هذا الموضوع، وعلى هذا الأساس، فإنّ الإجابة على الإشكال ستتضح بنفسها؛ لأنّه:

أولًا: مع وجود الغرائز الكامنة والميول المخفيّة، من الممكن جدًا أن يفتح هذا الارتباط نافذةً في الذهن والنفس لدى الطرفين أو لدى أحد الطرفين رويدًا رويدًا وبصورةٍ غير واضحةٍ وغير معلنةٍ نحو دخول الخواطر والتصوّرات والتخيّلات غير المناسبة، وبعد مُضيّ زمانٍ تُسيطر هذه التخيّلات والتصوّرات بصورةٍ ثابتةٍ وراسخةٍ على فضاء القلب والذهن؛ فتستولي على قلب الشخص بالإكراه وتُصبح هي

صاحب الدار ثمّ تطرد الجوّ الروحاني وسكينة الخيال والراحة من المتاعب من داخل هذا الفضاء؛ وهذا يكون السيف قد سبق العذل، إذ يُصبح الشخص بكافّة ميله وغربته وفكره واعتقاداته العقلانيّة والشرعيّة والإجتماعيّة والفطريّة تحت تسخير وسيطرة هذه القوى وصاحب الدار الجديد.

اذه ةلاحلا نم ريثكلا نم ةديدعلا يتلا تُفدصت يسفنب ريثك نم ءاسنلا، ةنتوّعتم فانصأ ٍدارفأ يف كلذو ،ليبقلا نيب ةلمسألا هذه يف قرف لا هنأَّ نعاذعلإا يغبنيو ،ءاملعلاو ،ميّلاعلا نيب ال ؛مهريغو نيملعتملاو ميّلاعلا نَّأ ظورفلا ةينطابلا تافصلاو ليومل ةنمانكا تسيل ديدئزغلاو ،صخشلا، سوكيو نمحكوم ابتّاعها ءافتقاو رهاثأ يف ةلاحلا هذه.

:ملسّو هلآو هيلع الله ىلصّ الله لوسر لاق اذلو

«[1]»

يعني: «ةأرملا هجو ىلإ رظنلا» لثم ٍمهسِ نم مهاسم نيطايشلا تيلا بلق بيصتُ، يمدآلا فيوقت نع لمعلا ويُدمّره».

يف دحأ ايلاملأ تأتي بابشلا ىلإ ضحمر لوسر الله ىلصّ الله هيلع هلآو ملسّو لاقو:

ايا لوسر الله! ام اذلا يثدحت انل ثيحب ذنعام نوكن يف كرضحم نوتسنمع ىلإ كلتاملك كئاصنو ىلإ نيدلا

---

[1] ١٨، ص ٤، ج ،هيقفلا ةرضحلا نم لا.

معارفك، فإنّنا نشعر بحالة الجذبة والروحانيّة ونشعر
في أنفسنا وكأنّنا نطير في السماء وليس لدينا أيّ تعلّقٍ
بالأرض وبأهلها، ونُشاهد أنفسنا في فضاءٍ خالٍ من
الروح والحنين والمعنويّة، ولا نرغب في الخروج من
هذا الجوّ والفضاء أبدًا، ونريد باستمرار أن نبقى في هذه
الجذبة الروحانيّة والنفحة الرحمانيّة؛ ولكن بمُجرّد أن
نترك محضرك ونذهب إلى الطرق والمناظر العامّة،
وتقع أعيننا على امرأةٍ، فإنّنا نخسر تلك الحالة والرغبة
والنشاط وتلك الروحانيّة التي اكتسبناها، وفجأةً تزول ثمّ
نُعاود الانغماس في هذه الدنيا، ونتنزّل من هذه المرتبة
ومن تلك المنزلة إلى حضيض الكثرات والشهوات
والنفسانيّات؟!

فقال النبي: لو أنكم تثبتون على هذه الحالة مدة، لرأيتم ما أرى! ولسمعتم ما أسمع![1]

---

[1]: الكافي، ج ٢، ص ٤٢٣:

عليُّ بنُ إبراهيم، عن أبيه وعدةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد ومحمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن محمد بن النعمان الأحول عن سلام بن المستنير، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه محمد بن أعين وسأله عن أشياء فلما هم محمد بن الفيض بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: **أخبرك أطال الله بقاءك وأمتعنا بك أنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا.**

ثم قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: أما إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله اختلف علينا النفاق. قال فقال: وما تختلفون لذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكرتنا رغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت ومشمنا الأولاد ورأينا العيال والأهل، يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك حتى كأنا لم نكن على شيء. أفتخاف علينا أن نكون لذلك منافقين؟

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا إن هذه خطوات الشيطان يغرغر بكم في الدنيا ولولا تذنبون لخلق الله خلقاً حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم. إن المؤمن مفتن توابٌ أما سمعت قول الله عز وجل: {إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين}؟ وقال: **{وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه}**.

(*) سورة البقرة (٢) ذيل الآية ٢٢٢.

(*) سورة هود (١١) صدر الآية ٣. (م)

ثانياً: على فرض أنّ الإنسان يستطيع السيطرة على نفسه، وعلى ميوله، ولن تكون لهذه العلاقات أيّ تأثيرٍ على أفكاره وخيالاته، وأنّه يستطيع أن يكمل سيره التكامليّ وحركته الصعوديّة وهو في هذه الحالة وفي وضعه الثابت المستقرّ، ولكن هل يستطيع أن يدفع آثار هذا النحو من الارتباط عن الطرف المقابل أيضاً؟

ولذلك في المواطن التي يؤدّي فيها عمل الإنسان إلى وقوع شخصٍ آخر في المعصية فيرتكب فعلًا حرامًا، فإنّ ذلك الفعل يكون حرامًا على الإنسان نفسه أيضاً.

على سبيل المثال، يقولون: إنَّ ستر البدن بتمامه غير لازم للرجل ويجب تغطية مواضع الحرمة فقط، ويستطيع الإنسان أن يظهر في الشوارع وخارج المنزل حتّى بدون أن يستر كافّة بدنه. وهذه المسألة غير تامّة، بل تصحّ في حال لم يقع نظر المرأة غير المَحرَم على بدن الرجل؛ وفي غير هذه الحالة يجب على الرجل أن يستر بدنه؛ لأنَّ المرأة بسبب النظر إلى بدن الرجل

ستترتب عليه أحكام؛ وكان سبب ذلك هو عدم مراعاة الرجل للحشمة.

ثالثاً: إنَّ هذا التصوّر بأنّه لا تأثير أبداً للعلاقة بين المرأة والرجل على أفكار الطرفين وخلقهم وسلوكهم أمرٌ باطلٌ؛ لأنَّه في العديد من المواطن قد يرتكب الإنسان خطأً في تشخيصه، فلا يفهم أنَّ هذه الحالة مضرّةٌ له وتُؤدّي إلى إيقافه عن الحركة وإلى ركوده.

نموذجان عن استتار المرض في الإنسان

ونظير هذه المسألة قد يقع في المسائل الفيزيائيّة والجسمانيّة للإنسان؛ فمثلاً: إنّ دفاع البدن مقابل دخول المرض أو الإحساس بالألم، يُنبّه الإنسان على وقوع مثل هذا الخطر، وقبل أن يضعف العضو يُرسل الجهاز العصبيّ التنبيه اللازم عبر الشعور بالألم فيتّجه ذهن الإنسان نحو العلاج مباشرةً، ولكن في بعض الأحيان لا يجري الأمر على هذا النحو؛ كما في السنّ إذ كثيراً ما لا يلتفت الإنسان إلى مدى تآكل السنّ وزوال الجدار الداخلي للسن لاستوسه، وبعد أن يمضي وقتٌ يكون السيف قد سبق العذل فيفسد عصب السنّ.

نموذجٌ آخر في الجسم، إنّ (**التنظيم الذاتي الدماغي**)[1] في الجهاز العصبي هو المسؤول عن تنظيم ضغط الدمّ والتحذير من ارتفاع ضغط الدمّ أو انخفاضه، ولكن في بعض الحالات، لا يعمل هذا المنبّه ويَعرُض الإنسان عارضُ فرطِ ضغط الدم على الشخص المريض أو بعبارة أخرى: **القاتل الخفي**[2]، ويظنّ المريض نفسه شخصاً سالماً خالياً عن أيّ عارضٍ؛ ولذلك لا يُقدم على علاج ذلك، وبالنتيجة يُبتلى بعوارض مرضه.

عدّة حرمة السكن في بلاد الكفر

ولذلك عندما قال الأعاظم: إنّ السكن في بلاد الكفر حرامٌ، فلأجل هذا السبب؛ يعني: لا يلتفت الإنسان في أغلب الأحيان أثناء إقامته في بلاد الكفر وابتعاده عن الجوّ المعنويّ والروحاني للإسلام وغلبة جوّ الكفر، إلى التحوّل والتغيّر في صفاته وحالاته النفسانيّة، ولا يظنّ أنّ نفسه تأثّرت بالثقافة والأوضاع الغالبة هناك؛

---

[1] Automatic regulation

[2] Silent killer

ويتصوّر أنَّه بمجرّد أداء الصلاة والصوم ومساعدة المحتاجين وإتيان الحجّ ودفع الحقوق الشرعيّة، لم يتطرّق أيّ خللٍ أو نقصانٍ في مذهبه وعقيدته وسلوكه، وأنَّه سيؤدّي الامتحان كما يرضى الله.

وقد حصلت هذه المسألة مع العديد من الأشخاص المرتبطين مع كتاب هذه السطور، رغم أنَّ الإنسان في مثل هذه الظروف حتّى ولو لم يتراجع القهقرى ولم تتبدل أوصافه الحسنة إلى الرذائل، إلّا أنّه سيكتسب بالتدريج صبغة ثقافة الكفر في صفاته وخصاله الأخلاقيّة وسلوكه المعنويّ، وستصبح أعماله وسلوكياته وعباداته كالخشب الجاف فقط، وستكون بلا أيّ تأثيرٍ معنويٍّ ولا جذبة روحانيّة؛ ولا يطرف طرفةً من العمر إلّا ويجد أنّ رأس المال الوجود قد مضى ويجد أنّ صحيفة عمره انقضت بطالاً وعبثاً، ويعود إلى ذلك العالم خائباً خاسراً خالي الوفاض بدون تحصيل أيّ تجيةٍ

إيجاد بيئةٍ مناسبةٍ لتحصيل الأمان الأخلاقيّ والتوازن الروحيّ هي وظيفة الجميع

ولذلك، فإنّ وظيفة كلّ فردٍ فردٍ، وخصوصاً الحكومة الإسلاميّة في المجتمع الإسلاميّ، هي إيجاد مثل هذا الفضاء وإيجاد هذا الجوّ لتحصيل الأمان الأخلاقي والاعتدال الروحيّ؛ جوٍّ وفضاءٍ حيث يستطيع كلّ فردٍ مكلّفٍ وعاقلٍ أن ينال أعلى مرتبةٍ من

مراتب الكمال الإنساني والمعرفة الربوبيّة، ولا يقع أيّ مانع أو رادعٍ في طريق وصوله إلى هذه الغاية القصوى.

رغم أنّ هذه الوصيّة موجّهةٌ بحسب الظاهر إلى الابن الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام، ولكن من الذي لا يعلم أنّ مراد الإمام عليه السّلام ومقصوده لا ينحصر بالإمام المجتبى عليه السّلام؟! بل هي تشمل جميع شيعته وموالِيه، بل أبعد من ذلك، إنّها تشمل جميع أهل الدنيا الذين غايتهم وهدفهم في هذه الدنيا الحياة العقلانيّة في ظروفٍ مناسبةٍ وفي جوٍّ من الأمان وطمأنينة النفس وفراغ البال.

وصايا أمير المؤمنين كلام هي الكافّة الأعصار والأمصار

وكما ذكر في آخر وصيّةٍ له حيث أوصى بها في آخر ساعات حياته، وقال ما يلي:

«أُوصيكما وجميعَ وُلدي وأهلي ومَن بلَغَهُ كِتابي بتقوَى الله ونَظْمِ أمرِكم ...»[1]

---

[1]. نهج البلاغة (عبده)، ج ٣، ص ٨٥.

يعني: «أوصيكما أنتما الاثنين (الحسن والحسين) وجميع أبنائي وأهلي وكلّ شخصٍ بلغته وصيّتي ورآها أو سمعها أو قرأها، بتقوى الله وتنظيم أموركم».

وهذا الأمر واضحٌ تمامًا أيضًا في العهد الذي كتبه الإمام عليه السلام لمالك الأشتر، فهو كان يعلم أنَّ ناصره ومعينه مالك الأشتر سيستشهد في وسط الطريق [إلى مصر] مسمومًا. فيدوّن مثل هذا العهد له؟! إنّ هذا العهد الذي هو بشهادة جميع الخبراء وأرباب السياسة ومدوّني القوانين الاجتماعيّة والسياسيّة لم يكتب نظيره إلى الآن في جامعيته وشموليته.

وسرّ هذه المسألة أنَّ الإمام عليه السّلام أبٌ ومربيّ وهادي وآخذ بيد كافّة أفراد بني آدم إلى يوم القيامة؛ وقد ألقيت هذه المسؤوليّة على عاتقه؛ لأنّه وصل إلى مرتبة العصمة المطلقة وكلامه يتّصف بالأبديّة والدوام، وبالتالي ينبغي أن يكون لديه إحساسٌ بالمسؤوليّة والتكفّل لجميع الأفراد سواءً عاشوا في زمان حياته أم أولئك الذين سيأتون إلى مصحن الوجود إلى يوم القيامة؛ وهذه هي الوظيفة التي ألقاها الله على عاتق الإمام المعصوم عليه السلام فقط وفقط، وليس

على عاتق شخصٍ آخر وإن بلغ المراتب العليا من العلم والاطّلاع والتجربة.

ولهذا السبب كانت وصيّة الإمام عليه السلام أبديّة، ولذلك دوّنت لكلّ شخصٍ يضع قدمه في هذه الدار ولكلّ شخصٍ مُهرت ماهيته بهويّة الشخص والوجود.

كيفيّة مخاطبة أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام في هذه الوصيّة

والمسألة الأخرى التي ينبغي الاهتمام بها، هي كيفيّة مخاطبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام؛ فكما يبدو جليّاً من لحن الخطاب في هذه الوصيّة، رغم أنّ الإمام عليه السلام لم يُصرّح بابنٍ خاصٍّ من خلال عبارة: «إلى المَولود المُؤمِّل ما لا يُدرِك»[1]؛ ولذلك فإنَّ البعض بالاستناد على بعض الأدلّة، يرون أنّه كانت موجّهةً إلى محمّد بن الحنفيّة لا ابن آخر للإمام عليه السلام، ويعتبرون أنَّ الموصى من قبل الإمام عليه السلام في هذا الكتاب هو محمّد بن الحنفيّة؛ في حين أنّ مقتضى

---

1. نهج البلاغة (عبده)، ج ٣، ص ٤٢.

العرف هو مراعاة جانب المسائل العرفيّة من قبيل الأولويّة في السنّ والأولويّة في النسب وسائر خصائص الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام.

كلمات أمير المؤمنين وباقي الأئمّة عليهم السّلام في مثل هذه المقامات لا تنافي مقام عصمتهم

إنَّ المسألة التي يعتمدون عليها كي يتصوّروا مثل هذا التصوّر هو ما يلي: إنَّ بعض العبارات [الواردة فيها] من قبيل: «عَبِدَ الدُّنيا وتاجِرِ الغُرور» ومثل: «صَرِيعِ الشَّهَواتِ» لا تتماشى مع مقام الإمام عليه السّلام والعصمة المطلقة، وبالتالي فإنّ أنّ المقصود من المولود في هذه الفقرات هو وجنابه محمّد بن الحنفيّة، وإنّما يجب إخراج هذه الفقرات عن معانيها الأصليّة والوضعيّة، وتوجيهها بتوجيهاتٍ وتأويلاتٍ ومجازات، وتحديد معنى مغاير لمفاهيمها الواقعيّة.

وبالطبع مع غضّ النظر عن أنَّ مثل هذه النظرة في حدّ ذاتها بعيدةٌ عن شؤون مباني المحاورة وقواعد الأدب [العربي]، فنظرًا لخصوصيّة المقام حيث الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام من جهةٍ وابنه النجيب الإمام

الحسن المجتبى عليه السلام من جهةٍ أخرى، فإنَّه سيكون غير منسبأ وأكثر توهينًا وبعدًا عن التعقّل والتأمّل؛ لأنَّ اقتضاء مقام الإمامة في الإمام المجتبى عليه السلام تتناقض مع أصل هذه التعابير، سواءً حُملت على معناها الأصلي أم تمّ توجيهها وتأويلها؛ لأنَّ نفس استعمال اللفظ موجبٌ للتوهين وهتك حرمة الإمام، وصدور هذه المسألة عن الأفراد العاديين أمرٌ مستهجنٌ، فما بالك لو صدرت عن إمامٍ معصومٍ مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وعلاوةً على ذلك، هل تختصّ هذه العبارات بهذه الوصيّة؟! فإذا كان الإمام عليّ عليه السلام قد خاطب ابنه الذي لم يصل بنحوٍ رسميٍّ لمرتبة الولاية والإمامة بعد بهذا الخطاب واستعمل مثل هذه الكلمات والعبارات، فماذا ستقولون في فقرات دعاء أبي حمزة الثمالي حيث يخاطب الإمام السجاد عليه السلام ربّه في أثناء تصدّيه لمرتبة الولاية المطلقة والإمامة الكليّة، فيقول:

«أنَا الّذي عَلَى سَيِّدِه اجترَى، أنَا الّذي عَصَيتُ جَبّارَ السَّماءِ، أنَا الَّذي أعطَيتُ عَلَى مَعاصي الجَليلِ [المَعاصي جَليلَ] الرُّشا».

يعني: «أنا الشخص الذي تجرّأ وتجاسر على مولاه وسيّده، أنا الذي واجهتُ وقابلتُ ربّ السماء مع هيمنته وجبروته، أنا ذلك الشخص الذي دفعتُ الرشوة من أجل الوصول إلى المعاصي الكبيرة!».

وهل يمكن القول: إنَّ الإمام المعصوم عليه السلام يُقدم على مثل هذه الفواحش والذنوب؟! أو هل يُمكن أن نتصوّر بأنّ الإمام عليه السلام قصد من هذه الألفاظ والعبارات معاني أخرى غير معناها ومفهومها الوضعي والأصلي؟!

أو كما نقرأ في مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة:

«يَا مَوْلَايَ، أَنْتَ الْجَوَادُ وَأَنَا الْبَخِيلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْبَخِيلَ إِلَّا الْجَوَادُ ... يَا مَوْلَايَ، أَنْتَ الْهَادِي وَأَنَا الضَّالُّ وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّالَّ إِلَّا الْهَادِي ... يَا مَوْلَايَ، أَنْتَ الْغَفُورُ وَأَنَا الْمُذْنِبُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُذْنِبَ إِلَّا الْغَفُورُ».

من الطبيعي أنّ تصوّر الخلل أو الضلال أو صدور الذنب من الإمام المعصوم عليه السلام محالٌ وممتنعٌ، سواءً شاء أن يُخاطب الناس أم يناجي الله، ففي كلّ الأحوال، المحال محالٌ، ولا فرق في ذلك.

قال البعض: إنَّ الإمام عليه السلام قد استخدم هذه العبارات والكلمات في مقام الخضوع والخشوع والمسكنة مقابل الله تعالى، وبعد أن انكشفت له عظمة حضرة الحقّ جلاله وكبرياؤه، اعتبر نفسه متّصفاً بالصفات الرذيلة، وخاطب إلهه بهذا الخطاب.

ويبدو لنا أنّ هذا التبرير غير مُبرّر وغير مناسب، بدليل:

أوّلاً: كلّ ذنبٍ أو طاعةٍ لهما حكمٌ وتكليفٌ من الله، ولهما مفهومٌ خاصٌّ وحدودٌ معيّنةٌ، فهما يختلفان عن بعضهما من هذه الناحية، هذا على الرغم من أنَّ تركهما أو إتيانهما سيجعل المكلّف إمّا يحصل على الثواب أو العقاب على قدم المساواة.

مثلاً: حقيقة الصلاة تختلف عن الصوم على الرغم من كون كلّ واحدٍ منهما واجباً وإلزامياً؛ أو مثلاً: حقيقة شرب الخمر تختلف عن الرشوة للحصول على الأمور المذمومة، رغم أنَّ كليهما حرامٌ ويستوجب فاعلهما

العقاب، ومن هذا، كيف يُمكن للإمام عليه السلام أن يخاطب الله في الوقت الذي لم يشرب فيه الخمر ويقول: إلهي، لقد شربتُ اليوم الخمر؟! فهذا الكلام سيكون كذباً محضاً؛ حتّى لو صدر من باب التواضع وبنيّة استحقار النفس والاستخفاف بها.

مثلًا: لو كان الإمام زين العابدين عليه السلام بالنسبة لوالده الإمام سيّد الشهداء عليهما السلام؛ يخاطب الله قائلًا: إلهي، والدي هو فلان العربيّ البدويّ الساكن في الصحراء، ومراد الإمام من ذلك التواضع والاستخفاف بنفسه، فهل هذا العمل صحيح ومقبول؟ كلّا، بل هذا كذبٌ وحرامٌ؛ لأنّه قلبٌ للواقعيّات، وقلب إحدى الواقعيّات حرامٌ عقلًا وعرفًا وشرعًا وهو أمرٌ باطلٌ؛ حتّى لو كان من باب التواضع.

ثانيًا: يستطيع الإمام عليه السلام إظهار العجز والمسكنة والذلّة مقابل كبرياء الله جلّ جلاله، ولا داعي لاستعمال هذه التعابير بحيث يتسبّب في حصول الشبهة وتشويش الأذهان ووقوع الشكّ بين الناس حول حقيقة الولاية؛ وهذه النقطة مشهودة في كثيرٍ من أدعية وآثار المأثورة عن الأئمّة عليهم السلام.

وقال البعض أيضًا: إنّ مُراد الإمام عليه السلام عند مقام التكلّم ليس شخصه هو؛ بل أراد أن يضع نفسه نائبًا عن باقي الأشخاص والمذنبين وأن يقوم بمناجاة الله من

طرفهم وبالنيابة عنهم؛ مثل الحاكم والسلطان الذي على ارتباط مع باقي الأمم والدّول، ويعتبر نفسه نائباً عن أُمتّه وشعبه ويلقي كلامه إلى المخاطبين بنحو الحكاية عن كلام الأمّة.

وهذا التبرير غير مقبول أيضاً؛ لأنّه:

كيف للشخص الذي يعتبر نفسه مُبرّأً عن هذه الأوصاف أن يعتبر نفسه من خلال هذه التعابير أنّه داخلٌ في زمرة أهل الفسق والفجور؟ فالمتكلّم في مقام النيابة عن فردٍ أو أفرادٍ يكونون مشتركين في جهةٍ أو جهاتٍ متعدّدةٍ في العنوان والصِفة، إذا كان غير متّصفٍ ولا مُعنونٍ بتلك الجهة أو تلك الجهات، لا يجب أن يتحدّث بطريقة تجعل المخاطب يعتبره موافقاً لرأيهم وأنّهم متفقون في السليقة؛ ومامرامه ومرامهم واحد، وأنّهم مُتفقون في السليقة؛ وما ذُكر في هذه العبارات مُعاكسٌ لهذا الأسلوب تماماً. ولو أنّه اعتبر نفسه في مقام النيابة داخلاً في زمرة الآخرين وعدّ نفسه من ضمنهم، سيبقى الإشكال والنقد مطروحاً هنا أيضاً؛ كما تمّ مراعاة هذه النقطة في العديد من

الأدعية المأثورة عن المعصومين عليهم السلام؛ على سبيل المثال في مناجاة ودعاء صاحب الأمر عجّل الله فرجه الشّريف، يُخاطب الله قائلًا:

«اللَّهُمَّ إِنَّ شِيعَتَنَا خُلِقَتْ مِنْ شُعَاعِ أَنْوَارِنَا وَبَقِيَّةِ طِينَتِنَا، وَقَدْ فَعَلُوا ذُنُوباً كَثِيرَةً اتِّكَالًا عَلَى حُبِّنَا وَ وَلَايَتِنَا فَإِنْ كُنْتَ ذُنُوبُهُمْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ فَقَدْ رَضِينَا وَمَا كَانَ مِنْهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ فَأَصْلِحْ بَيْنَهُمْ وَ قَاصَّ بِهَا عَنْ خُمُسِنَا وَ أَدْخِلْهُمُ الْجَنَّةَ وَ زَحْزِحْهُمْ عَنِ النَّارِ وَ لَا تَجْمَعْ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ أَعْدَائِنَا فِي سَخَطِكَ»[1]

فهنا نلاحظ أنَّ الإمام عليه السلام في مقام الشفاعة لأمته المذنبة، ونلاحظ كيف يتجاوز عن أعمالهم وسلوكهم، ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل كلّ حسنات الأمّة بشفاعته.

وقد وجّه البعض الأمر بهذا النحو: إنَّ مراد الإمام عليه السلام من هذه التعابير هو جنبة تعليم الأشخاص وتربيتهم، لا أنَّه هو نفسه متّصف بهذه الأوصاف، وذلك

---

[1]. بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٣٠٢.

بهذا النحو: يجب على الإنسان المذنب في مقام العجز والاستغاثة وطلب العفو من الله سبحانه وتعالى يجب عليه أن يُفكّر في ذنوبه وأن يُخاطب الله بحالةٍ من الإنابة والمسكنة والشعور بالخطأ؛ وأن يسأله الرحمة والرأفة؛ وبالطبع فإنَّ كلّ إنسانٍ سيكون مرتكباً لذنبٍ خاصّ وخطأ مُعيّنٍ في حدود التصرّفات والأعمال التي صدرت عنه، والإمام عليه السلام إنّما نبّه على بعض هذه المعاصي في هذه الفقرات من باب المثال والنموذج؛ وإلّا يجب على السارق الاعتراف بالسرقة وعلى الكاذب أن يعترف بكذبه وهكذا....

هذا التوجيه والتبرير أكثر وهناً ممّا سبق، ولا أساس له أكثر من باقي التبريرات السابقة؛ إذ كيف تنسجم حالة الإمام عليه السلام وكيفيّة التجاءه وابتهاله وبكائه وإنابته مع هذا التوجيه؟! فهل الإمام مثل المُمثلين الذين يُمثّلون ويظهرون بآلاف الأدوار التي تُمثّل شخصيّة الآخرين، ويرسمون حالتهم التصنعيّة والمجازيّة بصورة الحقيقة والواقع؟!

والآن حيث إنّ الحديث وصل إلى هنا، لذا من المناسب أن نبسط الحديث فيما يرتبط بهذا الموضوع، وأن نكشف الستار عن هذا السرّ الذي ما زال مُغلقًا بالنسبة للعديد من الأشخاص.

حقيقة الإنسان عبارة عن نفسه وروحه القدسيّة

إنّ حقيقة الإنسان عبارةٌ عن النفس والروح القدسيّة التي تنزّلت من ذات الباري بنفخةٍ تكوينيّةٍ في قالبٍ مثاليٍّ ومادّيٍ واختارته كمأوى ومسكن؛ وبواسطة هذا التنزّل الذي يلزم عنه التعلّق بعالم الكثرة، سيُصبح متّصفًا بصفة الشهوة والغضب والأنانيّة والتمحور على الذات والميل نحو الكثرة. بخلاف الملائكة الموجودين في عالم التجرّد، والمشغولين بالتسبيح والتقديس وتنفيذ أوامر الله بدون الاتصاف بالشهوة والغضب وحبّ الكثرات والأنانيّات؛ ولذا فإنّ صدور الذنب والمعصية النابعة عن الأنانيّة والتمحور على الذات والتكبّر والعناد، سيكون أمرًا محالًا عليهم.

فإنَّ الملائكة وصلوا إلى الفعليَّة العقلانيَّة من جهة خلقتهم وهويتهم، وكلّ واحدٍ منهم يستفيد من علم الحقّ الملاتنهاي بحسب مرتبته التجرّديَّة، ولذلك لن يضاف لها شيءٌ طوال بقائها وحياتها من ناحية السير الطولي والسعة الوجوديَّة ولن تنقص منها مرتبةٌ، وبواسطة نفس هذه الفعليَّة، لا يصدر عنها أيّ ذنبٍ أو عمل مخالفٍ للرضا الإلهي. ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1].

جهة اختلاف الإنسان عن الملائكة في مبدأ الخلقة ومنتهاه

وأمّا الإنسان فإنّه يختلف عن الملائكة من ناحيتين **الأوّل**: الاختلاف في المبدأ؛ **الثاني**: الاختلاف في المنتهى.

وأمّا الاختلاف في المبدأ فهو على هذا النحو:

إنَّ نفس الإنسان وروحه نشأت وخُلقت من حقيقة ذات الباري تعالى الذي يُعبر عنه بروح الله والحقيقة

---

1. سورة الأنبياء (٢١): الآية ٢٦ والآية ٢٧.

البسيطة وقام الهوهويّة مثلما صرحت الآيات القرآنيّة بهذه المسألة:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

ولهذا السبب، الإنسان هو المخلوق الوحيد من بين جميع أصناف الخلائق الذي لبس خلعة الخلافة الإلهيّة؛ لأنَّ جامعيّة الذات للأسماء والصفات الكليّة تقتضي جامعيّة المنشأ من الذات الذي هو نفس الإنسان وروحه؛ وبواسطة هذه الجامعيّة وهذه المبدئيّة الواقعة في السير الطولي، يستطيع الإنسان أن يصل إلى المرتبة التجرّديّة لمعرفة الذات وأن ينال الفناء الذاتي، وبعد الفناء الذاتي تظهر في مرحلة البقاء وتبرز جامعيّة أسماء الحقّ وصفاته في منصّة الظهور والبروز.

ولكن بما أنَّ خلقة الملائكة تعود إلى ما دون مرتبة الذات؛ أي إنَّ نشأتها تحققت في مرتبة العلم والقدرة الربوبيّة؛ لذا بالطبع لن تتمتّع بمثل هذه الجامعيّة،

---

1. سورة ص (٣٨): الآية ٧٢.

لا تأتهما سيرها الطويل نفس مرتبة شأنها وسيكون غاية أكثر، ولا يُصوّر الفنان الذاتي بالنسبة لها.

وأما الفرق الآخر، فهو من جهة انتهاء الخلقة في نشأة الشهادة وعالم الطبع، وذلك بهذه الكيفيّة، وهو أنّ النفس والروح الآدميّة تتعلّق بعد الخلقة والتشكّل ـ بحسب السعة الوجوديّة لكلّ فرد ـ في التنزّل لمراتب الأسماء والصفات إلى أدنى العوالم الذي هو عالم المادّة والطبع؛ وبواسطة هذا التعلّق يحصل الارتباط بالقالب الجسماني والماديّ؛ ويلزم من هذا الارتباط حدوث الغرائز والصفات والملَكات المُساخنة والموافقة مع هذا العالم كغريزة الشهوة التي من أجل الاستمرار وحفظ النسل؛ أو الغضب الذي من أجل الدفاع ضدّ موانع الحياة ومن أجل تأمين مصالح البقاء، وغريزة الحبّ والرأفة، وأمثال ذلك.

ولا فرق في هذه المسألة بين مختلف الناس مع وجود درجاتهم المختلفة؛ يعني: كما أنَّه يلزم عن وجود الإنسان في هذا العالم وجود غريزة الشهوة والغضب وغيرها من الغرائز لديه، وبدون هذه الغرائز سيكون استمرار الحياة مرهونًا بالخطر، كذلك فإنّ الميل نحو

ٍالجنس الآخر والتعلّق المخالف موضوعٌ في باطن كلّ فرد
من أفراد بني آدم، سواءً كان هذا الميل في أفراد البشر
العاديّين أم في الأولياء والمعصومين عليهم السلام؛
فكما أنّنا نستلذّ بالرائحة العطرة، ونبتهج بالوجه الجميل
ونُسرّ للصوت الموزون، فكذلك الإمام عليه السلام
يستمتع مثلنا بهذه الأمور أيضاً؛ وكما يستلذ الأفراد
العاديين من النساء والرجال بضمّ بعضهم البعض
ويرغبون باستمرار ذلك، فكذلك أولياء الله يرغبون
بذلك أيضاً؛ وكما أنَّ الآلام والابتلاءات الدنيويّة تُؤلم
روحنا وجسمنا كذلك تؤلمهم أيضاً؛ وعلى هذا قس....

وأولئك الذين يقولون: إنَّ الإمام عليه السلام بعيد
عن العلاقات الجنسيّة فقط لأجل حفظ الظاهر يبادر
إلى الزواج لأجل بقاء النسل ولا يحصل لديه أي لذة من
هذه العلاقة، أو أنَّه لا نصيب له من نكهة المأكولات
والمشروبات؛ أو أنَّه لا يتأثر بالأمور التي عادة توجب
الحدث كسائر الأفراد ولا يحتاج إلى الغسل والوضوء،
كلّها ناشئة من جهل الأفراد بموقعيّة وشأن الإمام عليه

الاستئثار والالتذاذ بهذه الأمور. إنّهم يتصوّرون أنّ الإمام عليه السلام، بأسباب الحدث يتنافيان مع شأن الإمام عليه السلام، وساحةُ قدسه وطهارته بعيدةٌ عن هذه المسائل؛ وما شابه من التفكير الباطل والفكر العابث!

إنّ الشهوة والغضب، واللذّة والألم والحدث وغيرها، تتنافى مع هويّة الملائكة وصفاتها، لا مع الخصوصيّات الخَلقيّة والخُلقيّة للإمام عليه السلام؛ ولو لم يكن الأمر كذلك، لما استطاع الإمام عليه السلام أن يكون أسوةً ونموذجاً لنا، وما كان لقصّة يوسف عليه السلام أيّ قيمةٍ بالنسبة لنا، وماذا ستكون ثمرة القصّة العجيبة الغريبة لهجرة السيّدة هاجر مع ابنها إسماعيل وقصّة ذبحه بيد إبراهيم الخليل؟ وما هي التعاليم التي ستحويها وتفيدنا في مسيرتنا نحو قطع التعلّقات وتحقّق التوحيد؟ والأهمّ من الجميع هو الواقعة الفريدة على مرّ العصور، قضيّة عاشوراء الحسينيّة، فما الرسالة التي ستحويها الأجيال اليقظة الحرة المطالبة بالتحرّر من القيود النفسانيّة والحبال الشيطانيّة والتحرّر في الفضاء الملكوتي؟

فهل في خلقتنا وخلقتهم مثل هذا المصير بحيث تتألّم نحن وننصب مجالس العزاء لخسارة أبنائنا أمّا هم فلا؟

واعجباً من الكلام اللغوي والفارغ! فأين الرضا بإرادة الله ومشيئته في مثل هذه الأحداث؟! وأين تقبّل مشيئته وتقديره؟! وأين عدم التألّم والتأثر وحرقة القلب في مثل هذه المصائب؟ لا يوجد أيّ تلازم بين هاتين الظاهرتين على الإطلاق.

يظن بعض من ليس لديه علمٌ ولا إطّلاع ما يلي: بما أنّ الأولياء الإلهيّين وعلى رأسهم الأئمّة المعصومين عليهم السلام في مرتبة التوحيد، لذا فإنّهم يعدّون كافّة الأمور من ذاتيّة الله، وينسبون كلّ الذوات مع ماهياتها المختلفة وصفاتها المتباينة إلى ذات الحيّ القيّوم بسبب الإدراك الشهودي للتوحيد بالأسماء والصفات والأفعال، فلا يعتبرون أيّ ظاهرةٍ أو صفةٍ أو فعلٍ في العالم خارجاً عن دائرة الوجود؛ حيث إنّ دائرة الوجود خيرٌ محضٌ لذا بالطبع ستكون آثار الوجود وتراشحاته خيرًا جميلةً أيضاً، وبالتالي في تلك المرتبة لن يكون للرائحة النتنة أي مفهومٍ بالنسبة لهم، وسيكون المرّ والحلو سيان بالنسبة لهم؛ وهكذا....

إنّ هؤلاء الأفراد ليس لديهم أدنى تصوّر عن كيفيّة تكوّن النشأتين، فهل يتنافى تصوّر انتساب جميع الموجودات إلى ذات الباري المقدّسة مع هويتهم الخارجيّة بحيث تكون إحداهما مرّةً والأخرى حلوةً؟! وهل يتعارض رؤية تجلّيات وظهورات حضرة الحقّ بنحوٍ جميلٍ والتفكير فيها بنحوٍ حسنٍ مع حدّة السكين وتقطيع الجلد واللحم؟! لا يقتصر الأمر على أنّه لا تعارض ولا تباين بين الأمرين، بل إنّه عين الجامعيّة للكثرة والوحدة في تجلّي الحقّ؛ ودون هذا الأمر، لن يكون للكثرة أيُّ معنى ومفهومٍ. إذن الأولياء الإلهيّين مثلنا يتذوّقون المرارة ويستطعمون الحلاوة، وكل ما يؤثّر علينا في عالم الطبيعة سيؤثّر عليهم أيضاً.

كافّة أفراد البشر مكلّفون وموظّفون بأداء الأوامر الإلهيّة

لقد اتضح هذا الموضوع من الجهة والحيثيّة التكوينيّة، وأما من ناحية التشريع ومقام التكليف ومراتب المعرفة والتهذيب فإنّ جميع أفراد البشر مكلّفون وموظّفون بأداء الأوامر الإلهيّة، أما التوفيق

ن آرقلا يف لوقي امك هللا ةمحر نم وهف ،بلاطملاب قيلخلا مع

:ميركلا

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1].

تأ امك ،ةيبنلا مع بطاخلا يف ةدراو تالصلا مركلأا

:ىلاعت هلوق يف هيلع هللا ةالص

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

يعني: «بواسطة الرحمة واللطف الإلهيّين كنت تتعامل مع المشركين باللين والتصرّف الجميل، ولو أنّك تعاملت معهم بالفظاظة والقسوة وقلبٍ قاسٍ بلا مرونة، لانفضوا من حولك وتفرّقوا، ولانزعجوا منك».

إنّ الله سبحانه في هذه الآية الشريفة الأخلاق الحميدة إلى نفسه، وإلى الناس وإلى آثار الأخلاق الفظاظة وسيئ إلى عالم الطبيعة والتعلّقات الدنيويّة.

تأ امك ،ةيلوملا ىلإ نيقتملا يف عادصلا:

---

1. ١٦) سورة النحل، الآية ٥٣.

2. ٣) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

«إِلٰهي، إِنْ لَمْ تَبْتَدِئْني الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفيقِ،

فَمَنِ السّالِكُ بي إِلَيْكَ في واضِحِ الطَّريقِ»

يعني: «يا إلهي! لو أنّ رحمتك ولطفك لم تشمل حالي منذ البداية، ولو لم يكن التوفيق من ناحيتك رفيق طريقي، فمن الذي يُمكنه أن يدلّني إلى الطريق الرئيسي للسعادة والفلاح وأن يوصلني ويهديني ويدلّني عليك؟!».

هذا الخطاب الصادر عن أمير المؤمنين عليه السلام هو عين الحقّ؛ إذ بدون عناية الحقّ ولطفه؛ كان من الطريف للنفس المتعلقة بعالم الدنيا وهو التورط في الشهوات والمعاصي والزلّات.

وقول عزّ وجلّ في سورة الضحى فيما يتعلّق بارتباط رسول الله مع الخالق وكيفيّة أخذ يده وهدايته:

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[1].

إن مفهوم الضلالة هو تعلّق النفس بالكثرات بدون عناية الحقّ ولن تحمل نتيجة سوى سوء الطالع والخسارة والخراب.

---

[1]. سورة الضحى (٩٣): الآيات ٦ و ٧.

ويقول في آيةٍ أخرى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾[1]!

يعني: «لو أنّ لطفنا لم يشمل حالتك، ولو أنّنا لم نجعلك ثابتًا وصامدًا أمام مطالبهم، لكنت وقعتَ في فخهم ولكنتَ مِلتَ نحو آمالهم وتطلّعاتهم وتوقعاتهم».

توجد في هذا المجال العديد من الآيات والروايات والأدعية المأثورة عن المعصومين عليهم السلام بحيث تخرج عن الإحصاء.

هناك جنبتان في كل إنسان وفق كلّ مرتبة من العلم والمعرفة والتجرّد

بناءً على هذا، فإنّ كلّ فردٍ يختبر جنبتين حيثيتين في وجوده بحسب مقدار علمه ومرتبة معرفته وتجرّده التي وصل إليها.

الجنبة والحيثيّة الأولى: هي الفقر والمسكنة والخسران التي هي لازم الدخول والوفود إلى هذه الدنيا وإلى الكثرات، والتي هي توأمٌ مع الشهوات ومحوريّة الأنا والتعدّي على حقوق الآخرين وحريمهم.

---

[1]. الآية ٧٤ من سورة الإسراء (١٧) مصدر الآية

الحيثيّة الثانيّة: هي لطف حضرة الحقّ وعنايته وتوفيقه، وهي تقتضي العبوديّة والسكينة والاطمئنان والدراية الوافية بالنظام والانسجام والتعاون والتكافل الواجبين بين الإنسان وبصحبته بشكلٍ مستمرٍّ ولن ينفصلا عنه، وسيكون كلّ واحدٍ منهما مكانه، ولن يتعارضا مع بعضهما حتّى للحظةٍ واحدةٍ ولذلك نشاهد بعض المسائل في كلام الأولياء الإلهيّين تتحدّث عن كلا الحالتين وعن كلا الروحيّتين والخصوصيّتين.

يقول الخواجة عبد الله الأنصاري في مناجاته:

إلهي! حينما أنظر فيك، فأنا من أصحاب التيجان والتاج على رأسي، وعندما أنظر إلى نفسي، فأنا من أصحاب القبور والتراب على رأسي.[1]

---

[1] ص ٢١٣؛ المناجاة ١١٢، ص {في رسالة} مناجات خواجه عبد الله الأنصاري، ص ١١٩، المناجاة ٢٢٣، مع أدنى تفاوت.

وأمّا سيّد العالمين وسيّد الكائنات فإنّه يُخاطب في مقام عزّة حضرة الحقّ، بخطاب ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾[1] وعند القرب من مرتبة الذات، والورود إلى حريم الله يُصبح متّصفاً بوصف ﴿ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى، فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾[2]؛ وأمّا في مقام العبوديّة والمسكنة والذلّة، فتجده يقول:

«اللهم! لا تَكِلني إلى نَفسي طَرفَةَ عَينٍ أبداً في الدّنيا والآخِرَةِ.»[3]

ويقول مولانا سماحة السيّد هاشم الحدّاد رضوان الله عليه:

إنّ ألف معجزةٍ ظاهريّةٍ لا تصل إلى مقدار واحدةٍ من مطالبنا ومسائلنا.

ويقول في المقام وفي المنزلة البشريّة وحول ذلّته:

---

1. النجم (٥٣): ٣ و ٤.
2. النجم (٥٣): ٨ و ٩.
3. مصباح الكفعمي، ص ٦٠٤؛ إقبال الأعمال، ص ٨١ و ١٦٠.

عندما أنظر إلى نفسي، أرى أنّ الله سبحانه لم يخلق

شخصاً على وجه الأرض أكثر تقصيراً منّي.

وكلا الحالتين صحيحٌ، وكلاهما حقّ، وعين الواقع.

فقد اعتبر أمير المؤمنين عليه السلام نفسه **قسيم الجنّة والنّار** في مرتبة ظهور الولاية وتجلّي المشيئة القاهرة، ومع إحاطته بجميع عالم الوجود رفع ندائه المتضرّع «سلوني قَبلَ أن تَفقِدوني»[1]؛ وأمّا في مقام التذلّل والخشوع ونظرة العبوديّة فصدح بمناجاة مسجد الكوفة.

لذلك لا يجب أن نفترض أن المعصومين عليهم السلام قد نطقوا بهذه العبارات فقط من أجل تربيتنا وتعليمنا، بل إنّهم قد وصلوا إلى معنى هذه العبارات وفهموها حقيقةً وواقعاً وقالوا هذه العبارات تعبيراً عن الواقع، بل إنّهم أدركوا هذه المفاهيم بصورةٍ أفضل وأعمق وأبلغ من جميع أفراد البشر.

وعندما خاطب الإمام السجّاد عليه السلام ربّه:

«أنا الّذي أعطيتُ على المَعاصي جَليلَ الرَّشا»[2]، فهو يشعر أنّه في مثل تلك الوضعيّة والواقع، هو لا يمزح مع الله، ولا يتظاهر بانكسار النّفس؛ لأنّ مقام العرض على

---

1. الأمالي للصدوق، ص ١٣٣ و ٣٤١ و ٣٤٣.
2. الإقبال، ص ٧١.

الله لا ينسبه الهزل أو التظاهر بانكسار النفس، ولا يحتمل المجاملات؛ فالمقام مقامُ عرضِ الحقائق والوقائع لا مقام المجاز والاستعارة، والإمام لا يُجبر ويُؤخذ بالحياء مع الله، فكما نُشاهد هذه الواقعيّة بالعيان في حالاتنا ونفسيّاتنا، كذلك يشاهدها ويشعر بها الإمام عليه السّلام.

ولذا يقول الله تعالى في قصّة النبيّ يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ﴾[1] يعني: لو أنّه لم ير حقيقة المعصية التي هي الظلام والنار والابتعاد عن الحقّ، لأقدم قطعاً على هذا الفعل القبيح، إذن النبي يوسف عليه السّلام كان واقفاً على مفترق الإمام السّجاد عليه السّلام بالدقّة، ووصل إلى مفهومها ومغزاها بنحوٍ كاملٍ، وشعر بها بكلّ ما فيها من صحّة وواقعيّة.

---

1. الآية ٢٤ من سورة يوسف (١٢).

والآن بعد أن اتضّحت المسألة تمامًا، نصل إلى هذه المسألة، وهي: لماذا كان الأعاظم والمعصومين عليهم السّلام عند الالتجاء والدعاء والطلب ينظرون إلى جنبة الربوبيّة هذه وإلى الجنبة الخَلقيّة والبشريّة لا إلى الحيثيّة الربوبيّة والجنبة الرابطيّة والإلهيّة، فلا نجدهم يتوجّهون في الأدعية والمناجاة مع الله بتلك الصورة [أي بالنظر إلى الحيثيّة الربوبيّة]؟

يبدو أنّ هذا الأمر سهلٌ وبديهيٌّ؛ لأنّ العبد في مقام الطلب والحاجة من مولاه ومن صاحب اختياره، لا يستخدم أوصاف المولى والسيّد ونعوته ويُنسبها إلى نفسه؛ لأنّ جميع تلك الأوصاف والحالات إنّما أفيضت عليه من جانب مولاه، وليس له أيّ علاقةٍ بذلك.

فهل من الصحيح أنّ يخاطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ربّه في مقام الاستغاثة والطلب من قاضي الحاجات على هذا النحو: إلهي! إن الوقوف بين يديك قادر على شقّ القمر وردّ الشمس، وإطلاق

الحصى، وجميع عوامل وفوامل عالم المادة تحت إرادته، وتسخيرها بيده، وجميع الملائكة يسمعون كلامه ويُطيعون أوامره؟!

فلو خاطب الله بهذه الطريقة، فإنَّ الله سيجيبه:

قُل وعدني أرى: هل تستطيع القيام بهذه المسائل التي مدحت بها نفسك من عندك، أم أنَّها إفاضةٌ من عندي وبعنايةٍ مني؟ إنّك لا تقدر حتّى أن تبعد بعوضةً عنك، ثمّ تأتي وتتشدّق بخوارق العادات هذه وتستعرضها قبالي؟!

هنا نرى حقيقةً وواقعاً بأنّ حقيقة التوحيد وتوحيد الحقيقة ممثّلٌ ومجسّمٌ في وجود الأولياء الإلهيّين، وأنّ باقي الأفراد مبتلون بالشرك والنفاق في مراتب مختلفة من المعرفة.

عالم أولياء الله ليس عالم الاعتبار والمجاز والمبالغة

إنّ عالم أولياء الله ليس عالم الاعتبار والمجاز والمبالغة، إنَّه عالم الحقّ، وكلامهم مبنيٌّ على أساس الحقّ، ولا سبيل إليه للمجاز والتورية والتبرير كما هو

متعارفٌ عليه في عرف المحاورات بين الأفراد؟ فإنّنا نجد أنّهم يرفعون الشخص أحيانًا في مقام المدح إلى السماء ويصلون به إلى مرتبة قاب قوسين، وأحيانًا أخرى يضربونه أرضًا في مقام النقد والتعبير إلى درجة أنّه لا يبقى منه أثر، تارةً يُجلسون الشخص على القمر، وتارة أخرى يُلقون بالعبد الفقير في قعر البئر؛ ولكنّ هذا ليس رسم ودين الرجال الإلهيّين.

ومن هذا، رغم أنّ وصيّة أمير المؤمنين هذه تُخاطب الإمام الحسن عليهما السّلام بخطاب: «يسير الشّهوات» و«تاجر الغرور» لكنّ هذا الخطاب خطابٌ موجّه إلى الجبلّة البشريّة وشاكلة الإنسان، سواءً كان الإمام المجتبى عليه السّلام أم غيره، فالجميع دون استثناء داخلين ومشمولين بهذا الوصف.

إنَّ العمل بهذه الوصيّة سيضع الإنسان والمجتمع في مثل هذا الموقع وهذا الجوّ؛ ولهذا الداعي ومن هذا المنطلق طلب جمّعٌ من الأخلّاء الروحانيّين وأخوان الطريق أن أقوم بترجمة إكسير السعادة هذا وزاد الفلاح والسعادة ورأس المال تجارة الآخرة.

لذلك شرع هذا الحقير بتنفيذ طلبهم بعين المنّة من الله، وأقدّم هذه الترجمة[1] إلى مشتاقي لقاء حضرة

---

[1] تجدر الإشارة إلى أنّ مسألة ترجمة هذه الوصيّة النفيسة قيّمةٌ جدًا بالنسبة إلى أصحاب اللغات الأخرى لا سيّما القارئ باللغة الفارسيّة، ولكن باعتبار أنّ الوصيّة كُتبت بعربيّة بليغة لذا فالقارئ العربي ليس بحاجة إلى الترجمة، ولكن ما قام به المؤلّف المحترم، كان في الواقع إعادة صياغة للرواية بلغةٍ معاصرة يفهمها أهل هذا الزمان ولا سيّما الشباب منهم، بل هي أقرب على الشرح والتبيان الموجز، أضف إلى ذلك أنّه قد صحبها بعض الإضافات والتعليقات المهمّة جدًا خصوصًا في الشأن الاجتماعي والسلوكي العرفاني، ولذا قامت اللجنة على ترجمة جميع جهود سماحته ما عدا في

المحبوب وأتباع التشيّع العلويّ عن حقّ مع بعض التعليقات والإضافات؛ آملًا من كافة الشيعة المخلصين الدعاء بالخير والشفاعة يوم السؤال، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[1].

مگر صاحبدلی از روی رحمت ** کند در حقّ درویشان دعایی.[2]

[يقول: لعلّ رجلًا عارفًا يُشفق علينا من وحي الرحمة والعطف فيدعو لنا نحن الدراويش]

الرابع والعشرون من شهر رمضان المبارك ١٤٣١ هـ.

ق

عش آل محمّد

كريمة أهل البيت، السيّدة فاطمة المعصومة سلام الله عليها

بعض المواطن القليلة التي اقتصر فيها على مُجرّد الترجمة المطابقة للنص العربيّ بلا مزيدٍ من التوضيح، وقد أضفنا معاني الكلمات الصعبة الواردة في وصية أمير المؤمنين عليه السلام بالاعتماد على كتب اللغة، لتتمّ بذلك الفائدة للقارئ العربيّ الكريم. (م)

[1] سورة الشّعراء (٢٦): الآيتان ٨٨ و ٨٩.

[2] ديوان اشعار شوريده ء شيرازي.

وأنا الراجي عفو ربّه، السيّد محمّد محسن الحسيني

الطهراني

بسم الله الرحمن الرحيم

«ومن وصيّةٍ له عليه السّلام، للحسن بن عليّ عليهما السّلام، كتبها إليه بحاضرين[1] منصرفاً من صفّين[2].

«من الوالد الفانِ، المقرّ للزّمانِ، المدبرِ العمُرِ، المستسلمِ للدّهر، الذامّ للدّنيا، الساكنِ مساكنَ الموتى، والظّاعنِ[3] عنها غداً، إلى المولودِ المؤمّلِ ما لا يدرك، السالكِ سبيلَ من قد هلك، غرضِ[4] الأسقامِ، ورهينةِ الأيّامِ، ورميّةِ[5] المصائبِ، وعبدِ الدّنيا، وتاجرِ الغرورِ، وغريمِ المنايا، وأسيرِ الموتِ، وحليفِ[6] الهمومِ، وقرينِ

---

[1] قرية اسمها «حاضرين» تقع بالقرب من صفّين، [وتُسمّى الآن: الرقّة].

[2] صفّين هو موضعٌ بالقرب من مدينة الرقّة تبعد مئتي كيلومترٍ عن حلب، وقد وقعت فيها معركة صفّين، وفيها الآن مزارُ أويس القرني وعمّار بن ياسر وشهداء صفّين. (م)

[3] الظاعن: الراحل.

[4] الغرض: الهدف.

[5] الرميّة: الصيد.

[6] الحليف: كلشيء لزم شيئاً فلم يفارقه.

نِبُصُ[1]، ونُ الآفاتِ، وصَريعِ الشَّهَواتِ، وخَليفَةِ الأَمْواتِ».

يعني: هذه الوصيّة هي من قِبَل والدٍ وصل عمره إلى نهايته، وهو يعترف ويُؤمن بانقضاء الزمان ومرور الوقت، الذي ترك حياته ورائه، والذي استسلم للدهر وللزمان، وهي من شخصٍ أدار ظهره للدنيا وذمّها، واستقرّ مسكنه في مساكن الموتى، وسينتقل غدًا إلى بيتٍ آخر حيث سينتقل إلى عالم الآخرة.

**نه عمر خضر بماند نه ملک اسکندر ** نزاع بر سر دنیای دون مکن درویش[2]

[يقول: لن يدوم عمر الخضر ولا مُلك الإسكندر، فلا تُنازع أيّها الدرويش على الدنيا الدنيّة].

---

[1] نُصب الشيء هو الذي لا يُفارقه.

[2] ديوان حافظ، طبعة زمان، الغزل ٢٨٢.

وهي مُوجّهةٌ إلى الولد الذي يزرع في ذهنه وضميره الأماني التي لا يُمكن الوصول إليها، ويمشي في طريق ومسير الهالكين، الذي تُحيط به الأمراض والأسقام والآلام، وارتهنته الأيّام فجعلته ضمن دائرة سيطرتها وغلبتها، وجعلته مصائب الزمان وشدائده هدفًا لسهام البلاء، ودعته الدنيا للتذلّل والتواضع والخشوع والعبوديّة، وبواسطة هذه العبوديّة للدنيا زاد على الدوام من غروره ومحوريّة ذاته وأنانيّته، ولم يحصل من تجارة الدنيا من متاعٍ سوى التفاخر والتكاثر وطلب العلوّ.

دنیا همه هیچ و اهل دنیا همه هیچ **ای هیچ، ز

بهر هیچ بر هیچ مپیچ

[يقول: ليست الدنيا بشيء وليس أهلها بشيء، فيا أيّها اللاهي عن الأشياء إلى أجل من لا تستمر الأشياء لأجل من لا شيء.]

وهو الشخص الواقع في مهبّ عواصف الحوادث دائمًا، وأسيرٌ عاجزٌ بين مخالب الموت.

لا[1]ةميمتلا كلت أظفارها ** فلا يقلم أنشبت أظفارها

وإذا المنية أنشبت أظفارها ** ألفيت كل تميمة لا تنفع[2]

ولدٌ ملازمٌ للعضلات الفكرية والاضطرابات النفسية، ومجالسُ المغموم والمغصوص، تستهدفه الأمراض على الدوام، وتصرعه الشهوات، يمشي في ميسر الأمور عدة أيامٍ ثم يلتحق بهم بعد ذلك.

آن قصر که جمشید در آن جام گرفت ** آهو بچه کرد و روبه آرام گرفت

[يقول: ذلك القصر الذي كان جمشيد يأخذ فيه قدح الفتح *** قد خرب وصار مزبلةً فوضعت الخزالة مولدها فيه، واستقرّ فيه الثعلب].

بهرام که گور می گرفتی همه عمر ** دیدی که بهرام که گور را گرفت؟[3]

---

[1] **دراوملا بقرأ** : «التميمة: عوذةٌ تُعلّق على صغار الإنسان مخافةَ العين؛ ومنه قوله: ألفَيتُ كلّ تميمة لا تنفع».

[2] **يلذهلا بيؤذ يبلأ ةديصقن م، ٢١٠ ص، ٣ ج، ديرفلا دقعلا**.

[3] **يروباشينلا مّايخلا رمُعيكحلا تايعابر**.

[يقول: هل رأيت كيف أنّ "بهرام" الذي كان يصطاد فريسته طوال عمره، هل رأيت كيف أنّ القبرُ أخذه واصطاده؟].

«أمّا بعدُ، فإنّ فيما تبيّنتُ من إدبارِ الدُّنيا عنّي، وجُموحِ[1] الدّهرِ عليَّ، وإقبالِ الآخرةِ إليَّ، ما يُزعِّجُني [ما يُزعجُني] عن ذِكْرِ من سِواي، والاهتمامِ بما وَرائي، غيرَ أنّي حيثُ تفرَّدَ بي دونَ هُمومِ النّاسِ هَمُّ نفسي، فصدَقَني رأيي، وصرَفَني عن هَواي، وصرَّحَ لي محضُ أمري، فأفضَى بي إلى جِدٍّ لا يكونُ فيهِ لَعِبٌ، وصِدقٍ لا يَشوبُهُ كَذِبٌ، ووَجدتُكَ بعضي، بل وَجدتُكَ كلّي، حتّى كأنّ شيئاً لو أصابَكَ أصابَني، وكأنّ المَوتَ لو أتاكَ أتاني، فعنانيَ من أمرِكَ ما يعنيني من أمرِ نفسي، فكتبتُ إليكَ كتابي [كتابي] مستظهِراً[2] بأن إن أنا بقيتُ لكَ أو فنيتُ».

يعني: أمّا بعد، بعد أن تبيّن لي أنّ الدنيا بدأت تُدبر عنّي، وأنّ الأيّام غلبتني وتسلّطت عليَّ من خلال مرور الزمان، وصرتُ أرى الآخرة أمامي، بعد ذلك لم يعد هناك من فائدةٍ تذكّر الآخرين؛ لأنّ الاهتمام بأموري

---

1. الجموح: الاستعصاء والمغالبة.

2. مستظهراً: مستعيناً.

تمنعني من الالتفات إلى غيري، وتكفيني عن التدقيق في أعمال الآخرين؛ فلا أرى في نفسي اهتماماً بالأمور التي مضت ورائي.

وقد ورد في الحديث:

«كَفَى بِالمَرءِ شُغلاً بِعيبِهِ لِنَفسِهِ عَن عُيوبِ النّاسِ»[1]

فيكفي الإنسان أن ينشغل بعيوبه ليتجنّب البحث والتفتيش في نقائص الناس وعيوب الآخرين.

روزها فكر من اينست و همه شب سخنم ** كه
چرا غافل از احوال دلخويشتنم
از كجا آمده‌ام آمدنم بهر چه بود ** به كجا مى‌روم
آخر ننمايى وطنم
سه دود *** كاخ عالم از مين متوكلم غاب غرم
رئاط أنا :لوقي] مندب از داناخته‌اس سفقى زوز
اوعنص دقل و ،باوالتر عالم من تسلو توكلملا ةوضور
.[تادوعدم مايّلأ ينمدب من اصفقً لي

[1] تحف العقول، ص ٢٨٢، نقلاً عن الإمام السجاد عليه السلام.

خنک آن روز که پرواز کنم تا بر دوست ** به هوای سر کوی تو بالی بزنم [1]

[يقول: ١ حديثي طوال نهاري وليلي: لماذا أنا غافلٌ عن أحوال قلبي.

٢- من أين جئتُ؟ وما علّة مجيئي؟ وأين سأذهب؟

فوطني لم يتّضح لي أخيراً. و لم آتِ بطوع إرادتي لأذهب بمشيئتي، بل انّ من جاء بي سيردّني إلى وطني.

[1] الثمونی العنوی، طبع میرخانی، ص ٤٢٠، آخر الدفتر الرابع.

٣- فأنا طائر روضة الملكوت و لست من عالم التراب، ولقد صنعوا لي قفصاً من بدني لأيّام معدودات.

٤- فما أسعد ذلك اليوم الذي سأحلّق فيه إلى الحبيب، و أخفق بجناحي التي وضعت فيها [هيروشيما].

إلّا أنّه في مثل هذه اللحظة التي وضعت فيها أبناء شؤون الناس وتعابة احتياجاتهم، وركّزت فيها على احتياجاتي وابتلاءاتي، ووجدتُ عند الاهتمام باحتياجاتي بأنّ فكري ورأيي قد وافقني وصدّقني، وقد أبعدني وصدّني عن الأهواء والرغبات الشريرة، وأظهر لي حقيقتي وعاقبة أيّامي، وأبرز لي ذلك على الملأ بالصراحة، ولذلك ساقني إلى إرادةٍ حديديةٍ وعزم راسخٍ واهتمامٍ بالغٍ في أمر نفسي، بحيث لا أجد في إرادتي شائبة هزلٍ أو مزاحٍ أو لعبٍ، ولذا فأنا قلق بشكلٍ جادٍّ بشأن مآلي ومستقبلي وعاقبتي وأنا لا أنظر إلى الحقائق التي أمامي نظرة هزلٍ أو لعبٍ، ولا أعتقد بأنّ الأحداث التي أمامنا كاذبة وخاطئة.

في مثل هذه الحالة والوضعيّة التي أنا عليها، وجدتُ أنّك (الإمام الحسن عليه السلام) جزءًا من وجودي، لا بل شعرتُ أنّك جميع وجودي الباقي والاستمراري، لدرجة أنّه إذا حدث لك شيءٌ ما، فكأنّ ذلك قد حدث لي أنا، وإذا أصابك أتاك الموت، فكأنّه أتى إليّ أنا، وكلّ أمرٍ يُصيبك بالتعب والإزعاج، أرى أنّه أصابني أنا بالأذيّة والبلاء، لذلك بدأتُ في كتابة هذه الوصيّة آملًا قبولها والاهتمام بها، سواءً في حال حياتي أم مماتي (أي إنّني لم أكتب هذه الوصيّة لزمان حياتي، بل من أجل أن تعمل بها في كلّ حالٍ وفي كلّ لحظةٍ من عمرك وحياتك)».

يهلإا لبحلاب كّسمتلاو بلقلا ةنيدم ةرامعو ىوقتلاب ةّيصولا

،ةرِمأ مِوزُلو [ّيَنُبأي] الله ىوَقتِبكيصوأ يّنإف

[1]ٍبَسَبُسيأو ،ةِلبَحِبمِاصتِعلااو ،ةِركِذِبكِبلَقِةرَامِعو

«؟ةِبتَذَخأتَنأنإِالله نَيبوكَنيَبٍبَسبنِمقُثوأ

بظاوتنأو الله ىوقتبكيصوأ!يدلوايذإ:يعي

ىهذامكرتبداهتجلااوةرامواذيفنتىلعمادلاىلع

[1] لبحلا:بسلا

عند حضرة الحقّ، أو أن تعمر قلبك بذكر الله فتحييه

كنيك الذي يُحكم الحبل لك بذلك، أو أن تتمسّك بذلك الحبل

وتُنعشه بذلك، أو أن تتمسّك بذلك الحبل الذي يُحكم

وبينه، فأي سببٍ ووسيلةٍ وواسطةٍ أكثر إحكامًا أو أكثر

دوامًا أو أكثر طمأنينة من سَبَبٍ وارتباطٍ بَيْنَكَ وبَيْنَ

الله!؟ إذا أنتَ تمسّكت بهذا الحبل وحافظت عليه

دوست نزدیکتر از من به من است ** وین عجب

ترکه من از وی دورم

چه کنم با که توان گفت که دوست ** در کنار من

و من مهجورم[1]

[يقول: الحبيب أقرب إليّ منّي (إشارة إلى قوله تعالى:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وكذلك قوله تعالى:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ﴾ ولكن مع كلّ

ذلك فالعجب كيف أنّي بعيد عنه!! فماذا أفعل ومع أي

شخص يمكنني أن أتكلّم، فالحبيب قريبٌ وأنا مهجورٌ

بعيدٌ!!]

وقد ورد في الحديث القدسي:

«لَوْ عَلِمَ المُدبِرونَ عَنّي، كَيفَ اشتياقي بِهِم وشَوقي

إلى رُؤيَتِهِم لَماتوا شَوقاً»[2]

---

[1]. شرح گلستان سعدی، باب الثاني، في أخلاق الدراويش.

[2] إحياء علوم الدين، ج ١٤، ص ٩٥؛ المحجّة البيضاء، ج ٨، ص ٦٢، مع قدرٍ من الاختلاف.

يعني: لو يعلم عبادي الذين فرّوا منّي كم أني أشتاق إلى قربهم ولقائهم وزيارتهم ومقدار ميلي ورغبتي لذلك، لتركوا أبدانهم من شدّة الشوق، وطاروا للقائي.

يقول الخواجة حافظ الشيرازي رضوان الله عليه:

فاش می‌گویم و از گفته خود دلشادم ** بنده عشقم و از هر دو جهان آزادم [يقول: سأفشي الأمر بصراحةٍ ووضوحٍ، وأنا سعيدٌ ومسرورٌ بما أقول، ** إنّني عبدٌ للحبّ وأنا مُتحرّرٌ من كلِ العالَمَيْن]

نیست بر لوح دلم جز الف قامت یار ** ***

از بر چه کنم حرف دگر یاد نداد استادم [يقول: لم ينقش في لوح قلبي سوى «ألف» قامة الحبيب (إشارة إلى الوحدة والتوحيد)، فماذا أفعل إذ لم يُعلّمني أستاذي حرفًا آخر].

طایر گلشن قدسم چه دهم شرح فراق ** کاین در دامگه حادثه چون افتادم [يقول: أنا طائر حديقة القُدس، فكيف يمكنني أن أشرح قصّة فراقي

(وانفصالي عن الجنّة) وعذابي في سجن الدنيا المليئة بالحوادث وعدم الاستقرار؟!]

من ملک بودم و فردوس برین جایم بود *** آدم آورد در این دیر خراب آبادم [يقول: كنتُ ملاكاً، وكانت الفردوس موطني، فهبط بي آدم إلى دير الخراب هذا].

سایه طوبی و دلجوی حور و لب حوض *** به هوای سر کوی تو برفت از یادم.[1]

[يقول: نسيت ظل شجرة طوبى، ومواساة حور الجنّة وعناقهنّ، والجلوس بجانب حوض الكوثر، وكلّ ذلك على أمل حبك والوصول إلى زقاق وصالك].

وصايا أمير المؤمنين ومواعظه من أجل إحياء القلب وجعله مزاراً

«حِفْظُ قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ»

يعني: حافظ على نفسك حيّاً بالموعظة وحديث النفس، وأمته من خلال الزهد والإعراض عن الأهواء النفسانية والآمال الغير الصائبة، واجعل قلبك ثابتاً وقوياً من خلال القطع واليقين بالعقائد والأعمال؛ ولا تلجأ إلى

[1] ديوان حافظ، طبع پژمان، الغزل ٣٦٢.

أيّ مسألةٍ أبداً بدون تحقيقٍ واطمئنان يقين، ولا تُقدم على أيّ أمرٍ تتردّد فيه أو تشكّ به، ولا تسعى نحو أيّ أمرٍ اعتماداً على الحدس والظنّ والتخيّل وأقوال الناس والإشاعات، بل توقّف فيه ولا تتحرّك، ونوّر قلبك بالحكمة.

وتقول الآية الشريفة: ﴿وَما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْني مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾[1]

يعني: الناس يتّبعون حدسهم وظنّهم على الدوام، ويقضون أيّامهم خلف أهوائهم النفسانيّة، في حين أنّ الحدس والظنّ لا يُوصلانهم في أيّ وقتٍ من الأوقات إلى الحقّ والواقع.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الوقوف عِنْدَ الشُّبُهاتِ خَيْرٌ مِنَ الاقْتِحامِ في الهَلَكاتِ»[2]

---

1. الآية ٢٨، سورة النجم (٥٣).

2. الكافي، ج ١، ص ٦٧.

يعني: لا تُقدم عندما لا تنكشف لك حقيقة الأمر! لأنّ

هُ قطعًا في الشبهات والمواطن التي ليس لديك فيها

يقين، أفضل من الغرق في الهلكة.

يقول مولانا جلال الدّين الرومي _ رحمه الله:

بر خيالي صلحشان و جنگشان ** از خيالي

فخرشان و ننگشان[1]

[يقول: يقوم صلحهم وتقع حربهم على الخيال، وينشأ فخرهم وخزيهم من خيالهم].

جان همه روز از گذر كو بر خيال ** وز زيان و

سود و از خوف زوال

نى صفا مى نادشان نى لطف و فرّ ** نى بهى سوى

آسمان راه سفر[2]

[يقول: تدور الروح كلّ يومٍ في الخيال فلا يبقى لها لطفٌ أو صفاء، وتخشى الضرّ مع خوف الزوال فلا يغدو بإمكانها السفر نحو السماء].

«وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ» (الباطل) الحقيقيّة التي تنتني عن البرهان العقلي والشهود الربّاني وابتعد عن الشائعات والتوهّمات والأمور الزائفة بين الناس

---

[1] ص ٨، الدفتر الأوّل، **المثنوي المعنوي**.

[2] ص ٢٢، الدفتر الأوّل، **المثنوي المعنوي**.

واللمبنيّة على أساس الحدس والظنّ، ولا تجعلها معيارًا لعملك وفكرك وبرنامج حياتك)

ابتناء التصوّرات والتصديقات على الحقائق الخارجيّة والأمور النفس الأمريّة و...

فالتصوّرات والتصديقات (خلاصةً: الواقعيّات النفسانيّة الذهنيّة) إمّا أن تكون مبتنية على الحقائق الخارجيّة والأمور النفس أمريّة والتي يُقال لها العلم والمعرفة والإدراك، وإمّا أن تكون مصنوعة من قبل الذهن والنفس من دون أن يكون لها أيّ ارتباط بالواقعيّات الخارجيّة؛ ومن باب المثال، كثيرًا ما نُشاهد الأطفال يُخبرون عن بعض الأشخاص أو الموجودات الخارجيّة من دون أن يكون لها أيّ تحقّق في الخارج، بل تكون مبتنية على أساس تخيّلات هؤلاء الأطفال.

ولا يخفى أنّ هذه المسألة لا اختصاص لها بالأطفال الصغار، بل قد نجد أنّ الكبار العقلاء تحصل لهم مثل هذه الظواهر؛ نظير مشاهدة صورة بعضهم في القمر، والتي شاعت كثيرًا بين الناس! حيث يُطلق على مثل هذه الظواهر اسم التخيّل والتوهّم.

فهذا النوع من التصوّرات والتصديقات لن يكون أبدًا منشأ لأيّ أثر من الآثار، ولن تترتّب عليه أيّة ثمرة، ولن يحلّ أيّة عقدة، ولن يُعالج أيّة مشكلة، بل سيُؤدّي إلى غوص المتوهّم في وحل الجهل أكثر فأكثر، مبعدًا إيّاه عن الحقيقة وانكشاف الواقع.

عدّة نشوء التوهّمات هما جهل البشر والتعلق بالأمور الظاهريّة والحسيّة

ومن الضروري الالتفات إلى أنّ العلّة الكامنة من وراء نشوء التوهّمات في مقابل التعقّلات هما عدّتان:

الأولى: جهل الإنسان وعدم اطّلاعه على الظواهر الخارجيّة والموضوعات والمسائل الحقيقيّة، والذي يُعدّ لوحده عاملًا مهمًّا جدًّا ورئيسيًّا في ضلالة الناس وانحراف الأذهان وطي طريق الغواية والضلال.

إنّ عدم الاطّلاع اللازم على القضايا الكلّيّة والمباني الأصيلة والتعاليم العقلانيّة والإرشادات الفطريّة التي تُعدّ رأسمالًا ثمينًا جُهّزت به خلقة الإنسان لأجل تشخيص الحقّ والباطل، وعدم التعرّف على المطالب الوحيانيّة الواردة من قبل محامي لواء الوحي

وحرّاس مدرسة الحقّ، يُؤدّي إلى السقوط في فخّ التوهّمات والتخيّلات؛ ممّا سينجرّ في الأخير إلى هلاك الروح والجسم، وضياع الفرص وتلاشي الاستعدادات والقوى البشريّة.

**ای بسا ابلیس آدم روی هست ** پس بهر دستی نباید داد دست[1]

[يقول: ما أكثر ما يظهر إبليس بصورة آدم؛ فلا ينبغي أن نُسلّم لأيّ إنسان]

إنّ اتّباع الإنسان للفاسدين والماكرين ذوي المظهر الخدّاع والجذّاب، والكلام الموزون والمعسول، والوجه البشوش والضاحك، والملامح المنشرحة والبسامة، والتواضع الناشئ من المكر والحيلة، والسخاء والعفو النابعين من النوايا النفسانيّة الرديئة، والزهد الخدّاع والمرائي، لن يستتبع إلّا الخسران والشقاء والهلاك وضياع العمر وتفويت الفرص؛ وكلّ ذلك بسبب عدم اطّلاع الإنسان على الأصول والمباني واتّباعه ودقائقه

[1] المثنوي المعنوي، الدفتر الأوّل، ص ١٨.

لشخص آخر. وأما إذا تعرّف المرء على القواعد والأصول وعلم بملكة الاتّباع والاستماع والانقياد للأفراد، فإنّه حينئذٍ يُطيع أيّ أحد طاعةً عمياء اعتماداً على عاطفته وعقله الناقص وذهنه المفتقر للوعي والإدراك.

ولهذا، نرى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ينصح في هذه الوصيّة بالحكمة؛ أي الكلام المتقن والاعتقاد الراسخ الذي يستطيع الإنسان من خلاله تشخيص موارد الشبهة، واتّقاء السقوط في فخّ الأهواء والنزوات والشيطان.

العلّة الثانية لنشوء التوهّمات وسقوط الإنسان في فخّها هي ميل النفس الإنسانيّة وتعلّقها بالظواهر الجزئيّة والأمور الحسّيّة ومظاهر عالم الطبع والمادّة؛ وهي مسألة يُعاني منها جميع الناس؛ العالم منهم والجاهل، الصغير والكبير، الرجل والمرأة؛ اللهمّ إلاّ تلك الطائفة من الناس الذين عبروا عن الجزئيّة والتحقوا بالكلّيّة عن طريق تهذيب نفوسهم وتزكيتها وتربيتها وإيصالها مقاماتهم الروحيّة والعقلانيّة إلى مرحلة الفعليّة.

كيفيّة تعلّق النفس بميولها نحو الأمور الحسيّة ظواهر عالم المادّة

فبسبب تعلّق النفس بعالم المادّة ـ والذي يُمثّل عين ظهور الحوادث الجزئيّة والقوالب المحدودة ـ فإنّ ميولها إلى الجزئيّات والأمور الظاهريّة سيفوق توجّهها إلى

الكلّيات والقضايا الحقيقيّة والملاكات الكلّيّة، ممّا يُفضي بها في اختياراتها إلى التفكير في الأمور الظاهريّة أكثر من المسائل المنطقيّة والمعنويّة.

مثلًا: حينما يُريد شابٌّ أن يختار زوجةً فأكثر ما ينظر إليه هو جمال الوجه والقوام الجميل وكم أنّ هذه الفتاة مُفتقِرةٌ للنظر، ويُغمض العين عن أصالة الأسرة والأخلاق الحميدة والالتزام بمسؤوليّات الحياة، والوفاء للعشق والمودّة بين الطرفين، وتقبّل طلبات الزوج وغرباته المنطقيّة؛ وعدم مُراعاة هذه النقطة هو الذي يؤدّي في المستقبل إلى بروز المرارة والفشل والمشاكل، وكثيرًا ما ينتج عن ذلك الفراق والانفصال في دنيا العائلة.

ومن جهة الفتاة أيضًا يتمّ التفكير في الجهات الظاهريّة عند اختيار الزوج، من قبيل: الموقعيّة الاجتماعيّة والوظيفة الجيّدة وجمال الشمائل، وتتمّ الغفلة عن مقدار الالتزام بلوازم الارتباط الزوجي،

والعقلانيّة في التدبير والتربية، والأخلاق المناسبة، والتقيّد بالموازين الشرعيّة.

وفي الخيارات المرتبطة بالأمور الاجتماعيّة، نشاهد بالعيان كيف أنّ الملاك في انتخاب الشخص قد يكون هو العلاقات الأسريّة والانتماء لمدينة واحدة، وحيّ واحد، أو الكلمات المعسولة والوعود الكاذبة والفاتنة، أو العطايا والمنح المحسوبة بمكر وحيلة، أو بملء الشوارع بالزخارف البرّاقة التي تسحر العيون واللوحات الدعائيّة الجذّابة، أو التجمّعات الحزبيّة المدروسة أو...، بحيث إنّ الإنسان لا يُفكّر أبداً في لياقة المنتخَب لتدبير الأمور وإصلاح النظام الاجتماعي، ولا في أهليّته لإدارة المجتمع، ولا يهتمّ أبداً بعواقب الأمور وانهيار النظام الناتج.

إنّ جميع هذه المصائب والمفاسد والمشاكل ناجمة عن توجّه الإنسان للأمور الجزئيّة والحسّيّة والمظاهر المادّيّة الخدّاعة والمغويّة.

وقد سمعنا أنّه في أحد البلدان، كان المعيار في كسب الآراء من أجل انتخاب رئيس الجمهوريّة هو جمال الوجه والشهرة في مجال التمثيل؛ مع أنّ هذا الأمر لا يختصّ بهذا البلد فقط.

فتعال وانظر كيف استُبدلت الملاكات والقيم العقلانيّة والمعنويّة والمنطقيّة بالأحاسيس الفرديّة والميول الحيوانيّة والتعلّقات الفارغة البلهاء في موضوع يرتبط بأكثر المواقع الاجتماعيّة حساسيّة، ويتعلّق بتحمّل أصعب المسؤوليّات والأعباء الشعبيّة، ألا وهو موضوع إدارة المجتمع وتدبيره! ممّا يُؤدّي إلى اختفاء السعادة والفلاح والقضاء على الأمن الفردي والاجتماعي في ذلك البلد ليحلّ محلّها الهلاك والبوار؛ وهذا كلّه نتيجة الانبّاع التوهّمات والتخيّلات بدلاً عن التعقّل والملاكات الواقعيّة.

وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ هذه المسألة لا تُلحظ فقط بين عوامّ الناس والأشخاص البسطاء، بل نُشاهدها أيضاً بين الفضلاء وأهل العلم؛ وقد اطّلعت طيلة أيّام حياتي على كثير من الشواهد على هذا الأمر.

أحد المواطن التي تؤدّي إلى تخيّل النفس ومصاديق انخداعها، كثرة المجموع والزيادة الظاهريّة

يُشير القرآن الكريم إلى الكثرة والوفرة الظاهريّة كأحد موارد التوهّم والتخيّل والمصاديق الخدّاعة والمضلّة للنفس، حيث يقول:

﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[1]

أي: يا أيّها الرسول! قل للناس: لا تُساووا أبداً الأشرار والفاسدين بالطاهرين والصالحين، ولو كانوا يتجاوزونهم من حيث العدد؛ ولهذا، عليكم أيّها المؤمنون ذوو التفكير العميق أن تُطيعوا الله تعالى وتتّبعوا أوامره ولا تنجذبوا نحو المظاهر الخدّاعة

---

1. سورة المائدة (٥)، الآية ١٠٠.

واللجوء الوفيرة؛ كي تصلوا إلى الفلاح والسعادة الأبدية.

وفي هذه الآية يُشير الله عزّ وجلّ إلى أحد مواطن التوهّم والتخيّل، وهو الميل نحو الكثرة والسعي نحو الزيادة، وعدّ ذلك أحد القيم والمعايير في التفاضل والتقدّم بين العوام وأهل الباطل والمُلفت للنظر هو أنّه في آخر الآية يُوجّه خطابه إلى أصحاب العقل؛ أي إنّ هذه النقيصة لا ترتبط بالتعقّل والعقلانيّة وتتّبع التعاليم العقلانيّة، بل تبتني على أساس غلبة الإحساسات والنظرة الظاهريّة وترجيح الجنبة الحسيّة على الحيثيّة العقلانيّة والفطريّة البشريّة.

ويقول في آية أخرى فيما يتعلّق بنفس هذه المسألة وهذا المصداق: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.[1]

أي: لا يخدعك كثرة أموال المشركين وأهل الضلال وكثرة أولادهم، فيؤدّي ذلك إلى حصول الشكّ والخلاف في دينك، فإنّ الله يُريد أن يُعذّبهم في هذه الدنيا وأن تُزهق أنفسهم وهم كافرون.

---

1. الآية ٥٥ من سورة التوبة (٩).

عمرهم ورأس مال حياتهم في تدبير أموالهم وإدارتهم وفي العناية بأبنائهم، وأن لا يستفيدوا أيّ فائدةٍ من وجودهم في الحياة، وأن يخرجوا من الدنيا إلى عالم الآخرة في حال الكفر والخسران.

وهذه النقطة أوضح في آياتٍ أخرى، وقد طُرحت هناك بشكل أصرح؛ كقوله تعالى:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.[1]

من مضمون أسباب حصول التوهّم والتخيّل الإمكانة والشخصيّة الاجتماعيّة للأشخاص

ومن مصاديق التوهّم أيضاً، الإمكانة الاجتماعيّة لبعض الأشخاص، والتي تؤدّي إلى غواية الطبقة الضعيفة وضلالهم؛ سواءً حصلت هذه الإمكانة والشهرة بواسطة وفرة الأموال والبذل والعطاء، أو حصلت بواسطة التصدّي للمسؤوليّة والمناصب الحكوميّة، أو بسبب النواحي العلميّة والمسؤوليّات الشرعيّة؛ ولهذا، نُشاهد كيف أنّ شخصاً من الأشخاص قد لا يكون يتمتّع بأيّة

---

[1]. سورة الأنعام (٦): صدر الآية ١١٦.

محبوبيّة واحترام وتكريم، إلى درجة أنّ الناس لا يردّون عليه السلام، لكن بمجرّد أن ينال المنصب الحكوميّ، يُصبح محطّ أنظار الناس وموردًا لاهتمامهم؛ فيُقدّمونه في المجالس والمحافل على أهل الفضل والدراية، ويُبرزون اهتمامًا بالغًا بكلماته وأحواله.. إنّ جميع هذه الأمور ناجمة عن غلبة قوّة الخيال والوهم على القوى الفطريّة والعقلانيّة للإنسان.

أحد الأسباب الأخرى لحصول التوهّم والتخيّل، هو الانتساب إلى الشخصيّات العظيمة والمحترمة

ومن جملة المصاديق الأخرى لإيجاد الشبهة والتوهّم هو انتساب المرء لشخصيّة عظيمة ومحترمة وسط مجتمع ما أو جماعة وفرقة خاصّة؛ كأن يكون ابنًا لهذه الشخصيّة أو زوجًا لها أو يكون له ارتباط ببعض الأشخاص الذين لهم علاقة أكثر بهذه الشخصيّة أو بالمنتسبين إليها وهكذا....

ففي هذه الحالة، وبسبب وجود وظهور بعض القيم الأخلاقيّة للإنسان، تستعمل القوّة الواهمة والمتخيّلة على تسريع الممكنة التي تحتلّها هذه الشخصيّة العظيمة إلى

بطانته والأشخاص المحيطين به، وستُعمل - بنحو من الأنحاء - نفس ملاك الخضوع والطاعة الذي كانت تُعمله في حقّ هذه الشخصيّة بالنسبة لبقيّة الشخصيّات، مع الغفلة عن أنّ مجرّد الانتساب لا يُعدّ دليلاً على ثبوت نفس معايير وملاكات الأفضليّة والترجيح؛ فما أكثر ما كان سلوك المحيطين بعظيم ما والمنتسبين إليه قمعتماً في الطرف المقابل لمنهجه ومدرسته، وما أكثر ما كان هؤلاء على تضادّ تامّ مع سلوكه!

لقد وقعت الفتنة بعد وفاة **موسى الكليم** عليه السلام على يد زوجته «**صفورا**»[1]؛ مثلما نشبت معركة الجمل والحرب ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام الخليفة بالحقّ والمنصَّب من قبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على يد عائشة زوجة الرسول بوساطة المقرّبين منه كطلحة والزبير.

ولهذا، حينما أدّت مصاديق التوهّم وأسبابه ـ نظير الانتساب لرسول الله (عائشة)، والاشتهار في المجتمع بسبب القدم في الإسلام (طلحة والزبير)، والانتماء للدين الإسلامي ودعوى اتّباع سنّة الرسول والاعتراف بالقرآن كمصدر وحيد للوحي والهداية (جيش البصرة) وطلب الثأر لخليفة المسلمين (عثمان)ـ إلى إيجاد الشكّ والشبهة والتوهّم لدى أحد المحيطين بأمير المؤمنين، فإنّه عليه السلام ردّ عليه قائلاً:

---

[1] **كمال الدّين وتمام النعمة**، ج ١، ص ٢٧؛ **إثبات الهداة**، ج ١، ص ٤٠٢؛ **الخرائج والجرائح**، ج ٢، ص ٩٣٤.

«إنّك رجلٌ ملبوسٌ عليك، لا يُعرف الحقُّ بأقدار الرِّجال، اعرف الحقَّ تَعرف أهلَه، اعرف الباطل تَعرف أهلَه»[1].

أي: إنّك رجل غلبَت على عقلك وفكرك القوّتان المتوهّمة والمتخيّلة اللتان عملتا على إخفاء الحقيقة عنك وأخرجتاك عن ميزان الإنصاف والاعتدال، وأغوتك جاذبيّة الظواهر عن الميل للحقّ؛ فاعلم بأنّ الحقّ والواقع لا يُقاسان أبدًا بموقعيّات الناس وشخصيّاتهم الظاهريّة الخدّاعة! ومن هذا، عليك أوّلاً أن تتعرّف على الحقّ بشكل جيّد وواضح؛ وحينئذ، ستتعرّف بنفسك على متّبعيه، كما عليك أيضًا أن تشخّص الباطل بكلّ وضوح، وتطّلع على جميع جوانبه وحيثيّاته، لتتعرّف آنذاك على أتباعه من المنحرفين؛ فتميّزهم عن أهل الحقّ والسداد.

---

[1] مع، ص ١٢٥، ح ٤٠؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٣٩؛ أسباب الأشراف، اختلاف يسير.

ففي يوم من الأيّام، سألت أحد الأعزّاء والأحبّاء (الذين قلّ نظيرهم في فنّ تشخيص والأقرباء الجواهر والأحجار الكريمة، بحيث يُعدّ من أكبر الخبراء في العالم في هذا المجال): ما هي العلّة الكامنة من وراء هذا النجاح والشهرة والخبرة التي اكتسبتها، بحيث بلغتَ هذه الدرجة من التبحّر والتجربة في التمييز بين الأحجار الكريمة الحقيقيّة والمزيّفة، وصار الجميع يذهبون بك إلى مختلف البلدان لأجل الاستفادة من خبرتك؟

فأجابني قائلاً: العلّة الوحيدة من وراء ذلك أنّني في البداية حصرت جميع توجّهي وبحثي ودراستي في تشخيص الأحجار الأصليّة والحقيقيّة والثمينة، وقد صرفت وقتاً كثيراً في الدراسة وقراءة الكتب المرتبطة بهذا المجال، بحيث صار لديّ إشراف كامل ومعرفة تامّة بكافّة الجوانب المرتبطة بهذه الأحجار ونوعيّتها وخصائصها؛ ومنذ ذلك الوقت، سهُل عليّ كثيراً تشخيص الأحجار المصنوعة والمزيّفة، في حين أنّ بقيّة الأشخاص كانوا يهتمّون منذ البداية بالأحجار المزيّفة إلى جانب اهتمامهم بالأحجار الأصليّة؛ ولهذا، فإنّهم لم يتمكّنوا من الحصول على الدقّة التي حصلت عليها ويتعرّفوا على خصائص الأحجار كما تعرّفت عليها.

إنّ ذلك الرجل المتردّد والمشوّش لم يستطع بدوره أن يُدرك في معركة الجمل كون المرأة زوجةً لرسول الله لا يوصلها إلى درجة العصمة والحفظ من الخطأ والمعصية، وأنّ القرب من رسول الله لا يُفيد شيئاً، كما

أنّ إسلام جيش البصرة لا يُعدّ دليلاً على التنزّه عن الخطإ والزلل والانحراف في المسير؛ وعلى هذا القياس....

ولذا نرى طوال التاريخ، على الدوام كانت التوهّمات والتخيّلات هذه هي السبب وراء حصول العديد من الانحرافات والانقلابات والجنايات على البشريّة؛ وكيف أنّهم استغلّوا النفوس الساذجة وجهلة العوام من أجل الوصول إلى الآمال الحيوانيّة والشهوات النفسانيّة، وكيف أنّهم جعلوا الشباب قليلي السنّ والتجربة وسيلةً لمقاصدهم الخبيثة والمشؤومة من خلال إلقاء الأوهام والتخيّلات إليهم.

لقد كان عليه أن يتوصّل بتفكيره إلى أنّ الخلافة لا تُساوي فلساً واحداً من دون استنادها إلى دعامة إلهيّة وحجّيّة شرعيّة وعقلانيّة، وأنّ الخليفة لا يكون كلامه مسموعاً وطاعته واجبةً إلاّ حينما يكون منصّباً من قبل الله تعالى ورسوله، وليس عن طريق انتخاب الناس

ونصبهم؛ الأمر الذي يُعدّ منحصرًا بشخص علي بن أبي طالب عليه السلام وحسب.

ومن هنا، نجد بأنّ مدرسة التشيّع تتكّئ على الفهم واليقين والإتقان، لا على الشعارات وإثارة الضجيج والشغب والقوّة والمغالطة.

فلا فائدة من إقامة الاحتفالات الدينيّة والاحتفال بالمناسبات التقليديّة المتعارفة، بدون حيازة الفهم والإدراك ودون تغيير أسلوب الإنسان وتصرّفه على أساس تعاليم مدرسة أهل البيت، إذ بدون ذلك لن يترتّب عليها أثرٌ. فإنَّ مجرّد الفرح في مولد أعاظم الدين، ومجرّد الحزن على مصائبهم دون استلام رسالتهم ودون إحداث تغيّرٍ وتبدّلٍ في نظرة الإنسان، ودون خروجه من وادي التخيّلات والتوهّمات، ودخوله إلى ساحة العلم والعقل والفهم، والوصول إلى مباني مدرسة أهل البيت وعقائدهم الحقّة ـ التي ينبغي أن يبيّنها العلماء والوعّاظ من أهل العلم والخبراء بالسيرة والسنّة ومبناي التشيّع للحضور والمستمعين، وذلك بعيداً عن الأهواء النفسانيّة وبدون مراعاة المصالح الدنيويّة مع تجنّب المحاضرات الخطابيّة ـ لن يُحقّق أيّ نتيجةٍ مثمرةٍ ومؤثّرةٍ في تغيير نهج الإنسان وهدفه.

وبناءً على ذلك، أمرنا مواليانا أن نُحيي ذكر هذه المدرسة في المجالس والمناسبات وأن يتم بيان مباني هذه المدرسة وتعاليمها، وتفسيرها للناس؛ وأن لا يكتفى بالأشعار وإنشاد المديح في المواليد وقراءة مجالس العزاء أو اللطم في أيّام المصائب؛ لأنَّ القوّة المتخيّلة ستقوى في هذه الحالة وستودع القوّة العاقلة في غياهب الغفلة والنسيان، وهذا الأمر يقع في النقطة المقابلة تمامًا لتعاليم مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

في مدرسة أهل البيت السبيل مفتوح للعقل والدراية لا للإحساس والتوهّم

في هذه المدرسة السبيل مفتوح للعقل والدراية لا للإحساس والتوهّم أمّا السير على الأرجل في مصائبهم واللطم على الوجه والصدر، فرغم أنّه ممدوحٌ ومحمودٌ جدًا بين العوام إلّا أنَّ اتباع موازين أهل البيت ومباينهم ومراعاة جانب الاعتدال والإتقان والسداد هو الذي يجعل الإنسان في زمرة شيعتهم ومواليهم.

إنَّ منشأ ما جرى على الأئمّة من الأناس الجهلة ومن سفلة العوام هو بسبب هذا الموضوع، إذ لم يكن أفراد ذلك الزمان مِمّن يُقيمون المجالس الدينيّة ويراعوها ويُشاركون في صلاة الجماعة والمساجد ويلطمون أقلّ عددًا من أفراد هذا الزمان؛ ولكنّنا رأينا كيف تشكّلت فاجعة سقيفة بني ساعدة بعد مضيّ بضع ساعاتٍ على ارتحال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. أوَلم يكن هؤلاء المشاركون في هذا الموقف غير أولئك الذين كانوا بالأمس عند منبر رسول الله يلطمون على الرأس و الصدر؟! وهل هم غير أولئك الذين أودعوا تعاليم الرسول الأكرم ووصيته برعاية: «إنّي تارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَين، كتابَ الله وعترتي، وإنّهما لن يفترِقا، حتّى يَرِدا عليَّ الحَوضَ»[1] في قبضة النسيان والإهمال؟! فيتراءى لك الأمر كأنّما لم تصدر هذه العبارة من النبيّ!

1: معرفة الإمام، ج ١، ص ٣٧؛ «روى أحمد بن حنبل هذا الحديث عن حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين، أوّلهما: بداية ص ١٨٢ من الجزء الخامس من مسنده، لكن العبارة هكذا: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم: "إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب

إنّ الأفراد الذين خدعوا بمكر عمرو بن العاص ومعاوية في معركة صِفّين ورفع المصاحف على أسنّة الرماح، كانت قوّتهم الواهمة قد أثيرت، وجرّهم ذلك إلى ترك الحرب وقبول التحكيم، أليسوا هم الذين أقسموا في مسجد الكوفة أنّهم لن يتخلّفوا عن تنفيذ أوامر خليفة رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وسيثورون دمائهم حتّى آخر قطرةٍ منها في طريق مدرسته ونهجه؟! فما الذي حدث إذن؟!

الله حبلٌ ممدود ما بين السماء و الأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض".

وثانيهما في نهاية ص ١٨٩ من الجزء الخامس من مسنده، لكنّ عبارته بهذه الكيفية: قال النبي: "إنّي تارك فيكم ثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض جميعاً".

ويقول في تفسير (الدرّ المنثور) ج ٦، ص ٧: "وأخرج الترمذي وحسن ابن الأنباري في المصاحف عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وأولئك الذين انضمّوا إلى جيش يزيدٍ وابن زيادٍ ليقاتلوا ابن رسول الله واتكبوا تلك الفاجعة والجناية التاريخيّة، أليسوا هم من قاموا بمبايعة نائبه ورسوله **«مسلم بن عقيل»** قبل ذلك بأيّام وأرسلوا آلاف الرسائل والدعوات ليسدّ الشهداء عليه السلام، مع تلك اليمين المؤكّدة التي أقسموها والطلبات الملحّة التي أرسلوها للإمام عليه السلام؟! فلماذا حصل ذلك؟!

علل انحراف أهل الكوفة وعدم نصرتهم للإمام الحسين عليه السلام

إنّ سبب هذا الأمر هو أمران:

الأوّل: عدم معرفة الإمام، ولزوم إطاعته والانقياد لأمره.

الأمر الآخر: تسليم القلب والروح إلى الشائعات والمبذولة ظواهر العالم المادّة ومظاهره، حول الوهم والخيال محلّ العلم والمعرفة والتعقّل؛ مثلما رجّحوا استلام حكومة الريّ على السعادة والفلاح الأبديّين، وكلّها سلسلةٌ من الخيال الباطل والمعارف المغلوطة، وتخيّلات وأوهام فارغة! ورأينا ماذا حصل بعد ذلك.

ويقول الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم في ذمّ الخيال والوهم الوارد في القوالب الشعريّة ما يلي:

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.[1]

يعني: «والشعراء يتبعهم الأفرادُ الضالّون والمُنحرفون (لأنّ قاعدتهم وأساس مرامهم لا يقومان على مبانٍ متينة ورصينة) ألا ترى أنّهم يدخلون في كلّ جوٍّ سواءً أكان صادقاً أم كاذباً، وسواءً أكان خيالاً أم واقعاً، ولا يثبتون على ما يقولون ولا يلتزمون به؟!»

والشعر إنّما كان مذموماً في الإسلام من هذه الجهة؛ يعني: التخيّل والتوهّم، لا الشعر بمعنى الكلام المُسجَّع والمُقفّى الذي يحتوي على المعاني الحكيمة والعبر ذات المغزى الأخلاقي والتعاليم المفيدة والمتينة التي هي عين الصلاح والصواب وعين المدح، وقد صدر [هذا

---

[1]. سورة الشّعراء (٢٦) الآيات ٢٢٤ إلى ٢٢٦.

النوع من الشعر] عن حضرات المعصومين عليهم السلام أيضاً.

وفي مقابل الوهم والخيال تقع الحكمة والنور اللذين هي عين انكشاف حاقّ الواقع وانطباق الصور الذهنيّة على ما في الخارج بعينه؛ سواءً ظهرت هذه الحكمة بهيئة الكلام في النثر والشعر، أم ظهرت بصورة الكشف باللسبة للمُدرِك في المنام والتي يُعبّر عنها بالإلهامات الغيبيّة في الرؤيا، أو في بالمكاشفات الرحمانيّة في المراتب المختلفة من الكشف؛ كما حدث مع نبي الله داوود عليه السّلام في محراب العبادة، حيث تمّ تعليمه أنَّه لا ينبغي له أن يعتمد أبداً على التوهّمات والتخيّلات في القضاء؛ وأنّ مجرّد كثرة الأغنام لدى أحد طرفي الخصومة ليس دليلاً على مظلوميّة الطرف المقابل، وأنّه يجب أن يكون معيار القضاء والحكم قائماً على أساس الأدلة والشواهد المتقنة والمتينة.[1]

فالمكاشفة في هذه الحالة حكمةٌ؛ لأنَّها تبيّنُ للواقع وترفع الاشتباه والخطأ، ولهذا يُطلق على حكم القاضي

[1] إشارةٌ إلى الآيات ٢١ إلى ٢٦ من سورة ص (٣٨). (م)

واالحاكم، اسم الحكم؛ ألنَّها بهذا الأسلوب ترفع الشكّ والإبهام وترفع الغائلة والشكوى، فتسوي الموضوع المختصم فيه وتبدي الواقع؛ مثل معجزات الأنبياء عليهم السلام مقابل سحر وشعوذة السحرة الذين يُقوّون الخيال والتوهّم لدى المشاهدين فيظنّون أنّ توهمهم واقعٌ وأنّه موجودٌ في الخارج.

ولذلك يقول القرآن: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾[1] يعني: سخّروا أعين الناس وسحروها، لا أنّهم قاموا بفعلٍ أو تصرّفٍ خارجيٍّ معيّنٍ بحيث غيّروا وجوداً وجعلوه بصورةٍ أخرى.

ومن هنا، فإنَّ معجزة موسى حكمةٌ؛ ألنَّها رفعت الإبهام والتوهّم وأبطلت تسلطهم وتصرفهم وفضحت سحر السحرة.

---

[1] ١١٦. سورة الأعراف (٧) مقطع من آية

يقول الخواجة حافظ الشيرازي رحمة الله عليه:

** علم و فضل كه بهر چل سال دلم جمع آورد

ترسم آن زرگس مستانه بهيغما ببرد

** سحر با معجزه پهلو زنند دلخوش دار

سامري كيست كه دست از يد بيضا ببرد[1]

[يقول: ١. كم أخشى أنّه إذا سقطت عيني على النرجسة الباعثة على السكر، أن يضيع ما جمعته في قلبي طوال أربعين عامًا من العلم والفضل.

٢. لا يُساق السحر بالمعجزة، ونُكرر أنّ السامري حتّى تأتي المعجزات بيد (موسى) البيضاء].

ولهذا نُشاهد أنَّ أصحاب المال والسلطة والحكام الظالمين وسلاطين الجور يسعون للسيطرة على القوى الواهمة للأفراد من أجل الاستعلاء والحصول على السيادة ومن أجل إخضاع الآخرين مقابل فرعنتهم؛ وبواسطة السيطرة والتسلّط على قوى التخيّل والتوهّم لدى الناس، يحرمونهم من الفكر والتعقّل

---

1. ديوان حافظ، طبع پژمان، الغزل ٢٢٢.

والعودة إلى الفطرة ومن استعمال الأدوات الممنوحة لهم من الله لأجل تمييز الحقّ عن المجاز والصدق من الكذب والصفاء من المكر والواقع من الاعتبار.

بيان علل استعلاء والاهثين وراء السلطة من أصحاب المال والقوة وسلاطين الجور

فإنَّ هذه الأقلاع والقصور كقصر «نمرود» و«فرعون» و«نيرون» و«تتار» وقصور إمبراطوريّة الصين وشاهات «الأخمينيّة» و«الساسانيّة» وقصور سلاطين «الروم» و«اليونان» مع ما لديهم من الخدم والحشم والجنود، كانت كلّها من أجل هذا الأمر؛ يعني: من أجل إبعاد الروح والنفس عن الإرادة والاختيار، ومن أجل التحكّم بالنفوس وإبعادها عن الهويّة البشريّة المستقلّة، وعزلها عن الارتباط بمبدأ الكون والوجود المطلق؛ وبالنتيجة بروز العجز والضعف والذلّ والعدم والفراغ ونضوب الرأسمال الإلهي من قبيل: الفطرة والعقل والاستقلال الوجودي عن ما سوى الله.

وكما يقول الإمام علي عليه السلام:

«يا بُنَيَّ، لا تَكُن عَبدَ غَيرِكَ وقَد جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا!»[1]

يُنسى أغلب الأشخاص هويتهم عند مواجهتهم لهذه المظاهر الكاذبة والشيطانية، ويحنون لعظمة قبضة من الأحجار والآجُر والخشب يقعون دون أن يشعروا تحت السيطرة والتسلّط النفسي لذلك الفرد الماكر القادر والظالم، ويُصبحون مطيعين ومنقادين للكلّ ما تتعلق به إرادته ومشيئته. يضعون على أعناقهم طوق العبودية الخالق الجبّار للمخلوق الضعيف الفاني بدلًا من عبودية الخالق لخالق السماوات والأرض، يلبسون أعمالهم رداء الرغبات الشهوانية والنيّات الدنيئة يضعون بدنهم وروحهم تحت اختياره في جوٍّ كاريزماتي[2].

---

[1] نهج البلاغة (عبده): ص ٥٠٠، الرسالة ٣١.

[2] كاريزماتيّ (Charismatic) كلمةٌ يونانيةٌ بمعنى الموهبة؛ والكاريزما مصطلحٌ يُطلق على خاصيّة موجودة لدى الشخص وهي أنّه بحسب اعتقاده أو بحسب اعتقاد الآخرين يمتلك قدرةً على القيادة فوق العادة، ويُستعمل هذا المصطلح غالبًا في العلوم السياسية وعلم الاجتماع، ويصفون به مجموعةً من القادة الذين تمكّنوا من خلال الاستعانة بقدراتهم الشخصية من التأثير العميق الذي لا نظير له على أتباعهم. (م)

وهذه المسألة ملحوظة ٌحتّى بين أبراب الكنائس والأديرة، فقد رُفعت العباد والكنائس في هذا العصر وتطاول بنيانها إلى السماء، وطرازها المعماريّ والهندسيّ يُبهر كلّ من يراها؛ موقعها الجغرافيّ، وارتفاع المكان، ومراعاة الدقّة والاهتمام بالتفاصيل، واستخدام أغلى الأحجار ومواد البناء، وكيفيّة بنائها، ومكان الأسقف والأبواب، وكذلك الزخرفة المنقوشة في الكنائس والأديرة كلّها تحكي عن أمرٍ واحدٍ، وهو تقوية القوّة الوهميّة والمتخيّلة، وإزالة قدرة الفكر والتعقّل، والبعد عن الذات والهويّة الاستقلاليّة الإنسانيّة، والتواضع مقابل هذه العظمة الظاهريّة الفارغة، بحيث يقوم الإنسان لا إراديًّا بتعظيم وتكريم أبراب العباد، ووضعهم في مقامٍ رفيعٍ جدًّا ومنزلةٍ استثنائيّةٍ جدًّا تفوق المعتاد والسيرة والسُنّة وما هو متعارفٌ عليه.

ولكن حقًّا، لماذا يكون الأمر بهذا النحو؟ ولماذا يجب أن يضع الأفراد أنفسهم في مثل هذه الموقعيّة؟ فهل

هم مختلفون عن باقي الناس كي يريدوا بأن يطأطأ

آلاخرون رؤوسهم تبجيلًا لهم ويسقطون ذاًل هواناً

أمامهم؟!

يعود سرّ هذه المسألة إلى أنَّ هذا النوع من الأشخاص لا يشعرون بالارتباط بين الذات ومبدأ الوجود بسبب سيطرة الأنانيّة النفسيّة وغلبة الهوى والتمركز على الذات والعجب بالنفس، فلا يرى نفسه تحت إرادة الله ومشيئته القاهرة؛ ولذلك يرى لنفسه عظمةً وجلالًا فارغين وسلطةً (أهرمينيّة)[1] وعلوًّا مجازيًّا وباطنًا فارغًا مقابل كبرياء الحقّ وعظمته. وبما أنّهم بعيدون عن الصفات الحسنة والملَكات العالية والراقية، ولا يمتلكون نقدًا وماًلا في سوق مكارم الأخلاق والمعرفة ولا يجدون في رأس مال وجودهم متاعًا يجذب أنظار أهل التشخيص والتعقّل، لذا يُصبحون مُجبرين على أن يُبرزوا القدرة الظاهريّة والمظاهر الدنيويّة التي تمنعهم عن طريق المكر والخداع والإرعاب والتحذير، ومن خلال إبراز الرفعة والجلال الفارغين، ووضعها أمام العوام فيبعدونهم عن عزّة حضرة الحقّ وجلاله، ويسلّمون كبرياءه وعظمته

---

[1] (م). الله. أي: شعورًا بالألوهيّة المستقلّة عن ألوهيّة

بيد الفرسان كي يتمكّنوا من الاستقرار على مركب الهوى والهوس قدر ما يستطيعون، ويحكمون الشعوب ويُسيطرون على إرادتهم واختياراتهم، ويمتطون جواد الهوس والاستبداد ويقفزون به.

وآن لنا أن نقارن بين هذه السنّة والأسلوب وبين سنّة رسول الله والأئمّة المعصومين عليهم السلام التي أمر بها وكانوا هم أنفسهم ملتزمين بها ومتقيّدين بها.

فمن جهةٍ هناك المعابد المشيّدة إلى علو السماء بارتفاعات تعلو عن الخمسين متراً بحجارة قيّمة ورسومات تُذهل الناظر، عجائب الزخارف والحرف والفنون، مكان البابا الرفيع والأسقف وأرباب المسيحيّة واليهود، وعلى هذا قس.... وفي الجهة الأخرى، هناك مسجد المدينة الذي أقيم على التراب والحصير بجدارٍ ارتفاعه لا يتجاوز المترين، وسقفه من سعف النخل دون أيّ علامة أو شاخص لموقع إمام الجماعة وقائد المجتمع وحامل لواء الوحي وصاحب لواء الحمد والشفاعة الكبرى؛ وحتّى عندما طُلب منه أنَّ

يبنوا سقفاً من الطوب واللخشب على ذاك الجدار، لم يأذن

وقال: أبداً، «عريش كعريش موسى»[1] ولم يتجاوز ذلك.

فلماذا يجب أن يكون الأمر على هذا النحو؟ وما هو دافع

رسول الله حتّى حكم بمثل هذا الأمر؟

إنَّ سبب هذه المسألة هو أصل التوحيد وأساس

العبودية في قبال الربوبية، وقيام منهج الأنبياء على هذا

الأساس ودوران هذا المحور.

---

[1] الكافي، ج ٣، ص ٢٩٥.

ففي مدرسة الأنبياء الإلهيّين أصل الوجود وأساس الكون متمحّضٌ ومنحصرٌ في الذات الربوبيّة الواحدة، وأصل الخلقة والتحوّلات مترتّبة عليها، وكلّ شيءٍ ناشئ عن آثار الوجود الإطلاقي للحقّ، وما هو خارجٌ عن حيطة وجوده فهو العدم والفناء المحض.

دعوة الأنبياء والأولياء الإلهيّين هي دعوةٌ نحو ذات واجب الوجود فقط

ومن هذا، فإنَّ دعوة الأنبياء والأولياء الإلهيّين سوف تكون نحو ذات واجب الوجود فقط وفقط، ولا سبيل لأيّ شائبة من وجودهم في هذه الدعوة، فلماذا إذن يجب أن يتصرّفوا مثل الحكام والسلاطين وأرباب الكنيسة والكنيس؟ وأيّ ضرورةٍ يشعرون بها من أجل تقليدهم واتباعهم؟

علاوةً على ذلك وهو الأهمّ، يجب أن لا يوجد في مكان عبادة العِباد أي رادعٍ أو مانعٍ عن التوجّه إلى ذات المعبود، ينبغي أن لا يجد العبد لله في قلبه ونفسه حائل عبادته إلّا الله، يجب أن يكون متوجّهاً إلى الساحة الربوبيّة بكامل وجوده؛ ولهذا السبب، فإنّ أيّ شيءٍ

يمنعه من مثل هذا الهدف سيتعارض مع أصل العبادة والتحرّك نحو عالم التوحيد.

فقط لله هي العزة والكبرياء الإلهيّين في مدرسة الأولياء

في مدرسة الأولياء الإلهيين العزة لله وليست لعباد الله، فالكبرياء رداءٌ لا يليق إلّا بالقامة الشامخة لربّ العزّة، لا القامة القبيحة للمدّعيين والمحتالين، فالعبودية لا تليق إلّا لذات ذو الجلال، ولا تليق بأصحاب الشهوات والظالمين، والتعظيم جميلٌ إذا كان أمام العظمة اللامتناهية للحقّ عزّ وجلّ، لا للخسيسين وأصحاب الفطرة المنحطّة، والسجدة ينبغي أن تكون لخالق الأرضين والسماوات، لا الشياطين والوحوش.

ولذلك أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكون المسجد خالياً من أيّ أثرٍ ومظهرٍ قد يصرف توجّه العبد عن الذات الإلهيّة المقدّسة، كما أوصى أن تكون مراكز العبادة بأبسط شكلٍ ممكنٍ.

ففي مسجد رسول الله العزّة والكبرياء لله، أمّا في الكنائس والمعابد فهي للقائمين عليها ولأصحابها.

الدعوة في مسجد رسول الله إلى ذات الواحد القهار، أما في الأماكن الأخرى فالدعوة إلى أصحاب تلك الأماكن والمتصدين لشؤونها.

النداء في مسجد رسول الله نداءُ التوحيد، أما في الأماكن الأخرى فالنداء نداءُ الكثرة والتوجّه للنفس.

لا فرق في مسجد رسول الله بين مكان جلوس خاتم النبيّين والمختار عالم الخلقة مع مكان باقي المشاركين ولو برأس إبرة، أمّا في الكنائس والمعابد فالقس والرئيس وغيرهما يجلس في أرقى وأعلى وأبرز النقطة.

في مسجد رسول الله: **«الله أكبر»** أمّا في الأماكن الأخرى: أنا أكبر، حتّى ولو احترزوا عن ذكر ذلك باللسان.

ما يُروّج له في مسجد رسول الله هو العبوديّة المطلقة في قبال الربوبيّة المطلقة، أمّا في المعابد الأخرى فإنَّ الدعوة لربوبيّة النفس والأنانيّة والفرعونيّة.

ولو أتى شخصٌ إلى المدينة للقاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودخل إلى المسجد لما عرف من هو رسول الله، إذ ليس هناك ما يُميّز الرسول عن الحاضرين، فلا يوجد حارسٌ أو حاجبٌ أو مكتبٌ لتنظيم اللقاء به ولا انتظارٌ لقوتٍ طويلٍ ولا توجد وسائط وأثاث

[خاصّ به]، كان يجلس كسائر الأفراد في المسجد ويقوم بترتيب وتنسيق الأمور هناك، وكان صادقاً مع الجميع، ولم يكن من سببٍ للمكر أو الخداع في علاقاته.

في يومٍ من الأيّام قال لي والدنا المرحوم رضوان الله عليه:

قصّةٌ تتعلّق بتصرّفٍ إزدواجيٍّ من قبل أحد العلماء المعروفين والمشهورين

في تلك السنوات التي كنتُ قد هاجرتُ فيها للتوّ من النجف إلى إيران، واخترتُ السكن في طهران، ذهبتُ من أجل أمرٍ حياتيٍّ إلى إحدى المدن للقاء أحد العلماء المعروفين والمشهورين؛ وبما أنّني لم أشأ أن يطلّع شخصٌ آخر على هذا اللقاء قررتُ أن ألتقي بذلك العالم بين الطلوعين. وفي صباح اليوم التالي، اتجهتُ بعد أداء الصلاة نحو منزل ذلك الشخص، وعندما وصلتُ إلى بيته، كان الجوّ ما زال مظلماً. طرقتُ الباب، ففتح الخادم لي الباب، وأذّن لي بالدخول إلى داخل المنزل، وقال في الضمن: ما زال سماحته في «الجوّاني» ولم يخرج بعدُ إلى «البرّاني» وسأذهب الآن لأطلعه على قدومك. وبعد

مضيّ ثلاث أو أربعة دقائق عاد الخادم، وقال: سماحته في هذه الغرفة المجاورة، وهو ينتظرك الآن، فقمتُ ودخلتُ الغرفة. فرأيته جالساً خلف مكتبه بزيه الرسمي منشغلًا بالمطالعة في أحد الكتب الفقهية من القطع الرحلي، في حين أنَّ الخادم كان قد قال: إنّ سماحته لا يزال في «الجوّاني» وسيكون في خدمتك قريباً! عندما شاهدت هذا المشهد، قلت في نفسي: مع الجميع نعم، ومعي أيضاً نعم؟! فقمتُ وقطعتُ ارتباطي به بشكلٍ دائمٍ.

الأسف، لقد تمّ تغيير سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بعد ارتحاله بواسطة خلفاء الجور، وجعلوا أساليبهم ومرامهم مثل باقي السلاطين والحكّام وإمبراطوريّات باقي الملل والنحل.

شيّدوا القصور والقلاع الضخمة بعنوان حفظ ماء وجه الإسلام ومراعاة شؤون سلاطين الإسلام، ولوثوا مساجد المسلمين مثل الكنائس بالذهب والزينة والزخارف والصور واستخدام أنواع الفنون، والأثر الوحيد الذي لم يعد يُشاهد فيها هو ندّاء التوحيد والتوجّه إلى الوجود المطلق للحقّ والتواضع والعبوديّة وفرض الاعتبارات والتعيّنات، وأصبح أئمّة الجماعات كأرباب الكنائس في الاهتمام بتزيين المسجد والمحراب والمنبر وزخرفته ويتسابقون فيما بينهم في ذلك، ويسعى كلّ واحدٍ منهم لرفع مكانته على السابقين.

وقد حرم استمرار هذا النهج غير المقبول إلى يومنا هذا الجميع من إدراك فيض الحضور في المساجد بالأسلوب والسنّة الإسلاميّين.

ففي عصرنا الحالي، ابتعدت مساجدنا عن المسار الذي رسمه لها الإسلام ومدرسة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فالزخرفة بالكاشي والمرايا والزخارف الأخرى بما في ذلك التزصيع بالذهب أبعدها تمامًا عن السنّة السنيّة لأولياء الحقّ، فإنَّ المصلين يُفكّرون بكلّ شيءٍ في هذه المساجد سوى بالحضور المطلق بلا أيّ قيدٍ لله؛ ولا يجب أن يُفكّروا بها؛ لأنَّه لا مكان لله في هذا المكان، وذهنهم وقلبهم مضطربٌ ويتحرّك بكلّ اتجاه إلّا باتجاه التوجّه نحو الخالق المعبود؛ وجميع ذلك يعود إلى تقوية القوى الواهمة والخياليّة.

ففي هذه الأماكن عوضاً عن التعليم والتربية الإسلامية الصحيحة والمتقنة وبدلاً من تنوير الأذهان بالمعارف الأصيلة لمدرسة التشيّع، يسعون إلى الرفعة والتفاخر والعلوّ والتفوق على الآخرين، ويسعى الناس نحو اكتساب الامتيازات الاجتماعية بصورةٍ أكبر ونحو الشهرة وأن يصبحوا معروفين على الصعيد الشخصي، ولا يتورعون أبداً عن كتمان الحقائق ومعارف مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعذرٍ واهٍ وهو مراعاة المصالح والمسائل الاجتماعية؛ وفي المقابل لا يتورّعون عن نشر المطالب الخاطئة ولا عن تشويش الأذهان وتمويه الأفكار بشتى أنواع الطرق.

وفي هذه الحالة، كيف يمكننا أن نفصل طريقنا ومسيرنا عن باقي الفرق والأديان، ونعدّ أنفسنا على حقّ والباقي أهل الضلالة والبطلان؟ ألم نسلك نحن ذات السبيل والطريق الذي كنّا نذمّه ونمقته ونقدح فيه؟ وألم نقم بتقوية الخيالات وتعزيز الأوهام والتصوّرات

غير الواقعيّة عوضاً عن تحسين القوى العقلانيّة والفطريّة؟

خلال بعض الأسفار كان طريقي يمرّ بتلك الكنائس الكاثوليكيّة وبصور الحكّام والسلاطين، فكنتُ أجلس جانباً وأغرق في أفكاري وأقول مخاطباً نفسي: ألسنا مثل هؤلاء الأفراد وأصحاب السلطة والتزوير؟! وأليس هذا هو نفس الملاك والمعيار الذي قام عليه الماضون وقام عليه جيلنا المعاصر وهو نفسه الذي جعلهم يقومون بهذه الأعمال في مقام التفرّع والأنانيّة والاستكبار.. أليس هو نفسه موجوداً بيننا وبين مسؤولينا وعدائنا؟!

أهميّة منزلة الحكمة في رؤية القرآن الكريم

وهذا نفهم عمق الآية الشريفة حول حضرة لقمان وموقفه، والتي تقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[1] أو الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]،

---

1. سورة لقمان (٣١) صدر الآية ١٢.
2. سورة البقرة (٢) قسم من الآية ٢٦٩.

فمن يُؤتَ الحكمة، فقد نال الخير العظيم والصلاح

والفلاح الأبدي.

الحكمة تعني: انكشاف الباطن ورفع الإبهام في موارد الشك، ووضوح الأحداث والظواهر الخارجيّة، هو ليُمكن للشخص الذي ينال مثل هذه النعم العظيمة أن يضل ويحرف؟! هل تستطيع الحوادث والأيّام أن تحرفه عن مسيره المستقيم؟! هل يمكن لكثرة العدد وللإعلام الواسع والإشاعات العجيبة الغريبة أن تؤثّر على ذهنه وفكره؟! هيهات! فهو يُصحّح مسيره وكذلك يُنقذ الآخرين من ورطة الهلاك، ويُوجههم إلى ساحل السعادة والفلاح في ظلّ نور الحكمة وشعاع شمس الهداية، وبهذا اللحاظ يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ضَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَكِيمٌ يُرْشِدُهُ»[1]

يعني: «ضلّ» وانحرف الشخص الذي لم يضع يده بيد الحكيم والشخص الذي قطع الطريق إلى نهايته والذي يمتلك ضميرًا منيرًا الذي يعرف الصلاح والفساد جيّدًا، ويستطيع التفريق بين الطريق والحفرة، ويُميّز

---

[1]. غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٨٥٩.

بين الطرق الملتوية وبين الصراط المستقيم، ولم يُسلّم نفسه له».

ن يّيهلإا ءايلوألا فاصوأ يان يف مالسلا هيلع نينمؤملا ريمأ مالك

:دارفلأا ءلاؤهسفنفصو يفولقو

«هَجَم بهم العلمُ على حقيقة البصيرة بواشَر اورَح

امبا اوسِنأو ،نَوفرِتُملا هرَعوْتسا ام اونلأتساو ،نيقيلا

اهُحاورأ نِادبأبا ينُّدلا اوبحَصو ،نَولِهاجلا هُنمشَحوَتسا

مُعلَّقَّتةٌ بالحَلِّ لأعلى، أولئك خلفاءُ اللهِ في أرضِه، و

الدُّنيا إلى يَنقِه»[1].

أي: «إنّ العلم والمعرفة بالواقع وانكشاف الحقائق القابعة خلف الستار قد أمطرت على قلوبهم وضمائرهم، ورضوا بالأمور الصعبة التي لم يرضى به المسرفون والمترفون، ومسّوا جوهر الإيمان واليقين بأرواحهم وقلوبهم، وألفوا واستأنسوا بالحقائق التي يخشاها ويستوحش منها الجهلاء والبعيدون عن وادي العلم والمعرفة، وقد عاشوا في هذه الدنيا بأبدانهم

[1]. ١٧١ ص، ٤٠ ج ،{هدبعلا ةغلابلا جهن

وأجسادهم، لكنّ أنفسهم وأرواحهم كانت متّصلةً بعالم القدس والمحلّ الرفيع من الطهارة والأنس، أولئك هم خلفاء الله على الأرض ودعاة البشر إلى دين الله».

فـ زخارم بالاهتمام والاشتغال بذكر الله نعم إنّ عدم
الديانة والحرمان من نصيحة المشفقين عِبَرٌ للناصحين،
وإطراء الحواريين المتملّق الذخدام بتلاعب والاحتيال
المزوّرين والوقوع في أيدي المنحرفين المزايدين، بالمديح والثناء والتمجيد والتقديس، كلّ
ذلك يُقوّي القوّة الوهمية عند الإنسان ويُضعف نور
العقل والإيمان، وعند اشتداد القوى الخيالية والوهمية
يظنّ الصالح فاسداً، والفاسد صالحاً، فيعتبر نصيحة
المشفقين عداوةً وخصومةً، ومدح المتملّقين ثناءهم
محبةً ولُطفاً، فيقوم من حوله بتعزيز رأيه وتأييد منهجه
الخاطئ والمنحرف بدلاً من نقده وإصلاحه، فيترك
أصدقاءه الواقعيين والملتزمين مكانه ليجلس عنده حفنةٌ
من الأفراد الوصوليّين المؤيدين.

ويبتعد عنه العلماء وأصحاب العقل والسداد،
ويجلس مكانهم بالباطل والديانة ممّن لا خبر لديهم عن الله
ومن أصحاب السيرة الشيطانيّة، فيسوقونه في مسير
الأهواء والهوس نحو جهنّم والنيران الإلهيّة، ويصلي

عاقبته بأيدٍ خالية، وعمرٍ ذرته الرياح، ورأسمالٍ مهدورٍ، ويُعادر إلى الديار الأبدية مقام المفسدين والظالمين، بحقيبةٍ مثقلةٍ بالسوءات والأخطاء والأسئلة، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1].

وصايا أمير المؤمنين عليه السلام في تعلّق بتذكّر الموت وأخذ العبرة من الماضين

«عَجائِبُ الفَناءِ، وقَرارُ البَلاءِ، وصَبِيحُ المَوتِ، ومَذكِرُ الفَوتِ، ومَحَلُّ التَّلَفِ، وحُشُودُ القِيامَةِ، وحُضُورُ الجَنَّةِ والنّارِ، وحَوادِثُ الدُّنيا، وبَوائِقُ الآخِرَةِ[2]، وغَلَباتُ الهَوى، وفِتنَةُ الدُّنيا، وبَلِيَّةُ الأعداءِ، وصَرعَةُ الأيّامِ، وأُحدُوثَةُ الأُمَمِ، ومَعَ ما يَتلُو ذلِكَ مِن هَولِ المَطّلَعِ، وأليمِ المَوقِفِ، وتَعادُلِ الأعمالِ، وتَكامُلِ الأثقالِ، وتَطايُرِ الشُّعُورِ، وتَشَتُّتِ الأُمُورِ، وتَقَطُّعِ الأسبابِ، وتَزايُلِ الأحبابِ، وتَفاوُتِ الأنسابِ، وتَناهِي الأهوالِ، وتَرادُفِ الزَّلازِلِ، وتَواتُرِ القَلاقِلِ، وتَظاهُرِ الغَواشِي، وتَناصُرِ البَلايا، وتَضايُقِ المَسالِكِ، وتَناقُصِ القُوى، وتَهافُتِ الحُماةِ، وتَكاشُفِ الظُّلَمِ، وتَراكُمِ الكُرَبِ، وتَزاحُمِ الرُّكَبِ، وتَناهِي الشِّدَّةِ، وتَعالِي الصَّيحَةِ، وتَحاسُرِ الأنفاسِ، وتَغَيُّرِ الأجسادِ، وتَحَيُّرِ الأذهانِ، وتَقَطُّعِ الأقرانِ، وتَخاذُلِ الأعوانِ، وتَفاقُمِ الأُمُورِ، وتَلاطُمِ الأمواجِ، وتَكافُؤِ الأضدادِ، وتَجاوُبِ الدُّعاءِ، وتَضارُعِ الأصواتِ، وتَعالِي الأنّاتِ، وتَرادِي الحَسَراتِ، وتَحَيُّرِ الفِكَرِ، وتَقَطُّعِ الحِيَلِ، وتَحَيُّرِ العُقُولِ، وتَصَدُّعِ الجِبالِ، وتَكَدُّرِ النُّجُومِ، وتَناثُرِ الأفلاكِ، وتَرَدُّدِ الأرجاءِ، وتَمَوُّجِ البِحارِ، وتَسَجُّرِ النّارِ، وتَغَيُّرِ الأرضِ، وتَبَدُّلِ السَّماءِ، وتَهافُتِ الكَواكِبِ، وتَكَوُّرِ الشَّمسِ، وتَناثُرِ النُّجُومِ، وتَسَيُّرِ الجِبالِ، وتَفَجُّرِ البِحارِ، وتَبَعثُرِ القُبُورِ، وتَشَقُّقِ الصُّخُورِ، وتَهافُتِ الأشياءِ، وتَلاشِي الأسبابِ، وتَقَطُّعِ الأرحامِ، وتَعَطُّلِ الحُدُودِ، وتَرَكُّضِ البَهائِمِ، وتَحَيُّرِ الوُحُوشِ، وتَصادُمِ الأُمَمِ، وتَناهِي الهَولِ، وتَزايُدِ الفَزَعِ، وتَضايُقِ الأرجاءِ، وتَناهِي الأمرِ، وتَعالِي الدَّيّانِ، وتَقَرُّبِ الجَبّارِ، وتَجَلِّي العَظَمَةِ، وتَحَقُّقِ الوَعدِ، وتَصَدُّقِ الوَعِيدِ، وتَوَجُّبِ الحِسابِ، وتَحَقُّقِ العِقابِ، وتَقَرُّرِ الجَزاءِ، وتَبَيُّنِ الحَقائِقِ، وتَكامُلِ القُدرَةِ، وتَعالِي العَظَمَةِ، وتَمامِ الكِبرِياءِ، وتَوَحُّدِ الجَلالِ، وتَفَرُّدِ الأزَلِ، وتَقَدُّسِ الأبَدِ، وتَنَزُّهِ الذّاتِ، وتَعالِي الصِّفاتِ، وتَمامِ الأسماءِ، وتَكامُلِ الأفعالِ، وتَعالِي الإرادَةِ، وتَقَدُّسِ المَشِيَّةِ، وتَعالِي الإلهِ، وتَقَدُّسِ الرَّبِّ

استقرار تقلّب الليل والنهار، وأطلعه على قصص الماضين ذات العبرة، ونبّهه بما جرى على الأجيال السابقة».

عند مرور أمير المؤمنين عليه السلام من مدائن كسرى، ترجّل عن مركبه، وعندما وصل إلى إيوان كسرى، توجّه نحو القبلة وصلّى ركعتين، وتلا هاتين الآيتين:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[1]:

يعني: كم ترك هؤلاء من بساتين مليئة بالخضرة وعامرة بالشجر وعيون الماء العذب ومضوا عنها، فأخلوا مزارعهم النضرة ومقامهم الرفيع، ومضوا إلى منزل الآخرة، وكم هي كثيرةٌ تلك النعم والملذّات التي غرقوا فيها فخرجت من أيديهم بأجمعها. نعم، هذه هي سنّة الله ومشيئته بحيث يأخذ هؤلاء ويضع مكانهم مجموعاتٍ أخرى وأقوامٍ آخرين، فلم تبكِ في رثائهم

[1] سورة الدخان (٤٤) الآيات ٢٥ إلى ٢٩.

السماء ولم تحزن عليهم الأرض، ولم يكن لديهم مهلةٌ من قبلنا ليحيوا ويعيشوا أكثر»[1].

يقول الخيّام:

آن قصر كه جمشيد در آن جام گرفت ** آهو بچه

كرد و روبه آرام گرفت

بهرام كه گور مى گرفتى همه عمر ** ديدى كه

چگونه گور بهرام گرفت؟

[يقول: ١- ذلك القصر الذي كان «جمشيد» يأخذ فيه قدح الفتح، قد خرب وصار مزبلةً فوضعت الغزالة مولودها فيه، واستقرّ فيه الثعلب

٢- هل كيت رأي هل أنّ فيك الذي كان يصطاد «بهرام» فريسته طوال عمره، هل كيت رأي هل أنّ القبرُ أخذه واصطاده؟].

تأكيد تشجيع الأعاظم على زيارة أهل القبور ومشاهدة آثار السابقين لأجل أخذ العبرة

كان العظماء يشجعون تلامذتهم دوماً على زيارة أهل القبور ورؤية آثار السابقين لأخذ العبرة.

---

[1]. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٩٩.

ـ فقد أوصى المرحوم القاضي ـ رضوان الله عليه ـ تلامذته بزيارة أهل القبور، وأن يجلسوا بعد قراءة الفاتحة في زاويةٍ أو ينضموا ساعةً من الوقت بالصمت والخلوة والتفكّر في المآل وفي عاقبة الأمر وفي الموت، وكان يقول:

هذه الأسلوب تأثير جيد في قطع التعلقات، والتفاتات النفس إلى مبدأ الوجود، وميوعة الالتفات إلى الكثرات»[1]

---

[1] ذو فيق ـ رضوان الله عليه ـ الوالد المرحوم، العلامة الطهراني ـ رحمة الله عليه ـ المحاضرات الأخلاقية، ص 195.

وقد أدركت المرحوم الحاج آقا مهدي الأبهري الخانصمني ـ رحمة الله عليه ـ وقد ناهز المئة عام، وكان ذو ذاكرة قوية، وروح نيرة، وقلب صافٍ، ونفس مطمئنة، وكان يُعدّ من العلماء الأتقياء.

وقد قال لي مرة، وقد تجاوز عمره الشريف مئة وعشرين سنة:

«كنت أتردد على مدرسة الخان في طهران في فترة الشباب بسبب مقتضيات العمل؛ وفي كل مرة كنت أمرّ بالقرب من الأشجار الكثيفة في حديقة المدرسة، كنت أشعر بأن روحي تتسامى، وكنت أتأمل في عظمة الخالق، وأتفكر في عجائب صنعه، وكنت أشعر بأن الأشجار تسجد لله، وأن الأوراق تسبّح الله، وأن الأغصان ترفع أيديها بالدعاء إلى الله، وأن الجذوع تخرّ ساجدة لله، وأن الجذور تتضرع إلى الله، وكنت أشعر بأن الله تعالى يتجلى على الأشجار، وأن الأشجار تتجلى بالله، و

وكذلك في حرم المعصومين عليهم السلام يجب على الزائر أن ينتحي بعد الزيارة في زاويةٍ وأن يجلس ويمضي بعض الوقت في الصمت والتفكر، فإنَّ القراءة الكثيرة الأبعدية، والدوران بين كافة الأبعدية والزيارات والاستمرار بالقراءة، تمنع الإنسان من التصيب والفائدة الأكثر.

بالطبع إنّ هذا التوجيه يختلف تماماً عما هو متداول بين العوام وأولئك الذين ابتعدوا عن مسار التكامل والحياة اختلافاً جوهرياً ومواهياً. فقد تعرّض البعض إلى هذه الآثار من باب إحياء الآثار القومية وسنن القدامى وتاريخ الماضين، وكان الفخر بتلك الحقبة هو مصبّ الاهتمام، وهذا بنفسه خطأ فاحش جداً ونهجٌ مرفوض ومذمومٌ بشدّة.

فلا مكان لإحياء آثار الجاهلية وللسُنن غير الإلهية وللخرافات القومية في فضاء التوحيد والاهتمام بالتعاليم الإلهية، فبدلاً من سوقه إلى المبدأ والتوجّه إلى التوحيد والنظر إلى المستقبل والمآل، تسوقه إلى الالتفات إلى مظاهر الكثرة وعلامات الجاهلية وآثار الأذانية وظلم الظالمين، وإلى أصحاب المال والسلطة الذين لا خبر لديهم عن الله والإنسانية، وإلى الحكومات القمعية المعادية للشعوب، وبدلاً من الالتفات إلى مباني التوحيد وأصوله التي تمّ تفسيرها بلسان الشريعة بوساطة الأولياء الإلهيّين، تجعله يميل نحو الخرافات والمسائل اللاهوتية والعابثة؛ أما مشاهدة هذه الأماكن بقصد التنبّه والتوجّه وأخذ العبرة وتصحيح الأفكار وإيجاد مسير الحياة، فهو أمرٌ مناسبٌ ومفيدٌ جداً ولا إشكال فيه.

وأما الأمير المؤمنين عليه السلام في **نهج البلاغة** خطبةٌ في ذمّ الاهتمام بآثار السلف والتفاخر بها على الآخرين، وهذا نقاط الفتة غريبة في تفسير سورة {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} حول آثار الماضين* وتُعتبر مطالعتها من أهم المسائل للجميع.

*نهج البلاغة (عبده) ج ٢، ص ٢٠٤، الخطبة ٢١٥.

فعلى الزائر أن يستشعر حضور الإمام المعصوم إلى جواره، وأن يُسلّم نفسه إليه، وأن يعتبر ولايته عليه فرضاً وواجباً، وأن يجعل نفسه منقاداً له فيحدّثه ويحاوره في باطنه وسرّه ويناجيه، فيعدم نفسه ويفنيها في نفس المعصوم عليه السلام، ويستذكر حياة الإمام عليه السلام والأحداث التي مضت عليه ويضع نفسه في ذلك الزمان وفي تلك الظروف ويقيس بالميزان حالته وهو إلى جوار الإمام عليه السلام، وفي حال الخطأ والاشتباه يسعى إلى تصحيح مساره، ويُرمّم ماضيه ويجبره، ويبدي الجدّية والاهتمام في قبول ملزومات الإمامة والولاية بكلّ ما لديه من قدرة واستطاعة، وعند ذلك وفي هذه الحالة سوف يكون له من هذه الزيارة نصيباً أكبر وبركة أعظم وتقرّباً أعلى تبعاً لذلك.

ولن تكون زيارة الأئمّة المعصومين عليهم السلام مثمرةً وتخلّلها الصراخ والنواح والصرخات العالية والصاخبة، بل ستكون سبباً في انزعاج الآخرين

وسلبهم الراحة وفرع حضور القلب من الزائرين؛ وهذا عين المعصية والاشتباه.

فالإمام يسمع نجوى القلب، ومطلّعٌ على مكنون خاطرنا، ومشرفٌ على مكنونات سرائر ضمائرنا إشرافاً كلّياً، ولا يحتاج إلى صوتٍ وصراخٍ وعرض الحاجة بالصرخات الخارجة عن الأدب.

فالأفراد الذين يقومون بقراءة المجالس والأشعار وإصدار الأصوات في حرم الأئمّة عليهم السّلام، لن يكونوا محلّ نظرهم وتوجّههم قطعاً، فلا ينبغي الخروج عن حدّ الأدب والاحترام في حرم الأولياء الإلهيّين وموازرهم؛ يجب إبراز الأدب والاحترام أمام ساحة وجودهم المقدّس وينبغي إبراز الوفاء والعشق والطاعة.

وكثيراً ما نرى الزائرين لأئمّة البقيع عليهم السلام يقتربون من القبور بأحذيتهم ويقتربون من المراقد المطهّرة ويبدؤون بقراءة الزيارة، وهذا العمل يعتبر في كمال الإهانة وقلّة الأدب في قبال المعصومين عليهم السلام، فما الفرق بين حرم الإمام الرضا عليّه السلام وحرم أئمّة البقيع عليهم السلام كي يكون هذا الفرق الشاسع بينهما في الحركات وكيفيّة الزيارة؟! جميع هذه المسائل ناشئة عن جهل الزائر الذي ملأ بصره وسمعه البابَ والحائط والمرايا والطلاء بالذهب والأربعون فانوس، فأصبح غافلاً عن التوجّه إلى باطن الإمام ونفسه الولائيّة.

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام المتعلّقة في التأمل والسير في آثار ودِيار الماضيين

«وسِرْ في دِيارِهِم وآثارِهِم، فَانظُرْ فيما فَعَلوا، وعَمّا انتَقَلوا، وأينَ حَلّوا ونَزَلوا، فَإنَّكَ تَجِدُهُم قَدِ انتَقَلوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وحَلّوا دِيارَ الغُربَةِ؛ وكأنّكَ عَن قَليلٍ قَد صِرتَ كَأحَدِهِم؛ فَأَصلِحْ مَثواكَ، ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْياكَ».

نعني: تفكّر في ديار الماضين وآثارهم (سواءً من
خلال رؤية منازلهم الخربة وآثارهم الباقية وسكناهم
المتهدّمة، أم من خلال مطالعة تاريخهم وقراءة كتبهم
وآثارهم الباقية)؛ فتأمّل معالمهم وتصرّفاتهم وجدّهم،
وانظر أين هم الآن من أيّ المنازل، وحلّوا في أيّ
الأماكن؛ فإنّهم انتقلوا من المنازل الرفيعة (انتقلوا من
القصور والبساتين الخضراء ليصبحوا في مأواهم
المرتفعة الملتحدة بالتراب ودخلوا القبور) وفي هذه
الأثناء سترى أنّهم أوجؤوا إلى أصدقائهم وسمارة
الأحبّة، وابتعدوا عن ديار الغربة والوحدة،

وأنتَ أيّها الحسن! سوف تصبح في المستقبل القريب مثل واحدٍ منهم، وسوف تمضي في نفس الطريق الذي مضوا فيه؛ لذا أصلح وضعك ومثواك، ولا تبع آخرتك بالدنيا».

إنّ هذه الفقرة من وصيّة الإمام، تستحقّ التأمّل؛ فإنّها تعلّمنا أن نصبح أحد الأيقاظ الذين لا يخلطون بين الماضين والأحقين، وليس هناك من اختلافٍ

يوجد في البين إلّا الزمان هو الذي فصل بين الجليْنْ،

وليس هناك من امتيازٍ آخر بينهما.

ومن هذا المنطلق يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ جَنَازَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَحْمُولُ

[تتصوّر أنّهم سيرون بك إلى قبرك الأبدي، بالتالي

انتبه لنفسك ماذا هيأت من زادٍ لذلك اليوم! وما هو العمل

الذي ستأخذه معك!]»[1]

الأوامر والتدستورات العمليّة عن أمير المؤمنين عليه السلام في أبعاد الحياة الشخصيّة والإجتماعيّة.

«وَدَعِ القَوْلَ فِيمَا لا تَعْرِفُ، والخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلالَتَهُ، فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ الحَيْرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ[2]».

يعني: «لا تتحدّث في موضوعٍ ليس من اختصاصك وليس لديك فيه خبرة، ولا تفتح فمك في الموطن الذي لم يكن عليك تكليفٌ فيه بأن تتكلّم، ولا تمضِ في طريقٍ وقد خفيت عليك نهايته؛ لأنّ التوقّف والسكون في مواطن الحيرة والخوف من الضلالة

---

1. الكافي، ج ٣، ص ٢٥٨.

2. الأهوال جمع هول، وهو الخوف والأمر الشديد.

والانحراف أفضل من الوقوع في الهلكة ودمار الجسم والروح والدنيا والآخرة».

من هذه الفقرة وما يليها، يبدأ الإمام عليه السلام بطرح الدساتير والقواعد العملية، ويطرح برنامجاً للحياة الشخصية والإجتماعية؛ ويبدأ حديثه عن كيفية الاتجاه والتكليف في حال الجهل والشك بالمسألة، فيُعيّن للإنسان بشكلٍ عامٍّ موقفه تجاه المسائل الخارجية والقضايا التي يُواجهها، ويُشخّص له تكليفه؛ سواءً في المسائل التي لديه علمٌ ويقينٌ تامٌّ بها، أم في المسائل التي فيها شكٌّ وإبهامٌ؛ وما ورد في هذه الفقرات يجمع لما بين الحالات المختلفة، ويمكن حساب القدر المشترك بينها على أنَّه عدم وجود المصلحة والحجّة البيّنة على إقدام الإنسان في هذه الحالات.

العواقب الوخيمة للتكلّم في غير مجال تخصّص الإنسان وعلمه

المسألة الأولى: التكلّم في الموطن الذي لا يمتلك الإنسان فيه العلم والاطلاع الكافي على جوانب المسألة.

فإبداء الرأي في هذه الحالة وسوق الأنفاس في اتجاهٍ معيّنٍ

عين الخطأ ويؤدّي إلى الهلكة والعواقب الوخيمة.

ومن المعروف أنَّ الناس يُبدون رأيهم ونظرهم في ثلاثة مواضيع:

الأوّل: في مجال الطبّ وتشخيص الأمراض وصرف الدواء.

الثاني: في مجال البناء والأبنية.

الثالث: في مجال الأحكام والمسائل الشرعيّة، وإبداء النظر في كافّة هذه المسائل خطأ، وخصوصاً التدخّل وإبداء الرأي في الأحكام الشرعيّة، وينبغي في هذا الموضوع على أهل الفضل والعلم الاجتناب والحذر، وطالما لم يكن لديهم علمٌ ويقينٌ قطعيٌّ بالحكم أو بالمسألة الاعتقاديّة، فلا يفتحوا أفواههم بالكلام والفتوى. ولا يتصوّروا بأنَّ إظهار عدم المعرفة مُوجبٌ للمنقصة في الدين أو يبعث على توهين الشريعة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا تَقُلْ ما لا تَعلَم! بل، لا تَقُلْ كُلَّ ما تَعلَم!»[1] فكلّ مقامٍ مقال.

---

[1]. نهج البلاغة (عبده)، ج ٤، ص ٢٢٧.

ففي كثير من الأحيان، يؤدي إظهار أمرٍ من الأمور وبيانه إلى جلب المفاسد وتوالي العواقب الوخيمة؛ وحكم ذلك هو الحرمة. كما أنصرف الدواء من شخص غير طبيب حرامٌ ويترتب عليه الدية والحساب والعقوبة؛ كما ورد في مضمون هذه الرواية.[1]

تجنب الولوج في المسائل الملتبسة والمبهمة

المسألة الثانية: تُحذّر فقرةٌ أخرى من الوصية الإنسانَ من الدخول في المسائل الملتبسة والمبهمة، تلك المسائل التي يخفى على الإنسان صحّتها وسدادها، ومن الممكن أن تضعف قدرة الإنسان فيها على الفهم والتشخيص بسبب إصرار المحيطين وغلبة الشائعات وكثرة القيل والقال، ويُصبح من الصعب تمييز طريق الصواب عن غير الصواب، فيُسلّم الإنسان قدرته واختياره إلى حفنةٍ من الأفراد أو مجموعةٍ خاصّة ذات أهدافٍ مُعيّنةٍ، ويضعونه في مسارٍ لن تكون عاقبته فيه سوى سوءُ الحظّ والخسران.

---

[1] الكافي، ج ٧، ص ٣٦٤.

وكم توجد من الوساوس في هذه المسألة؛ لأنّ تحديد التكليف أو عدم القيام بمسؤوليّةٍ خاصّةٍ، أو الشعور بلزوم رفع الظلم وأمثال ذلك كلّها تزيد من العلّة والانحراف، ثمّ يُضيفون على هذه الإجراءات اللون والصبغة الإلهيّة، ويعتبرونه من زمرة المتعهّدين والملتزمين بالوظيفة الشرعيّة.

تقول الآية الشريفة حول هذه الأمور:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾[1].

يعني: «لا تدخل في أمرٍ ليس لديك فيه قطعٌ ويقينٌ ولا تتبعه؛ واعلم أنّ الله سوف يسأل عن مسموعاتك ومُبصراتك وعن إدراكاتك الباطنيّة وأحكام ضميرك وما أودعه فيك».

توضيح وتفسير كلام الإمام الصادق عليه السلام: الأمور الثلاثة...

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّما الأُمورُ ثَلاثَةٌ: أمرٌ بَيِّنٌ رُشدُهُ فَيُتَّبَعُ، وأمرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ فَيُجتَنَبُ، وأمرٌ مُشكِلٌ يُرَدُّ علمُهُ إلى الله وإلى رسولِهِ. قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: حلالٌ بَيِّنٌ وحرامٌ بَيِّنٌ وشبهاتٌ بَينَ ذلكَ، ومَن تَرَكَ الشُّبُهاتِ نَجى مِنَ المُحَرَّماتِ، ومَن اجتَرَأَ على الشُّبُهاتِ ارتَكَبَ المُحَرَّماتِ وهَلَكَ مِن حَيثُ لا يَعلَمُ»[2].

---

1. الآية ٣٦ من سورة الإسراء (١٧).

2. الكافي، ج ١، ص ٦٧.

إنّ القضايا والأمور التي تحيط بالإنسان تتلّف به لا تخرج عن ثلاث حالات:

الحالة الأولى: قضيّةٌ تكون الصحّة فيها واضحةً والصلاح فيها جليّاً، دون أيّ نقطة إبهامٍ أو شكٍّ بالطبع على الإنسان أن يُرتّب الأثر عليها ويؤدّيها.

الحالة الثانية: عكس الصورة الأولى؛ يعني: يكون الفساد والهلاك والظلمة مشهوداً في القضيّة بوضوحٍ، وليس هناك أدنى شكٍّ في ذلك، وفي هذه الحالة أيضاً، الواجب على الإنسان واللازم عليه تجنّب الدخول فيها وعدم الإقدام عليها.

الحالة الثالثة: المواطن التي لا يتّضح فيها الصلاح والفساد؛ ومن المحتمل أن يُؤدّي دخول الإنسان بها إلى الهلكة والندم، وفي هذه الحالة يجب الاجتناب عن هذه المواطن أيضاً؛ لأنّ الخشية هي أن يقع في الحرام والهلكة؛ فيخطّ بخط البطلان على كافّة الاستعدادات والإمكانات التي يمتلكها بدون أن يعلم أو يشعر، فيُبتلى بالندم المستمرّ.

وقد وضّح الإمام عليه السلام في هذه الرواية وظيفة الجميع وتكليفهم أمام هذه الصراعات والاختلافات بين الانقسام إلى فئتين أو فئات متعدّدة. وهي مسألةٌ لطالما أرّقت الجميع خلال الحياة وعبر التاريخ وشغلت الجميع بها.

ضرورة القيام بالأمور بناءً على أساس العلم والقطع أو الحجّة الشرعيّة

لا شكّ أنَّ الصلاح والرشد الواضح والجليّ إنّما يحصل عندما يكون للفرد علمٌ وقطعٌ به أو بواسطة الحجّة الشرعيّة التي هي مثل علم المكلّف وقطعه التي تُوصله إلى ذلك الطريق، حتّى لو لم يكن لدى الإنسان اطلاعٌ على ذلك الموضوع؛ كرجوع المريض إلى الطبيب الحاذق في صورة تأييد أهل الخبرة والتشخيص؛ كرجوع المقلّد إلى المجتهد الجامع للشرائط المتّصل بعالم الغيب والمُشرف على مصالح ومفاسد الحكم والإنسان، وبالإضافة إلى وصوله إلى مرتبة استنباط الحكم الظاهري، يكون مطّلعاً بقلبه وضميره على أسرار عالم الملكوت ويرى الحوادث

بعين الباطن (لا من خلال الرديء واليومية الجرذ
كيُو (فقط ومع زيد من القلوبة المنافق أو الأخبار
المشاهدات الملكوتيّة والقبليّة بالعيان، فيرى نفسه في
تلك الواقعة الحاضر بالعلم الحضوري، بل يكون
حاضرًا ناظرًا بالعين الحضوريّة.

في هذه الحالة، إنّ طاعة مثل هذه المجتهد أمر
واجب، وحكمه كحكم قطع الإنسان نفسه، فيكون ملزمًا
أو نافذًا.[1]

وإذا أردنا تقديم مصداق لهذه الصورة، فيجب علينا
أن نذكر أفرادًا من قبيل: المرحوم السيّد بحر العلوم،
المرحوم السيّد محمّد المهدي والمرحوم الآخوند الملّا حسين قلي
المرحوم السيّد أحمد الكربلائي، و المرحوم السيّد علي القاضي،
الله رضوان الطباطبائي والعلّامة الطهراني والعلّامة
عليهم أجمعين.

---

[1] **الاجتهاد والتقليد**، للمرحوم العلّامة الوالد (قدس الله سرّه). [تجدر الإشارة إلى أنّ الكتاب المذكور طبع فيما بعد وتُرجم إلى العربيّة تحت اسم «الدرّ النضيد في الاجتهاد والتقليد والمرجعيّة»، وللاطلاع على البحث المذكور، راجع: ص ٦٥ إلى ٧١؛ وص ٣٨٠].

وفي غير هذه الحالة، لا ينبغي أن تكون الطاعة والانقياد مطلقتين، وعلى المكلّف مراعاة موازين الاحتياط بحسب مراتب قرب المجتهد وعلمه ومعرفته، ويجب عليه الالتزام بالمباني والأحكام بمقتضى مقام الثبوت لا الإثبات؛ لأنَّ معيار الالتزام بالتكليف وبالتقليد في كلّ فردٍ مقلِّد سوف تكون بمقدار مرتبة عقله ودرايته بالموضوع والحكم المترتّب عليه مع ملاحظة موقعيّة المجتهد المقلَّد ورتبته؛ وكثيرًا ما يكون في بعض الموطن عالمًا بنفسه بالخلاف، فيحرم التقليد عليه، وفي حالة عدم الثقة بإتقان الحكم يجب عليه مراعاة جانب الاحتياط.

وبهذا اللحاظ، إذا رأى أن العظماء من أهل المعرفة والفقاهة قد حكموا بحرمة مسألةٍ ما - مثل تحريم الموسيقى وآلات القمار كالشطرنج والنرد وغيره - لكنّ بعض الفقهاء قالوا بإباحتها، فعليه أن يراعي الاحتياط وأن يتجنّب استخدامها؛ ولا يمكن تجاهل حكم فتوى هؤلاء العظماء بمجرّد تبرير جواز العمل بها بفتوى الفقيه الذي يكتب تلك الأحكام.

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

«وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَبِيَدِكَ أَنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّ مِنْ تَكُفَّ حَتَّى اللهَ فِي وَجَاهِدْ بِلِسَانِكَ، وَبَايِنْ[1] الْمَنْكَرَ بِقَلْبِكَ، وَخُضِ الْغَمَرَاتِ[2] فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللهِ سَطْوَةُ سُلْطَانٍ، وَقُمْ بِالَّذِي تَلْزَمُكَ إِقَامَتُهُ لِلَّهِ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ».

يعني: «ضع في بالك على الدوام الأمر بالمعروف الوصيّة بالأعمال الصالحة، حتّى تكون أنتَ كذلك من ضمن المحسنين والصلحاء، وحذّر الناس من ارتكاب

---

[1] مفارقة: من البينونة، وهي الانقطاع والبينونة.

[2] الغمرات: جمع غمرة، وهو الماء الكثير، أو رادها هنا الكناية عن الشدائد والمصاعب.

العمل القبيح المخالف لرضا الله، وليكن تعاملك معهم على نحو التنبيه والتذكير، وابتعد عن الشخص الذي يُبادر إلى القيام بالأعمال الخاطئة، وأبعدها عنك، وانهض في سبيل الله وإطاعة الأوامر الإلهيّة وتنفيذ رضا الله وإرادته بجميع وجودك (بالقلب واللسان والعمل)، ولا تفتح طريقًا إلى قلبك للخوف من لوم اللائمين، ولا تخشَ عند إحقاق الحقّ والعمل به من الصعوبات والعقبات التي تقف في طريقك، واسع بقدر سعتك الوجوديّة وطاقتك على التعلّم واستطاعتك في البحث وبحسب ما تسمح به الظروف المحيطة لفهم التعاليم الدينية ومعرفة مباني الشريعة والوحي وابذل اهتمامك بذلك».

يانبم يف نيصّصختملاو نيدلا ءاملعلا ةّيتايحلاو ةريطخلا ةفيظولا ةعيرشلا

ةرقفلا هذه يف ةّملاسلا هيلع نينمؤملا ريمأ حّضو دقل يف ةعيرشلا يانبم يظفاحو نيدلا ءاملع فيلاكتا مهرّكذو ،علاطلااو ةفرعملا نم ةفلتخملا بارملا يه تلاو ،ةّيتايحلاو ةريطخلا مهتفيظو ىلإ مهّهنبنو

إرشاد المجتمع والأفراد وهدايتهم، وإحياء السنّة وإقامة العدل وإبطال الظلم والجور والأعمال القبيحة، ولفت النظر إلى توقّع الناس ومطالبتهم في مسألة بيان الحقّ ورفع الظلم عنهم.

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقبيح هو من فروع الدين ومن ضروريات المذهب، وبدون مراعاة هاتين المسألتين ستنحلّ عروة الشريعة والمدينة، وستتزلزل قوام المجتمع، وسيسلك المجتمع طريق الانحطاط والسقوط، وستعزّز الظالم في ظلمه وعدوانه، وستستمرّ المظلوم في حرمانه؛ وينتفي وصول الاستعدادات إلى الفعليّة في مجتمعٍ كهذا، وتُحرم النفوس الإنسانيّة من طيّ مراحل الترقّي، وستكون مرجعها ومآلها إلى البوار والهلكة.

يقول الله عزّ وجلّ في الآية الشريفة:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

بعض شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والبطبع لا بدّ من الالتفات إلى أنّ شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو المعرفة الكاملة والدقيقة بالمعروف والمنكر؛ وفي المرحلة التالية

---

1. ١٠٤ سورة آل عمران (٣): صدر الآية.

معرفة الشخص المخاطب والظروف المحاكمة عليه وعلى المجتمع حتّى يكون الأمر بالمعروف قد وقع في الوضاء والظرف المناسب. أو أنّ النهي عن المنكر لم يكن في أرضيّة ظروف بحيث يتحقّق منها خلاف الغرض.

ففي بعض الأوقات، تُؤدّي النصيحة بين مجموعةٍ من الناس إلى تعنّت المُخاطب، وفي النتيجة تكون ردّة فعله غير مناسبة؛ ولا بدّ من القيام بهذه المسألة في الخفاء.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«رُبَّ تَقريعٍ في المَلاءِ تَوبيخُه»[1]

يعني: «النصيحة للشخص بين جمعٍ من الناس، يُؤدّي إلى ضرب النفس وخدش الروح والنفسيّة».

وفي بعض الأحيان لن تكون النتيجة الإقدام على مثل هذه المسألة سوى الندم والتلف الإمكانات والنفوس؛ لأنّها لم تحصل في ظروف ملائمة.

---

[1]. غرر الحكم و دُرر الكلم، ص ٢٢٥.

ويُستفاد من الآية الشريفة أنَّه ينبغي لمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تتحقّق بواسطة مجموعةٍ خاصّةٍ تكون مطلعةً على المباني ومدركةً للظروف الحاكمة وخبيرةً في تشخيص المصالح والمفاسد في المجتمع؛ ولا يجد كلّ فردٍ في تمكّن أي فاعلٍ وسيلةٍ وتشخيصٍ أن يتدخّل في هذا الأمر.

ضرورة تأسيس مؤسّسة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولذلك يجب أن تُؤسّس في الحكومة الإسلامية مؤسّسةٌ بهذا الاسم تتكفّل بالتبليغ الإسلامي على أحسن وجهٍ؛ ويتمّ مساعدتها من قبل المجتهدين الجامعين للشرائط والشخصيّات المعروفة بالصلاح والتقوى والمطّلعين على ظروف المجتمع والزمان من أجل تحقيق هذا الهدف الراقي، من أجل تطبيق الشعارات والتبليغ على مستوى المجتمع بموازين الشرع وطبق مسار الأولياء الإلهيّين وأن يتجنّبوا الإفراط والغلوّ والتفريط. وأن لا تصنع الشعارات ـ لا قدّر الله ـ أو تُطرح وفق المصالح المبنيّة على الأفكار الدينيّة والآراء

الشخصيّة والأهواء النفسانيّة؛ ولا أنتحقن أذهان النّاس العوّام والمراهقين والشباب بالتعاليم الإلحاديّة العاطفيّة والتي لا أساس لها في الشريعة ولا في العقلانيّة، فيحرفونهم ويضلّونهم، ولا أن يجعلوهم في خدمة الجماعات والأفراد من الانتهازيّين وعبّاد الدنيا.

ومن هذا، فإنَّ مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقبيح هي إحدى المحاور الأساسيّة لتشكيل المجتمع على أساس التعاليم الوحيانيّة؛ ويجب على المتصدي لها أن يكون الأعلم والأفقه والأكثر بصيرةً والأشجع من سائر أفراد المجتمع، وينبغي أن يكون الأشخاص المتصدّون للتبليغ ولترويج الأوامر والنواهي بأمرٍ منه، أفرادًا خبراء وذوي بصيرة، كي يتشكّل قوام الملك والأمّة على ميزان الاعتدال والإتقان، وتقطع أيدي المتربّصين عن تخريب أذهان النّاس وتنفوسهم وحرفها.

وبناءً على هذا المبنى، يجب أن يكون الجهاد في سبيل الله مبنيًّا على أساس البصيرة؛ ويجب أن يمتلك الشخص المجاهد بصيرةً فيما يتعلّق بظروف الزمان والشواخص الأساسيّة لهذا التكليف الإلهي، وكذلك يجب أن يمتلك إطلاعاً كافياً وخبرةً وافيةً، فلا يقدم بأيّ وجهٍ من الوجوه على عملٍ وهو تحت تأثير الإحساسات والشائعات والخطابات غير الواقعيّة أو بناءً على استفزاز الخصم أو تشجيع من الأصدقاء عديمي البصيرة؛ ويرى نفسه مسؤولًا عن حفظ وحماية أرواح النّاس وأموالهم وأعراضهم، كي لا يستتبع ذلك ـ لا قدّر الله ـ نتائج غير قابلةٍ للتدارك، وتنتج مدمّرةً للمجتمع والنّاس بسبب الإقدام على عملٍ أخرق غير ناضجٍ.

لقد شجّع الإمام على عليه السّلام النّاس بعد قبوله بمسؤوليّة الحكومة وحثّهم على الجهاد ضدّ معاويّة وصدّ هجماته؛ وقد أمضى ثمانيّة عشر شهرًا في واقعة صفّين من أجل العمل على الحؤول دون انظام الكفر

ومحاربة شيطنة معاوية؛ ولكنّ الإمام المجتبى عليه السّلام في تلك الظروف الحساسة والخطيرة أخذ على عاتقه الصلح مع معاوية وحذّر النّاس من أيّ إجراء سريع ضدّ معاوية.

وفي فترة الخلافة المعنويّة وفترة إمامة سيّد كلا العالَمَين الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السّلام، لم يُقدم لمدّة عشر سنواتٍ على أيّ عملٍ ضدّ حكومة معاوية؛ ولكن بعد وصول يزيد إلى السلطة قام ضدّه وجهاد ضدّه ووقعت تلك الفاجعة التاريخيّة في صحراء كربلاء؛ وأمّا الإمام الباقر عليه السلام فقد حذّر من قيام زيد بن علي، وحذّره من اتّخاذ إجراءات ضدّ حكومة بني مروان الجائرة.

وهنا نصل إلى هذه النقطة، وهي أنّه يجب أن نتحقّق الجهاد في سبيل الله بواحدةٍ من هاتين الطريقتين:

الأولى: من خلال الاتّباع والانقياد والطاعة للإمام المعصوم الحيّ عليه السّلام.

الثانية: تحت نظر وإشراف النائب الخاصّ والمرتبط بالإمام الحيّ المعصوم كحضرة مسلمٍ بن عقيل عليه السلام.

وفي غير هذه الصورة، لن يكون الجهاد نصبةً شرعيّةً ولا حجّةً وسوف تتوجّه إلى الشخص عواقبُ لا تنفكّ عنه.

بالطبع، ما ذُكر يرتبط بالجهاد بمعنى الإجراء الهجومي، وأما فيما يتعلّق بالدفاع فلا يحتاج إلى إذنٍ.

ففي مدرسة الحقّ، يجب أن يكون القيام بأمرٍ من المعصوم عليه السلام، والقعود يجب أن يكون بأمرٍ منه، والأهواء والرغبات والأذواق الشخصيّة يجب أن لا تُبرّر وتُفسّر وتأوّل كلام الإمام المعصوم عليه السلام وأوامره.

التبصّر في الدين والبصيرة في مباني الوحي

يذكّر الإمام عليه السلام في تتمّة الموضوع بمسألة التبصّر في الدين والبصيرة في مباني الوحي ويأمر بأنّه يجب أنّ يكون المرء بصيرًا ومُطّلعًا على التعاليم الوحيانيّة، ورغم أنّ الإمام نبّه إلى هذه المسألة في جملةٍ وجيزةٍ وعبر عنها؛ إلّا أنّه من الإنصاف أن نقول: إنّ المفاتيح الرئيسي لجميع خزائن المعرفة وأسرار الشريعة ومباني الوحي يكمُن في هذه العبارة.

ويجب الاعتراف بهذه النقطة بصراحةٍ ووضوحٍ، وهي أنّه ما من مجال في أقصى وأطوائف

والاعتقادات من حائط الشريعة والوحي؛ إذ يُمكن لأيِّ شخصٍ ولأي فردٍ أن يُبدي وجوده ورأيه في هذا المجال، وأن يُبرز عقيدته ويظهر رأيه وفتواه بالأحكام الدينيّة بعباراتٍ من قبيل: «هذا ما أفهمه أنا»، و«ويُحتمل أن يكون هكذا...»، و«باعتقادي أنّه كذا...»، و«الدين للجميع وبإمكان كلّ إنسانٍ أن يُفسّره من عنده».

والحديث في هذا المجال طويلٌ، ويجب مطالعة توضيحه المفصل في كتاب **الفرق الوحي**[1] [=الفرق الوحي] بقلم الكاتب؛ ولكن سأعرض الأمر بشكلٍ مُجمل:

كما أن أصل الشريعة والمباني الدينيّة وجذورها ينابيع لا يُمكن أن تتأثر من عالم الوحي ومن بعض الغيب ولا تنزل المباني الشرعيّة والأحكام الإلهيين تدوين تتزيل المباني الشرعيّة والأحكام الدينيّة إلّا بالاتصال بذلك الفرق تلك الساحة، لا عبر دعك مطالعة الكتب وسماع الكلمات والعبارات، وكذلك

---

1. الفرق الوحي (فارسي)، الفصل الثالث، ص ٢٠٧ إلى ٢٨٤.

ن الأنبياء الإلهيين، فالأفراد الموحدون الذين يستطيعون
تبيين الأحكام وتفسير معاني الوحي الكلية هم الذين
اتصل قلبهم وسرّهم بعالم الملكوت وحظيرة الالوهت
ويُنزّلون الحقائق الوحيانيّة من ساحة القدس إلى ساحة
التنزّل والفعليّة؛ وهم عبارةٌ عن: الأولياء الإلهيّين
والعرفاء بالله وبأمر الله الجامعين لمقام الشهود وكشف
الباطن ونالوا مرتبة البصيرة والخبرة بكشف الظاهر
والاستنباط.

بالطبع تجدر الإشارة إلى أنّنا نعتبر مرتبة الأئمّة المعصومين عليهم السلام ما فوق منزلتهم وسعتهم الوجوديّة وفوق إشراق وإشراف هؤلاء الأفراد؛ ولذلك لم ندخلهم في هذا القسم.[1]

وعلى هذا الأساس فالتفقّه في الدين لا يحصل إلّا إذا وصل نفس الفرد إلى مرتبة الشهود أو إذا كان يتلقّى ويستقبل المسائل من فردٍ واصلٍ، وفي غير هاتين الصورتين، فإنّ كلًّا من المقلِّد والمقلِّد سيكونان غير مطلعين على مباني الشرع وموازينه.

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بالصبر والتحلّي في الأعمال

«وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى المَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الخُلُقُ التَّصَبُّرُ [في الحَقِّ]، وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلٰهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ[2]، ومانِعٍ عزيزٍ، وأخلِصْ في المسألةِ لِرَبّكَ، فإنَّ بيَدِهِ العَطاءَ والحرمانَ، وأكثِرِ الاستِخَارَةَ، وتَفَهَّمْ وصيّتي، ولَا تَذهَبَنَّ عَنها

---

[1] **الدرّ النضيد في الاجتهاد والتقليد**، كتاب في أصول الفقه وبحث مفصّل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، [ص ٣٤٥؛ و ص ٦٥ إلى ٧١].

[2] الحريز: الموضع الحصين.

صَفحًا، فإنَّ خيرَ القولِ ما نَفعَ، واعلَم أنَّهُ لا خَيرَ في عِلمٍ لا يَنفعُ، ولا يُنتفعُ بعِلمٍ لا يَحِقُّ تَعلُّمُهُ».

يعني: «وعوِّد نفسك على الصبر والتحمّل في المكاره، وكم هي جميلة خصلة الصبر والتحمّل في الأعمال التي تتطلّب الحقّ، إنّ الاستمرار وثبات الرأي والعزم في الحقّ بأيّ شكلٍ وفي أيّ مكانٍ ينبغي أن يكون دائمًا ومستمرًّا،

وعند التعامل مع المكاره لا يجب أن يُصاب عزم الإنسان واهتمامه بالضعف والفتور والكسل[1] والجأ إلى الله في جميع أمور الحياة والأحداث التي تواجهها،

---

[1] يقول الخواجة حافظ الشيرازي رحمة الله عليه:

تا شد مه قلقه به گوش در میخانه عشق ** هر دم آید غمی ازنو به مبارک بادم **

[يقول: إن ما أصبحت في حانة العشق، حتّى تجدّدت الأحزان كلّ لحظةٍ، فهنيئًا لي بذلك!!].

تصور أن لطف وعناية الله تكون مصحوبة دوماً بالصحّة والسعادة والرخاء والتوفيق؛ ولكن يجب الانتباه أنَّه كثيرًا ما تكون هذه الأمور سبب غفلة الإنسان عن مبدأ الكون ومولاها، غير مناسبة لأجل تلطيف وتجرد الروح والنفس. ولذلك، فإنَّ الله في بعض الأوقات؛ يبتلي الإنسان بابتلاءات من قبيل المرض وضيق العيش والمضايقات الاجتماعية والاضطرابات العائلية، كي ينبهه ويخرجه من غفلته ويذيقه عدم دوام وثبات التعلقات الدنيوية ويوجهه للتعلّق به؛ كما يقول:

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}.**

يعني: «نحن سنمتحنكم بالأمور المزعجة من قبيل: الخوف من الوقوع في الحوادث وبزوال الأموال وبضيق المعيشة وبنقصٍ في الأنفس والثمرات؛ وبشر يا رسولنا الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون».

ولذلك، كما ورد في الروايات، على الإنسان أن يعتبر هذه المصاعب والمشاكل بمثابة رسول الرحمة والمغفرة الإلهية، وأن يُوفّق بين نفسه وبين المشيئة والتقدير الإلهي، فلا يخشى مواجهة هذه الأمور ويستقبلها بصدرٍ رحبٍ.

يُقال: إنَّ بعض أهل المعنى ممّن قاموا في هذه الدنيا بحلّ المعضلات ورفع الحوائج لأنفسهم ولأقاربهم من خلال الوسائل، أبدوا الندم بعد الانتقال من هذه الدنيا.

** ديوان حافظ، طبع پژمان، الغزل ٣٦٢.

** سورة البقرة (٢)، ذيل الآية ٢٢٢.

يلوكن في مضيرك أنّه هو الوحيد المؤثّر وفقط في تيسير الأمور وأنّه المُسبّب الأصلي في رفع الحواجز، وفي هذه الحالة تكون نفس الإنسان قد لجأت إلى مجلس وكهف حريزٍ ومُحكمٍ وقويٍّ وإلى مأوى يُمكن الاعتماد عليه، ويكون قد وضع نفسه في موضعٍ يمنع اختلاس الشياطين ومصدات المفسدين، ولن يقبل مع العزّة والرفعة أيّ وجودٍ في مقابل نفسه ولن يفسح له المجال إليها، ينبغي أن تكون نيّتك على الدوام عند الطلب من الوحيد فقط الذي هو لأنّه خيرٌ من الأغيار؛ خالصةً من الله تلتمس العطاء والحرمان، واطلب الخير والصلاح من مستمرار، وسلّم أمورك في كلّ عملٍ تعمله إلى الله تستشير الله وارضاه، ولا تضع نفسك أمام اختيار الله وإيّاك أن تُبدّي! هذه الوصيّة جيّدة، وانتبه لهذا الفصل واستذكره،

فإنّ أفضل الكلام هو الكلام النافع، واعلم أنّه لا يوجد أيّ خيرٍ ولا بركةٍ ولا نفعٍ في العلم غير النافع، ولن يستفيد الإنسان من العلم الذي لا صلاح في تعلّمه».

نواجه في هذا القسم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعض النقاط التي يجب التعرّض لها:

الصبر على المصاعب وكيفيّة تأثيرها على السير والسلوك المعنوي والروحي

النقطة الأولى: الصبر على المصاعب واستقبالها بعناوينها أصلاً وقسماً مهم من الوقائع والأحداث المستمرّة طوال الحياة، وكيفيّة تأثيرها في السير المعنوي والسلوك الروحاني.

لا شكّ أنَّ القضاء والقدر الإلهي يحكيان عن وحدةٍ مئسجمةٍ بين جميع الحوادث ـ سواءً في أصل وجود الأحداث أم في عوارضها ـ بحيث لا يمكن تقييم أيّ حادثة بصورةٍ منفردةٍ، وجميع حوادث هذا العالم كحلقات السلسلة متصلةٌ ومُرتبطةٌ بعضها البعض؛ ومن ناحيةٍ أخرى كلّ واحدةٍ من هذه الحوادث مجعولةٌ على أساس الحكمة البالغة للحقّ عزّ وجلّ، وهي من أجل هدفٍ ومقصدٍ مُعيّن في السير والحركة، والتخلّف في أيّ نقطةٍ من هذه الدائرة سيُؤدّي إلى الخلل والنقص في باقي النقاط والمواضع.

جهان چون چشم و خط و خال و ابروست ** که

هر چیزی به جای خویش نیکو است[1]

[يقول: إنّ العالم مثل العين والخطّ والخال والحاجب، وكلّ واحدٍ منها جميلٌ في مكانه].

***

پیر ما گفت خطا بر قلم صنع نرفت ** آفرین بر نظر پاک خطا پوش باد[2]

[يقول: لقد قال شيخنا (العارف) (لِمَن اعتقد أنّ هناك أخطاء كثيرة موجودة في خِلقة العالَم) لَم يصدر هناك أيّ خطأ في عالَم الخَلق؛ فبورِكَ مِن نظرٍ نزيهٍ ساترٍ للعيوب].

---

1. **نزار شلگ**، القسم ٥٠.

2. **ديوان حافظ**، طبع پژمان، الغزل ١٤٧.

فومن ناحيةٍ أخرى، إنَّ مجموعة هذه الأحداث سو
تكون مقرونةً بالعسر واليسر، وبالصعود والهبوط،
وبالكمال والنقص، وبالصحة والمرض، و...، ومن
الصعب قبول الأمور غير المنسجمة مع النفس، لذلك
يتطلّب من الإنسان تحمّلًا وسعة صدرٍ زائدة في قبال
الصعوبات، وجميع هذه الأمور ضروريّةٌ من أجل تبدّل
هذه الاستعدادات إلى الفعليّة الإنسانيّة، وبدونها لن
يحصل الهدف والمقصود؛ لذلك يجب على السالك في
سبيل الله أن لا يخشى من مواجهة الصعوبات، وأن يرى
أنّ قدرة الله التي لا تزول، فوق هذه الظواهر وفوق
تقلّبات الحياة البشريّة، وعليه أن يُعيد الأمور إلى الله
تعالى، كي يقلّ ما يتحمّله من ألمٍ وأذيّة خلال عبوره
تلك المشاكل والصعاب، وكي يصل كذلك إلى الرشد
والفعليّة المطلوبين بواسطة هذا السير.

الإخلاص في النيّة والالتفات التامّ إلى الله عزّ وجلّ

النقطة الثانية: إخلاص النيّة في السؤال والطلب
من الله تعالى.

وبعد اتضاح هذه المسألة، وهي أنّ كافّة هذه الحوادث والمسائل مقدّرةٌ من ناحية الله، وأنّ بيده انتظام كافّة المخلوقات، قال عزّ وجلّ:

﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1]

يعني: «زمام حياة كلّ موجودٍ بيد قدرته القاهرة» وعلى الإنسان يتوجّه في جميع الأمور إليه فقط، وأن لا يُفسح المجال لغيرٍ في هذا التوجّه.

وهذه المسألة تنال أهميّةً بالغةً، وهي أنّه كيف للإنسان مع وجود العلّم والاطّلاع على هذه المسألة في حوادث الدنيا ـ ولكن بما أنّها لم ترسخ بعدُ في جميع زوايا قلبه وضميره، ولم تُصبح بصورةٍ ملَكةٍ، ولم تستقرّ بعد ـ تجده يتطلّع إلى المظاهر الخادعة في التأثير والتسبيب أيضاً ويُنجر قلبه نحيتها؛ وهذه المسألة موجودةٌ لدى أغلب الأفراد حتّى لدى ذوي المراتب المختلفة من المعرفة ومدارج الكمال أيضاً.

---

[1]. ٨٣. سورة يس (٣٦): مقطعٌ من الآية

قال النبي يوسف عليه السلام في السجن لأحد الشخصين، والذي بشّره بالنجاة: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[1]؛ يعني: «عندما تكون في خدمة الملك فاذكرني هناك» وقد جعل الشيطان هذا الشخص ينسى ذكر يوسف عند عزيز مصر، فبقي يوسف بسبع سنوات في السجن، وفي هذه المدّة شمل التوفيق الإلهي روحه، واستطاع أن يصل إلى مرتبة المعرفة وتجرّد النفس والاتّصال التامّ بالمبدأ الحيّ القيّوم، وحاز على مقام تربية النفوس وتزكيتها؛ وفي هذه المرحلة أخرجه الله من السجن وعيّنه من أجل إرشاد المجتمع وهدايته.

منزلة الاستخارة ضمن عقائد الشيعة وثقافتهم

النقطة الثالثة في هذا الكلام: مسألة الاستخارة التي يبدو أنّها فقدت منزلتها من ضمن عقائد الشيعة وثقافتهم وباتت تُستخدم في غير الموطن والموقف المناسبة.

معنى الاستخارة: طلب الخير والصلاح والعافية؛ وكما يتّضح من معنى الخير والصلاح والعافية فإنّ هذه

---

[1]. سورة يوسف (١٢)، ذيل الآية ٤٢.

الألفاظ يُمكن أن تكتسب مكانها ومفهومها في الشرد والتقرّي والقرب وتجرّد نفس الإنسان. ومن الممكن في الكثير من الأوقات أن تكون الفوائد الدينيّة (من أرباح المكاسب والمعاملات والتنعم بالرفاهيّة والراحة والصحّة والسلامة البدنيّة وازدياد الأموال والثروة) مضرّةً بتجرّد النفس ورفع الحجُب ورفع التعلّقات بما سوى الله، وفي النتيجة قد تُؤدّي إلى عدم تبدّل الاستعدادات إلى فعليّاتٍ وإلى عبوديّةٍ محضةٍ وبالعكس، قد يصبّ حلول بعض المتاعب والشدائد في مصلحة الإنسان؛ كما ورد في القرآن الكريم:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[1]

يعني: «سوف نضعكم باستمرارٍ في اختبارٍ وامتحانٍ من خلال بعض المخاوف والصعوبات والنقص في الأموال وفقدان الأحبّة والأعزّة والجفاف (لنعلم مقدار صلابتكم وتحمّلكم وصبركم ونجعل ذلك

---

1. سورة البقرة (٢) الآية ١٥٥.

موجبًا لتزكيتكم وتربيتكم وترقّيكم) لذلك، يا رسولنا! بشّر الصابرين والمتحمّلين بالرحمة وبقربنا».

وكما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

إنّ الله يرحم عبده يتلطّف به من خلال المرض والمشقّة.[1]

وكما يقول الخواجة حافظ الشيرازي:

**تا شدم حلقه به گوش در میخانه عشق ** هر دم آید غمی از نو به مبارکبادم[2]

[يقول: ما إن أصبحت غلاماً في حانة العشق، حتّى صارت الأحزان تتجدّد عليّ في كل لحظة، فهنيئاً لي بذلك!!].

لذلك، غالباً ما لا تكون الصحّة والرغد العيش في صالح الإنسان ومنفعته، فإذاً إن ما يوجب الخير والسعادة في الدارين، هو العافية؛ كما نقرأ في الدعاء:

---

[1] لقد وردت العديد من الروايات في هذا المضمون في كتاب **بحار الأنوار**، ج ٧٩، ص ٢٥، باب ١٨، فضل التعزّي والصبر عند المصائب والمكاره.

[2] **ديوان حافظ**، طبع پژمان، الغزل ٣٦٢.

«اللّهُمَّ ارزقني العافية إلى منتهى أجلي»[1]

ويتوجّب على العبد أن يطلب الخير والعافية، لا أن يطلب المنفعة والصحّة والرفاهية والسعادة؛ وهذا معنى الاستخارة وطلب الخير من الله تعالى.

ولذلك، فإنّ ما وصلنا من أولياء الدين عليهم السلام، ومن توصيات الأولياء الإلهيّين كذلك، هو ما يلي:

إذا كان الشخص يشكّ في مسألةٍ، فعليه في المرحلة الأولى أن يطلب المساعدة والعون في حلّ المشكلة من أهل التجربة وأصحاب البصيرة، كما قالوا:

«ما خابَ مَن استَشارَ»[2]

أي: إنّ الشخص الذي يستشير الآخرين في أموره، لا يتضرّر أبدًا.

وإذا لم يزل شكّه من خلال المشورة، فمستحبّ أن يغتسل الاستخارة ثمّ يصلي ركعتين وبعد الصلاة

---

[1] تهذيب، ج ٥، ص ٢٧٦

[2] مع اختلافٍ يسيرٍ، معرفة الأئمّة، ج ١، ص ٥٥٨، الفصول المهمّة في

«رِهتمحرَبِ َالله رُيختسأ» :ةرم ةئام لوقيو دجسي يعني: «أطلب من الله الخير والرحمة، وليكن لديك أملٌ بالوصول إلى الخير من خلال رحمته»، وعندها يؤدي ما يُلقى في قلبه؛ وبهذه الطريقة يسلب عن نفسه إرادة القيام بالفعل، ويوكّل إرادة إلى الله؛ وأمّا هذه الاستخارة المتداولة بين النّاس ـ سواءً التي بالقرآن أم بالمسبحة ـ فهي ترتبط بالحالات التي يبقى الشكّ والإبهام فيها قائمًا حتّى بعد أداء عمل الاستخارة [المذكور في الأعلى].[1]

ةّيفاقثلا روملأا يف عمتجملاو درفلا ةدئاف

تارقفلا هذه يف ةدوجوملا **ىرخلأا ةلأسملا** أمأ و نسحلا لوقلا ىلع هيبنتهعيلا مالسلا مهيلع ملإلا ريكذتيهف عفانلا ملعلا.

لضفأ نّأ تارقفلا هذه يف مالسلا مهيلع ملإلا فاكلا هو يذلا ملعلا يذلا سيتسبتنعُ مهعفنةً للخاطب أمأ ملعلا يذلا سيتسيق لا يذلا ملعلا نّإ :لاقو ،دودحم هوهف هنم ةدئاف لا عفنةٍ أيّ ةدئاف هيلع بترتي نأ لمّعتلا

---

[1] ي**فاكلا**، ج ٣، ص ٤٧٢.

والمحور الأساسي والمسألة الجديرة بالاهتمام في هذه الجمل، هو انتفاع الفرد والمجتمع من المسائل الثقافيّة، وكون الشرط الأساسي للقبول بها أو عدم القبول بها هو منفعةُ البشر من الإنجازات العلميّة والأخلاقيّة وفوائدها وأضرارها.

حيث تستتبّ تقييم النفع والضرر من وجهة نظر العقل والفطرة الآدميّة من منطلق رقيّ الحياة البشريّة والسعادة الأبديّة وتعاليمها؛ ومن الطبيعي أن تكون المصالح المادية والدنيوية مفيدةً وقيّمةً طالما أنّها تُساعد الإنسان في تحصيل السعادة البشريّة وإحياء دار الآخرة والتعالي نحو مراتب العلميّة والتجرّد، وطالما تُساعد الإنسان، أو على الأقل طالما لا تشكّل مانعاً في طريقه.

ولذلك يجب على الإنسان أن يكون حساساً وقلقاً جداً تجاه مُدخلاته الذهنيّة، فلا تفتح عينه وأذنه وقلبه لأيّ كلامٍ وحادثةٍ وصوتٍ، وكذلك عليه المراقبة والانتباه فيما يتعلّق بالأطعمة والأشربة من جهة جلبها للمنفعة والضرر للبدن، وأن يُبدي الحساسيّة اللازمة

فيما يتعلّق بالعلوم المنتجات البشريّة وعلوم العصر المتنوّعة؛ وأن يعلم أنَّ هذا الإنسان نفسه مستمتلك دوماً الاستعداد من جهة التغيّر والتبدّل والتحوّل إمّا إلى الترقّي أو إلى الانحطاط، وتنال العلوم التي ليس فقط لن تجلب له النفع من ناحية الارتقاء الروحي، بل كثيرًا ما تتسبّب في انحطاطه ووقوعه في المشاكل، وتمنعه من الوصول إلى غاية الإنسان ومقصده.

وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«تعلّموا من النحلة كيفيّة اكتساب العلوم؛ لأنّها تبحث بين جميع هذه الزهور والأعشاب على اختلافها وتنوّعها عن أفضلها وأنفعها، فتختارها لإعداد شرابها الحلو والمصفّى، وأنتم كذلك ابحثوا وانظروا من بين جميع هذه العلوم والفنون المتنوّعة، أيّها أنفع لسعادتكم وفلاحكم في المستقبل»[1].

يقول الشيخ البهائي رحمة الله عليه:

علمی بطلب که تو را فانی ** سازد ز علایق جسمانی[2]

[يقول: اطلب علماً يحرّرك من العلائق الجسمانيّة]

وكما يقول جناب السنائي:

---

[1] ملاحظة: هذه الرواية مرويّة بالمعنى، ولم نجد مصدرها، نعم هناك بعض الروايات التي تُقارب معناها في المعنى، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كُنْ عَالِماً إِنْ أَكَلْتَ طَيِّباً، وَإِنْ وَضَعْتَ، وَضَعْتَ طَيِّباً، وَإِنْ وَقَعْتَ عَلَى عُودٍ لَمْ تَكْسِرْه». (غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٥٣٢). (م)

[2] القسم ٥. مثنوی شیر شکر [مثنوي الحليب والسكّر]:

دوُبه بوُه ** جهل ا زآن علم بهبوُدوتدوتوتار نبستانا دعلم كزتدوتدوتار نبستانا دعلم كزتدوتدوتار نبستانا دعلم كزتدوتد

وفي هذه المرحلة، وعلى الخصوص على طلابي العلوم الإسلامية وأتباع تعاليم الشريعة منه سبحانه، واجب ضروري أن يظهروا أقصى درجات المراقبة في الإخلاص باللية وصفاء الباطن؛ فلا يخسروا في وسط الطريق أو آخره خلوص اللية التي كانوا يتصفون بها في بداية السير والمسير، فلا تبعدهم زخارف الحياة ومظاهر الدنيا الدنية ووسوسة الشياطين وفتنة الخناسين عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فلا تبهت الصبغة الإلهية في وجودهم.

ونستنتج من أوامر الإمام عليه السلام المسألة التالية: كلّ كلامٍ - رغم أنَّه قد يكون مفيداً في بعض المواطن - إلّا أنَّه لا ينبغي بيانه في كلّ مكانٍ وأمام كلّ شخصٍ، ولا بدّ من مُراعاة درجة المخاطبين وترتبهم عند بيان المسائل؛ فكما أنّ الالتصاق إلى أيّ كلامٍ قد يُؤدّي بالإنسان إلى الخسارة، فكذلك لا بدّ من ملاحظة الوقت والظروف عند إلقاء أي فكرة، حتّى لا تُؤدّي إلى نتائج سلبية لدى المخاطب.

أهداف أمير المؤمنين عليه السلام من بيان هذه الوصيّة

«أَيْ بُنَيَّ! إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً[1] بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ[2] إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، وَ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى، وَ فَتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ

---

[1] الوهن: الضعف.

[2] أفضى فلانٌ إلى فلانٍ، أي: وصل إليه.

كَالأرضِ الخاليَةِ[3] لِتَقبَلَ البِذارَ[2] وتُنبِتَ الزَّرعَ[1]:

ما أُلقِيَ فيها مِن شَيءٍ قَبِلَتهُ، فَبادَرتُكَ بِالأدَبِ قَبلَ أن يَقسُوَ قَلبُكَ، ويَشتَغِلَ لُبُّكَ، لِتَستَقبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأمرِ ما قَد كَفاكَ أهلُ التَّجارِبِ بُغيَتَهُ وتَجرِبَتَهُ، فَتَكونَ قد كُفيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ، وعوفيتَ مِن عِلاجِ التَّجرِبَةِ، فَأتاكَ مِن ذَلِكَ ما قَد كُنّا نَأْتيهِ، واستَبانَ لَكَ ما رُبَّما أَظلَمَ عَلَينا مِنهُ».

يعني: «يا بُنَيَّ! إنّي بعد أن رأيتُ أنّ عمري قد وصل إلى نهايته، ورأيتُ أنّ الضعف والوهن بدأ يغلب على بدني، قرّرتُ أن أوصيك بوصيّتي، وقد أوردتُ فيها بعضاً من الخصال والتعاليم الأخلاقيّة والاجتماعيّة وذلك قبل أن يعجل بي أجلي من دون أن أوفّق بإبلاغك ما في نفسي، وكذلك قبل أن يحلّ الضعف والفتور في بدني، وكما حلّ اهتمامي وعزمي على إبلاغك هذه الأمور كما

---

[1] الصعب: نقيض الذلول من الدواب.

[2] النفور: ضدّ الأنس.

[3] الحدث: الشابّ، والذي في مقتبل العمر.

النقص والضعف في جسمي، أو أن يغلب هوى النفس على قلبك وضميرك بسبب مرور الزمان والاهتمام بالدنيا، فلا تقبل منّي نصيحتي هذه، أو يسبقني إليك فتن الدنيا ومصاعبها فتصبح مثل الحصان الصعب النفور فيمنعكم ذلك من الأنس والألفة لإدراك الحقائق والشعور بالواقعيّات،

فضاءٍ وفي آخر وجهٍ لحالٍ في الآن أنّك حين في
فإنّ القلب وضمير الشاب الحديث السنّ؛ مختلفٍ
أحد، تقبل كلّ شيءٍ لم يمسسها التي البكر الأرض كـ
فيها كلّ ما يبذرونه فيها، ولذا فيها وينمو فيها يزرعونه
الصالح بالأدب وبالتأديب الوصيّة هذه بكتابة تُبادر
أن قبل وقلبك عقلك بالأمور تفكر أن قبل وسقيه
الفارغة من المعنى، لكي والمشاغل الفيخة الوهيّة
بما جرّبه أهل التجارب، عليةٍ مهمّةٍ خارسٍ بزعمٍ تهتمّ
إذ من ؛ أحدّثه واقتراحاته تجربته إلى بحاجةٍ تدعو لا
المجرّب، الأمر تجربة الخطأ

فتكون قد حصلت على ما سعينا خلفه وحصّلنا
عليه من الكثير الكشف وانكشف لك التي كانت خافيةً
إلى مضافًا الآخرين التجارب من استفدت قد تكون كي)
تجاربك الشخصيّة)».

هذه في الإسلام عليه المؤمنين أمير أشار وقد
الثلاثة الأطوار إلى تستطرد حتى المتأمّل.

النقطة الأولى أنّه قال: ينبغي معالجة الواقعة قبل وقوعها، والوقاية مقدّمة على العلاج دائماً.

إنّ النفس والروح مكوّنةٌ على أساس الفطرة وبناءً التوحيد وهي مستعدّةٌ للفعلية والكمال؛ وإذا ما تمّت تربية الآدميّ وتأديبه في بداية الأمر بيد فردٍ صالحٍ تقيٍّ طريق حكيمٍ بصيرٍ ومُطّلعٍ خبيرٍ، والتزم بإطاعة أوامره والانقياد لها مع حركةٍ سريعةٍ ونشاطٍ بليغ، فإنّه سيُخرج مراحل التجرّد والفعلية الواحدة تلو الأخرى إلى منصّة الظهور؛ وإذا فوّت على نفسه هذه الفرصة، فإنّه لن يحوز على ذلك الاستعداد والنشاط حتّى لو كان لديه في مسير الكمال اهتمامٌ بالوصول إلى المقصد.

أفضل زمانٍ لتلقّي المسائل الأخلاقيّة هو فترة عنفوان الشباب

أمّا **النقطة الثانية** فيُمكن أن تكون مترتّبةً على هذه المسألة:

يعتبر الإمام عليه السلام في هذه الفقرات أنّ أفضل فترةٍ لتلقّي المسائل الأخلاقيّة وبناء السير والسلوك إلى الله هي فترة عنفوان الشباب؛ لأنّ قلب الشاب وذهنه

على أساس الحقائق الفطرية والتعاليم التكوينية المتوارثة

بعد باللشهوات والنفسانيّات والأهواء المرضية؛ ولن

يُعارض أو يقاوم تقبّل الحقّ، وسيقبل به بسرعةٍ؛ وكما

قال الإمام عليه السلام:

عَلَيْكُمْ بِالأَحْدَاثِ.[1] يعني: «عليكم بالشباب وحديثي السنّ، فلا ينبغي أن تخسروا فرصة تقبّلهم من خلال تأخير الوقت والتسامح والتأجيل! حتّى لا يحرفهم المحيط أو الأصدقاء أو المجتمع عن مسير الحقّ، وحتّى لا يشغلهم شوقهم وذوقهم وفكرهم بالشهوات والأهواء النفسانيّة وبالابتعاد عن تعاليم الوحي وبناي الشرع بحيث يصبح إعادة الماياه إلى مجراها أمرًا مشكلًا جدًا، وقد يُصبح غير ممكنًا في كثيرٍ من الأحايان؛ ولذلك قال الأعاظم من أهل المعرفة ومُربّي النفوس:

لا بدّ أن يبدأ الإنسان منذ سنّ الشباب للوصول إلى مراتب الكمال والسير في عوالم المعرفة؛ وسيكون عبور النفس عن عقبات عالم الكثرة أمرًا أصعب في سنٍّ أكبر.

الاستفادة من تجربة الآخرين في تصحيح المسار واعتدال الطريق

النقطة الثالثة في هذه البيانات: الاستفادة من تجربة الآخرين في تصحيح المسار واعتدال الطريق. ومن

---

[1]. الكافي، ج ٨، ص ٩٣.

الضروري العمل بهذه النقطة مع الاهتمام الكامل والكافي؛ لأنَّ حياة الإنسان والحياة الدنيويّة تقتضي مع كافّة تقلّباتها والاختلاف في الأساليب والشخصيّات وحدوث الأحداث المشكوكبها والمتشابهة، تقتضي أن يُواجه هذه الأحداث بقدرةٍ وقوّةٍ أعلى من شعوره ومدركاته ومعرفته، وأن يستخدم أدواتٍ ومُعدّاتٍ ذات كفاءةٍ أعلى وأقوى؛ لأنَّ الإنسان إذا أراد أن يصل إلى صحّة ذلك الحدث وسقمه من خلال تجربته الخاصّة، فقد يُفوّت الفرصة ويحيق به الخسران والبوار والندامة، أو يقع في عمق تلك الحادثة فيصبح طريق التراجع مسدوداً عليه. وهنا يجب يُعطي تجربة الآخرين حقّها وأن يُقارنها بسائر المجريات والأحداث والأمور التي لها دورٌ رئيسي في تلك الحادثة، وأن يعين تكليفه ويعبّد طريقه.

«أيْ بُنَيَّ! إنّي - وإن لَم أكُنْ عُمِّرتُ عُمُرَ مَن كانَ قَبلي

- فَقَد نَظَرتُ في أعمالِهِم، وفَكَّرتُ في أخبارِهِم، وسِرتُ

في آثارِهِم، حَتّى عُدتُ كأحَدِهِم، بَل كأنّي بِما انتَهَى إلَيَّ

مِن أُمورِهِم قَد عُمِّرتُ مَعَ أوَّلِهِم إلى آخِرِهِم، فَعَرَفتُ

صَفْوَ ذلِكَ مِن كَدَرِهِ، ونَفعَهُ مِن ضَرَرِهِ، فَاستَخلَصتُ لَكَ

مِن كُلِّ أمرٍ نَخيلَهُ[1] وتَوَخَّيتُ لَكَ جَميلَهُ، وصَرَفتُ عَنكَ

مَجهولَهُ، ورَأيتُ - حَيثُ عَنانِي مِن أمرِكَ ما يَعنِي الوالِدَ

الشَّفيقَ، وأجمَعتُ عَلَيهِ مِن أدَبِكَ - أن يَكونَ ذلِكَ وأنتَ

مُقبِلُ العُمُرِ، مُقتَبَلُ الدَّهرِ، ذو نِيَّةٍ سَليمَةٍ ونَفسٍ صافِيَةٍ،

وأن تَبتَدِئَكَ بِتَعليمِ كِتابِ اللهِ وتَأويلِهِ، وشَرائِعِ الإسلامِ

[و] وأحكامِهِ، وحَلالِهِ وحَرامِهِ، **لا أُجاوِزُ لَكَ إلَى غَيرِهِ،**

ثُمَّ أشفَقتُ أن يَلتَبِسَ عَلَيكَ ما اختَلَفَ النّاسُ فيهِ مِن

أهْوائِهِم وآرائِهِم مِثلَ الَّذي التَبَسَ عَلَيهِم، فَكانَ إحكامُ

ذلِكَ عَلَى ما كَرِهتُ مِن تَنبيهِكَ لَهُ أحَبَّ إلَيَّ مِن إسلامِكَ

إلَى أمرٍ لا آمَنُ عَلَيكَ بِهِ الهَلَكَةَ، ورَجَوتُ أن يُوَفِّقَكَ اللهُ

---

1. المُصَفّى: المُختار: النَخيل.

فيهِ لِرُشدِك، وأن يَهدِيَكَ لِقَصدِكَ، فَعَهِدتُ إلَيكَ وصيَّتي هَذِه».

يعني: «يا بُنيّ! رغم أنّي لم استطع أن أدرك حياة الناس من قبلي بسبب محدوديّة عمري، إلّا أنّني تأمّلتُ جيّدًا في أفعالهم وتصرّفاتهم، وفكّرتُ في أخبارهم، وسرتُ في آثارهم إلى درجة أنّك تظنّني كنتُ معهم على الدوام فصرتُ أعتبر واحدًا منهم، وأصبحتُ لي معيّةٌ وملازمةٌ معهم، وبسبب اطّلاعي وإشرافي على جميع أفعالهم وتصرّفاتهم فكأنّني عشتُ من أوّل خلق البشر إلى آخر، وحددتُ من تصرّفاتهم التصرّفات الحسنة، وعرفتُ المفيد والمضرّ منها للإنسان،

فاستخلصتُ لك من كلّ أسلوبٍ ومنهجٍ رأيتهُ أحسنه وزالله، واخترتُ لك أجمله، واجتنبتُ طرح الموطن المشكوكة والمشتبهة، ورأيتُ - مثل أبٍ مشفقٍ وقلقٍ على مستقبل ابنه وصلاحه من المصاعب والمشاكل التي يُمكن أن تواجه ابنه في المستقبل فتوقعه في التعب والضغط والتشويش، ولديه عزمٌ وإرادةٌ راسخةٌ على

تربيته وتأديبه، وأريدُ أن يكون أنجز هذه الغاية هو
الأمر المهمّ وأنت في عنفوان الشباب وقبل المعرر،
وحينما يكون زمانك في أفضل ظروف الحياة حيث
تكون ذا نيّةٍ سليمة وخالصة ونفسٍ صافية.

وقد بدأتُ معك بتعليمك كتاب الله، ولم أقصّر في تعليمك تأويل الآيات وشرحها وبسطها، وعرّفتك بالعقائد والمباني والأصول لشريعة الإسلام وأحكامه، وفصّلتُ لك الحلال والحرام، ولم أتجاوز في ذلك كلّ الكتاب الإلهي ومباني الشرع ولم أرسلك إلى المدارس والنِحل المختلفة، ثمّ خفتُ عليك أن تلتبس عليك الأمور وأن تُبتلى بنفس توهّمات وانحرافات باقي الناس وبأهوائهم النفسيّة (وأن تُبتلى بالمهالك التي ابتلي فيها عوام الناس من خلال اتّباعهم السلائق النفسانيّة والأسلوب البعيد عن المنطق العقلاني)؛ ولذا رجّحتُ أن أُحذّرك من خلال التنبيه والتأديب ـ رغم أنّي أكره ذلك ـ من الخطر الذي يتهدّدك بسبب الغرق في المهالك، وأن أريك طريق السداد والرُشد، راجيًا أن يُوفّقك الله تعالى للرشد والصلاح وأن يهديك إلى مقصدك ومآلك، ولهذا السبب كتبتُ لك هذه الوصيّة».

«واعلَمْ ـ يا بُنَيَّ! ـ أنَّ أحَبَّ ما أنتَ آخِذٌ بِهِ إلَيَّ مِن وَصِيَّتي، تَقوَى اللهِ والِاقتِصارُ عَلى ما فَرَضَهُ اللهُ عَلَيكَ، والأخذُ بِما مَضَى عَلَيهِ الأوَّلونَ مِن آبائِكَ، والصّالِحونَ مِن أهلِ بَيتِكَ؛ فَإنَّهُم لَم يَدَعوا أن نَظَروا لِأنفُسِهِم كَما أنتَ ناظِرٌ، وفَكَّروا كَما أنتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُم آخِرُ ذلِكَ إلَى الأخذِ بِما عَرَفوا، والإمساكِ عَمّا لَم يُكَلَّفوا، فَإن أبَتْ نَفسُكَ أن تَقبَلَ ذلِكَ دونَ أن تَعلَمَ كَما عَلِموا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذلِكَ بِتَفَهُّمٍ وتَعَلُّمٍ، لا بِتَوَرُّطِ[1] الشُّبُهاتِ وعُدُوِّ الخُصوماتِ.

وابدَأْ قَبلَ نَظَرِكَ في ذلِكَ بِالِاستِعانَةِ بِإلهِكَ، والرَّغبَةِ إلَيهِ في تَوفيقِكَ، وتَركِ كُلِّ شائِبَةٍ أوْلَجَتكَ[2] في شُبهَةٍ، أوْ أسلَمَتكَ إلَى ضَلالَةٍ؛ فَإذا أيقَنتَ أنَ قَد صَفا قَلبُكَ فَخَشَعَ، وتَمَّ رَأيُكَ فَاجتَمَعَ، وكانَ هَمُّكَ في ذلِكَ هَمّاً واحِداً؛ فَانظُرْ فيما فَسَّرتُ لَكَ، وإن أنتَ لَم تَجتَمِعْ لَكَ ما تُحِبُّ مِن نَفسِكَ، وفَراغِ نَظَرِكَ وفِكرِكَ؛ فَاعلَمْ أنَّكَ إنَّما

---

1. الورطة: هي الأمر المشكل الذي يصعب التخلّص منه.

2. أولجتك: أدخلتك.

تَخبِطُ الأعشواءَ[1]، وتتورَّطُ الظلماءَ، ويَسطو بالبريءِ السيفُ، ويَسلُكُ بالناسِ الطريقَ المُخيفَ، والإمساكُ عن ذلكَ أمثَلُ»

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بتقوى الله

يعني: «اعلم يا بُنيَّ! إنّ أحبّ أمرٍ في هذه الوصيّة أحبّكَ أن تعملَ به، هو تقوى الله ومراعاة رضاه في كلّ حالٍ، فاثبت واستمرّ على ما أوجبه الله عليك وفرضه ولا تتجاوزه، وقُم بما قام به من مضى من آبائك الصالحين الأطهار من أهل بيتك وامضِ على تلك السيرة والمنهج وتمسّك بها؛ لأنّهم كانوا يلاحظون مصالحهم على الدوام كما أنّك تلاحظ ذلك أيضاً، وكانوا يؤدّون أعمالهم بعد التفكير والتدبير كما أنّك تُفكّر وتتدبّر، وقد أوصلتهم هذه المسألة إلى أن يعملوا بكلّ ما هو يقين ومعرفة، وأن لا يعتنوا بما لم يكتب عليهم التكليف بالعمل به،

فإذا حصل في نفسك شكٌّ وترددٌ بالنسبة إلى عمل الماضين، ولم تصل إلى نفس اليقين والمعرفة التي

---

[1] الأعشواء: الضعيفة البصر، أي تخبط خبط الناقة العشواء.

وصلوا إليها، فعليك أن تنهض وتبحث عن مضالّتك وتطلب معرفة الواقع والوصول إلى حاقّ المسائل عن فهمٍ ودرايةٍ (لا تعبر عن القضايا والشبهات بسرعة، ولا تعتبرها بسيطة وتافهة)؛ وإيّاك أن تتورّط في الشبهات بدون علم وبصيرة، أو يخدع عقلك وفهمك بالظواهر والملاحظات المذهلة، فتنجذب إلى الأمور الجذّابة التي تخدع العوام من الناس!

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بالاستعانة بالله وطلب المدد منه

وعليكم قبل أيّ شيء وقبل أن تُقدم على أيّ أمرٍ أن تستعين بالله وأن تطلب منه المدد، وتتوجّه إليه بطلب التوفيق برغبةٍ وشوقٍ تامٍّ، وابتعد عن كلّ أمرٍ يُحيّر فكرك ويجعلك مُتردّداً وفي النتيجة يُوقعك في الشبهة والاشتباه، أو يُسلّمك إلى يد الضلالة والضياع؛ فإذا وجدتَ في نفسك صفاء القلب والخشوع أمام الحقّ، وأنّ عقلك ودرايتك راسخين ثابتين على اتّباع الحقّ، ورأيت أنّ همّك وغمّك ـ في قبال العمل بالحقّ ورضا الربّ وصلاح الدنيا والآخرة ـ همّاً واحداً وعزماً

رّسفأ فـوسـاميفةّقدبلّمأتو اَدّيجرظنا كلذ دنع ،اًخسار
.هحّضوأو كلـ

وإذا لم تتيقّن بصلاحك وسعادتك عند مواجهتك للأحداث والقضايا، ولم تستطع أن تميّز سبيل الصواب من الباطل بنحوٍ واضحٍ، وإذا عجز فكرك ورأيك عن تشخيص صلاح ذلك الموضوع وسداده، فاعلم أنّك تمضي في الطريق على عماء، ولا تخطو خطواتك عن بصيرة وإتقان، وأنّك ستصل في الظلمات والعتمات الحالكة والمفسدة إلى الهلاك والاضمحلال، وطالب الدين لا يُبتلى في الاشتباه أو يمزج الحقّ والباطل؛ وعليك في هذه المواطن الاحتياط والتوقّف والأفضل عدم الحركة في تلك الواقعة».

هناك مواطن جديرة بالتأمل في هذه الفقرة:

المواطن الأوّل: يقول الإمام عليه السلام: إنّ أحبّ المناهج هو تقوى الله والعمل بالتكليف الذي تمّتشريعه من جانب الله، ويجب على الإنسان أن لا يزيد أو ينقص من التكليف من تلقاء نفسه.

يتصوّر البعض أنّ رضا الله هو في أداء العبادات بصورةٍ شاقّةٍ وصعبةٍ، وأنّه كلّما كانت العبادة أصعب فستكون قيمتها عند الله أعلى؛ أو يرون بأنّ القيام بالمستحبّات فرضٌ وواجبٌ عليهم.[1]

---

[1]: هناك روايةٌ مأثورةٌ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول فيها: «أفضَلُ الأعمالِ أحمَزُها». يعني: «أفضل العبادات هي المصحوبة بالصعوبة والمشقة».
يجب الالتفات إلى هذه النقطة هنا في سائر المواطن الأخرى، وهي أنّ أداء العبادات وطاعة أمر الله يتشكّل في ظرف التكليف وفي فضائه، وطالما لم يأتِ التكليف على الموضوع بعد، فإنّ أداء ذلك العمل أو تركه من تلقاء النفس يُعتبر تجاوزًا لمباني العبودية وتجرّأً على المولى؛ كما يتبيّن من الأمثلة المذكورة فإنّ حكم الله أمرٌ وإظهار ذوق الأفراد أمرٌ آخر.

أمّا العبادات التي تتنوّع السبل والطرق في أدائها والتي يكون كلّ نوعٍ من الأداء فيها مقبولًا من الشارع، فيقولون في هذه الحالة: العمل والعبادة الأكثر قبولًا عند الله هي ما كانت نخبة العبودية والتلذّذ والتمسكنة فيها أكثر وأفضل من سائر الأشكال.

مثلًا: لو فرضنا أنّه استقرّ وجوب فريضة الحجّ على الإنسان بسبب تحصيله لزاد السفر والمركب، أو أنّه هيأ وسائل السفر من أجل أداء الحجّ المستحب ففي هذه الحالة وفي الظروف الحالية سيكون السفر إمّا عبر الطائرة أو عبر السفينة أو على ظهر دابة أو سيرًا على الأقدام، ومن الطبيعي أن تميل نفس

لًا: في الموطن الذي يجب عليهم التيمّم فيه بدلًا
مثا
من الوضوء، يتوضّؤون ويوقعون أنفسهم في الهلكة أو
المشقّة؛ وفي حالة وجود عذرٍ يرفع عنهم وجوب

الإنسان ابتداءً إلى الأولى من هذه المسائل تمّ استميل إلى باقي المسائل تبعاً
ولن يُبدي رغبةً بالسير على الأقدام مطلقاً. وهذا يتحقّق مصداقُ هذه الرواية،

فإذا توفّرت الفرصة الكافية ولم تبرز أيّ موانع خارجيّة فالسفر بواسطة
السيارة أو الدابة سوف يكون مرجّحاً على السفر بالطائرة قطعاً، فما بالك
بالسير على الأقدام؛ لأنّه عند السفر بالسيارة وأمثالها ستشعر نفس الإنسان
بالتعب والمشقّة والعبوديّة أكثر من السفر بالطائرة. وقد طوى الإمام المجتبى

عليه السلام المسافة بين المدينة ومكّة سيراً على الأقدام مراراً وتكراراً، في
حين أنّ ناقته كانت تتحرّك أمامه.

كما شوهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والإمام سجاد عليه السلام
يطويان السفر سيراً على الأقدام.

وقد طوى الملّا صدرا الشيرازي ـ الحكيم المشهور ومفخرة عالم الإسلام ـ

الطريق مراراً من منزله إلى مكّة سيراً على الأقدام، وقد انتقل إلى رحمته
تعالى في مدينة البصرة خلال سفره الأخير.

ولنطرح مثالًا آخر هذا:

الواجب على الإنسان الذي يجب عليه قضاء الصيام، أن يصوم اليوم في أيّ
ظرفٍ كان، سواءً كان ذلك اليوم من أيّام الشتاء القصيرة أم من أيّام الصيف
الطويلة المترافقة مع الحرّ والعطش، وأيّهما صام فلا إشكال ويكون قد أبرئ
ذمته وسقط التكليف عنه؛ ولكن بالطبع ثواب الصيام في الصيف وتحمّل
العطش والتعب أكثر أجراً وثواباً من الصيام في الشتاء قطعاً. وعلى هذا

القياس...

وبناءً على ذلك، فإنّ مضمون الرواية لا يعني أنّه على الإنسان أن يتحت
تكليفاً من رأسه وبدون إذن الشارع وإجازته، وأن ينشغل من تلقاء نفسه بأداء
عملٍ ما، حيث إنّ هذا العمل هو بدعةٌ قطعاً وخلاف المراد ومبغوضٌ من
الشارع؛ بل مفهومه هو أنّه من بين المصاديق المتعدّدة للقيام بالتكليف، ذلك
المصداق الذي يُوقع النفس في مشقّةٍ أكبر هو الأحبّ عند الله؛ لأنّ آثار ذلك
العمل ـ وهو التذلّل والخشوع ـ تُصبح أكثر وضوحاً.

الصيام، يصومون بأنواع الإصابات يُستبّبون التي أعضائهم؛ أو أثناء سفر الحجّ، تقوم المرأة الأضرار لأجسادهم؛ أو أثناء سفر الحجّ، تقوم المرأة والأضرار لأجسادهم؛ أو أثناء سفر الحجّ، تقوم المرأة بتناول أقراص دواءٍ معيّنٍ يُؤخّر حصول العذر الشرعيّ لها بدلًا من اتّباعها للواجبات المنصوص عليها في الشرع فتستريح خلال أيّام العذر؛ فتدوس بفعلها ذلك على السنّة الإلهيّة التي جعلها في حقّها أو تُضرّ بالمسار الطبيعي والتكويني للمشيئة الإلهيّة المتعلّقة بها، في حين أنّ تكليفها كان مبنيًا على أساس السير الطبيعي للأمور.

يجب علينا أن نعلم بأنّنا سوف نكون موفّقين ومؤيّدين في أداء واجباتنا وتكاليفنا طالما كان عملنا في ظلّ رضا الله وتقديره، وطالما لم نُضف شيئًا أو ننقصه من تلقاء أنفسنا، وأن لا تأخذنا الحرقة على أداء التكليف أكثر من نفس صاحب الشريعة، وعلينا أن لا نخلط نيّاتنا الخالصة أو نلوّثها بالأهواء النفسانيّة والوساوس الشيطانيّة.

فإنّ جميع البدع التي ظهرت في شرائع الأنبياء بواسطة الجهلاء ومن لا أهليّة لهم، إنّما نشأت بسبب هذه المسألة، فمصافحة المُصلّين بعد الصلاة هي إحدى هذه البدع، وكذلك مجالس الأربعين للمتوفى من هذا القبيل أيضاً، ومشي النساء خلف الجنازة والمشاركة في دفن المتوفّى كذلك، وتزيين المساجد بالكاشي وبناء المنارات والقباب يُعدّ من البدع.

وقد ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إِذَا قَامَ الْقَائِمُ [عجّل الله فرجه الشريف] لَمْ يَبْقَ مَسْجِدٌ [ويُعيد بناءها من جديد على أساس سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله]»[1] عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا هَدَمَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ

وحركة مواكب العزاء مع الطبول والعَلَم وغيرها كلّها أصبحت من البدع المتعارفة، ونصب مكبّر الصوت خارج فضاء المسجد والحسينيّة أو الكايا، وإيذاء الجيران كلّه كلّه بدعةٌ وحرامٌ، وعلى هذا القياس...؛ إنّ الشريعة ودين الله لا يحتاجان إلى شقشقتنا،

---

1. وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢١٦.

وليس من الواجب أن نأخذ على عاتقنا القيمومة عليه، فنحن إذا كُنّا نتمتّع بمُتقنين ومحترفين جدًا، فلا يجب أن نسمح لأنفسنا بفصل منهجنا وممارستنا عن دائرة الشريعة وعما وصل إلينا من مواليانا.

جاء شخصٌ إلى الإمام عليه السلام وقال: لقد اخترعتُ دعاءً وأنا أدعو به في قنوتي وسائر مواقفي. فقال الإمام عليه السلام وقد تغيّر: «دَعْ عنك اختراعك»[1].

النقطة الأخرى التي وردت في هذه الفقرات هي الاستفادة من تجارب الماضين.

ليس هناك شكٌّ في أنّ حياة الإنسان على مرّ القرون كانت قائمةً على أساس جلب المصالح ودفع المضارّ؛ وعلى هذا الأساس تشكّلت الحضارات والمجتمعات، وكان كلّ جيلٍ لاحقٍ يستفيد من تجارب الماضين، فكانوا يستفيدون من أساليبهم الجيّدة والحسنة وكانوا يأخذون العبر من عيوبهم وأوجه قصورهم. وكانت هذه المسألة شائعةً في العلاقات الأسريّة والاجتماعيّة وبين الأمم، بحيث إذا تصرّفت دولةٌ أو حكومةٌ أو فردٌ بخلاف هذه الطريقة، انتقد وقُدح به من قبل العقلاء؛ لأنّ الله لم يمنحنا أكثر من عمرٍ واحدٍ لذلك، فإنّ الشخص العاقل

---

[1]. **الكافي**، ج ٣، ص ٤٧٦.

يتنهز الفرص باستمرارٍ، ويحمي نفسه من لدغات الأحداث بنحوٍ أفضل.

السبب الأساسي للانحرافات البشريّة هو الحركة في جوٍّ من الشكّ والجهل وعدم الاطلاع

لكن أهم **نقطة** ننبّه عليها الإمام هنا، هي حركة الإنسان في فضاءِ الشكّ والجهل وعدم الاطلاع.

مهما قُلنا أو كتبنا عن هذه النقطة، كان قليلًا بحقّهما، ويُمكن القول يقينًا: إنّ أغلب الانحرافات في المجتمعات البشريّة، وكذلك بين الأفراد، إنّما كانت بسبب عدم مراعاة هذه النقطة.

إنّما يؤدّي إلى حصول الآفات وإلى الحركة في الضلالة والظلمة في مواطن الشبهة والشكّ، وما يؤدّي فيها بطبيعة الحال إلى الابتعاد عن الحقّ وعن الاستقامة هو الظاهر الخادعة والأمور الجذّابة الملغومة. تلعبُ الشخصيّة الظاهريّة للأفراد وشعبيتهم دورًا رئيسيًّا في هذه المسألة، والوعود والوعيد من دون دعامةٍ منطقيّةٍ ومُبرّرة، والاستناد فقط إلى الشعارات هي نوعٌ من

الإغارة التي يُمكن لها أن تقود العقول الجاهلة والنفوس

الضعيفة من عامة الناس إلى طريق الظلام والجهل.

إذ يُمكن للشخصيّات الكاذبة ولأشخاص الذاهبة أن تلعب دورًا مهمًّا في هذه المظاهر التي تأتي لتضليل الإعلام، وفتنة النساء اللاتي طُلّقن بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كانت ذات علاقةٍ بهذه النقطة، فإنّ عدم البصيرة وعدم اطّلاع المسلمين على الواقع، وعدم الاهتمام بالمسألة الخطيرة المتعلّقة للولاية والزعامة من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى المظاهر الخادعة للطيف المخالف للولاية والوصاية ـ ككهولة السنّ والصحبة مع رسول الله في الغار والنسب السببي ـ قد لعبت بأجمعها دورًا. ووجود أشخاصٍ معروفين ومشهورين مثل: أنس خادم رسول الله وعثمان وصهر النبيّ وآخرين في الجبهة المقابلة، زاد من إغراء هذه الحركة أيضًا.

لقد واجهنا هذه الفجوة وهذا النقص بنحوٍ دقيقٍ وفي قصّة المشورة والدستورية، حيث كان حضور علماء الظاهر ورجال الدين المشهورين ومراجع ذلك الوقت في جبهتين مواجهتين لبعضهما البعض، وسيل

الاتهامات والسباب وتدمير شخصيّة النفوس من قبل الطرفين، أوقع الناس في الحيرة وأحدث ارتباكاً غريباً وضع الطرفين في معرض طوفانٍ من الهلاك والعدم والدمار. فلم تسلم روح أحدٍ من تلك الفتنة إلّا أولئك الذين اختاروا العزلة في زاويةٍ من الزوايا، وامتنعوا عن الانتساب إلى أحد الجانبين، ودعوا الناس إلى الانسحاب من هذا الفخّ وهذه المهلكة المخطط لها.

من هنا يُمكن الاستنتاج أنّه في الحالات التي لا يكون واقع القضيّة والحادثة فيها واضحاً وجليّاً للإنسان، فلا يُمكن للإنسان أن يميل إلى أحد الجانبي المشتبهين، مفضلاً جانباً على الآخر، ولا أن يضع نفسه بين زمرة أتباع تلك المجموعة والمتحدين في مسلكها. وعليه أن يحمي نفسه من فخّ كلّ الطرفين من خلال الاحتياط والحزم والتوقّف.

وبالتأكيد، في مثل هذه الحوادث، يعتبر كلّ طرفٍ نفسه محقّاً مطلقاً، ويُبرز لنفسه شاهداً أو دليلاً من الوقائع الماضية ومن الحوادث التي حصلت في صدر الإسلام

من أجل إثبات مدّعاه، ويعتبر نفسه مصداقًا من مصاديق تلك الواقعة، وبطبيعة الحال لا ينبغي الاهتمام بكلامه، ولا بدّ من جعل المعيار هو وجود الشواخص وظهور آثار الحقّ فيها.

لقد كان الحجّاج بن يوسف الثقفي من رواد الماضين والاحقين في قتل الشيعة وقطع رؤوسهم، وكان يستشهد بآية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] من أجل تبرير عمله.

إخلاص الدينة وصفاء الباطن والتسليم أمام الحقيقة

وأمّا **النقطة الأخيرة** في هذه الفقرات، فهي إخلاص الدينة وصفاء الباطن والتسليم في قبال الحقّ، والخضوع لإرادة الله ومشيئته.

حيث يؤكد الإمام عليه السلام في هذه النقطة أنّه طالما لم يكن قلب الإنسان صافياً وخالياً من الغشّ بالنسبة لمسألة تقبّل الحقّ، فإنّ كلمات الأولياء وأحاديث الأعاظم لن تكون ذات فائدة كبيرة بالنسبة له، والنصيحة في أذنه عبارة عن دقّ الماء في الجاروش.

آئينه شو صيقل پري طلعت نطلب ** اول بروب
خانه دگر ميهمان نطلب [2]

---

1. سورة النساء (٤) مقطع من الآية ٥٩.
2. ديوان صائب التبريزي (فارسي) ج ١، الباب ١، الغزل ٩٢٠.

[يقول: كن آمرةً ثمّ ابحث عن جمال الوجوه ثمّ ابحث عن الضيف، واكنس بيتك ثمّ ابحث عن الملائكيّة].

لذلك نرى أنّ أولياء الدين يعدّون الشرط الأساسي لتأثير الكلام الصالح هو خلوص النيّة وصفاء الباطن، وطالما كانت كدورة الباطن وصدأ القلب همّ الغالبيّن على الشخص، فلن نُشاهد تأثيرًا للكلمات الحكيمة على القلب؛ ومن هذا المنطلق اعتبر أعاظم الطريق بأنّ تخلية القلب من التعلّقات والميول والصدأ، ينبغي أن يكون سابقًا على التحلية بالأذوار والفيوضات الإلهيّة؛ وعدّوا الإقدام على ذكر الله والأوراد في ظلّ عدم تقبّل النفس مضرًّا جدًّا وخطرًا جدًّا.

ولذا نجد أنّ الإمام عليه السلام قال له بعد هذا الأمر:

«وإذا لم تستطع أن تتيقّن وتطمئنّ نفسك باختيار طريقك ومسير حركتك نحو الله... فإياك أن تذهب في أيّ طريقٍ وأن تذهب إلى أيّ مكانٍ وأن تجيب كلّ داعٍ وأن تدخل إلى كلّ محفلٍ! لأنّه في هذه الحالة سوف يكون الصحيح

واللسقيم والحسن والقبيح والمستقيم والمنحرف المختلط

بعضه مع بعض، وسوف تصل نفسك إلى الهلكة»[1].

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثبات الدين والاعتصام بالله عزّ وجلّ

«فَتَفَهَّم ـ يا بُنَيَّ! ـ وَصِيَّتي، واعلَم أنَّ مالِكَ المَوتِ هو مالِك الحَياةِ، وأنَّ الخالِقَ هُو المُميتُ، وأنَّ المُفنِيَ هو المُعيدُ، وأنّ المُبتَلِيَ هو المُعافي، وأنَّ الدُّنيا لَم تَكن لِتَستَقِرَّ إلّا عَلَى ما جَعَلَها اللهُ عَلَيهِ مِنَ النَّعماءِ والِابتِلاءِ والجَزاءِ في المَعادِ، أو ما شاءَ مِمّا لا نَعلَمُ. فَإن أَشكلَ عَلَيك شَيءٌ مِن ذَلِك فَاحمِلْهُ عَلَى جَهالَتِك به؛ فَإنَّكَ أوَّلُ ما خُلِقتَ جاهِلًا ثُمَّ عُلِّمتَ، وما أَكثَرَ ما تَجهَلُ مِنَ الأَمرِ، ويَتَحَيَّرُ فيهِ رَأْيُك، ويَضِلُّ فيهِ بَصَرُك، ثُمَّ تُبصِرُهُ بَعدَ ذَلِك، فَاعتَصِمْ بِالَّذي خَلَقَك ورَزَقَك وسَوّاكَ، ولْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وإلَيهِ رَغبَتُك، ومِنهُ شَفَقَتُك».

يعني: فتفهّم يا بُنيّ وصيّتي أدّيجوتو لها إلى أن تصل نفسك، واعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة، وأنّ الخالق هو المميت، وأنّ المفني هو المعيد، وأنّ المبتلي هو المعافي، وأنّ الدّنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه من النّعماء والابتلاء والجزاء في المعاد، أو ما شاء ممّا لا نعلم. فإن أشكل عليك شيءٌ من ذلك فاحمله على جهالتك به؛ فإنّك أوّل ما خلقت جاهلًا ثمّ علّمت، وما أكثر ما تجهل من الأمر، وتتحيّر فيه رأيك، ويضلّ فيه بصرك، ثمّ تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالّذي خلقك ورزقك وسوّاك، وليكن له تعبّدك، وإليه رغبتك، ومنه شفقتك.

---

[1]: راجع إلى قول الإمام: «وإن أنتَ لَم يجتَمِعْ لَكَ ما تُحِبُّ مِن نَفسِك، وفَراغِ نَظَرِكَ و فِكرِكَ؛ فَاعلَمْ أنَّكَ إنَّما تَخبِطُ العَشْواءَ، وتَتَوَرَّطُ الظَّلماءَ، و لَيسَ طَالِبُ الدّينِ مَن خَبَطَ أوْ خَلَطَ، والإمساكُ عَن ذَلِكَ أمثَلُ».

،أنّ مالك الحياة والمعيشة والموت هو مدعاة لمالك نفسه هو الذي خلق الحياة للخواء، أو أنّ الذي خلق الحياة هو نفسه الذي يُميت هو الذي يُعيد مرّةً أخرى، أو أنّ تلك الذات التي تتبدل هي التي تفتح الطريق مرّةً أخرى، أو أنّ الدين هي التي تتطلب من أجل الحياة الخالية من المعاصي والموبقات من أجل خُلق آخرة الاتباع والمعية لله من أجل الخلود في الباقية، وأن هذه الأرض لا تعدو أن تكون مجازًا من أجل الآخرة.

فإذا حصلت لديك مشكلة في هذه المسائل وخلال مُضيّ العمر وما يظهر فيه من الحوادث بحيث لم تستطع أن تحلّها، فاحملها على جهلك وقصورك في العلم والبصيرة، (لا أن يحصل لديك شكٌّ في أصل تلك الحادثة والمسألة، فترى أنّها خاطئة؛ لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يكون متيقّنًا وجازمًا في جميع الأمور والأحداث).

ثمّ، الدين لا تدل على وجود خلل في تأكيد الذات من خلال تعلّم المزيد من الأشياء، مع ذلك لا تزال الذات بحاجة إلى تأكيد وجودها في الحياة، ولعل

يتردّد، يضلّ فيه بصرك وبصيرتك ثمّ بعد مضي وقتٍ من الزمان تهيء أسباب العلم والمعرفة تعلمه وتتبصّر به.

فاعتصم بالذات المقدّسة والمتعالية لله عزّ وجلّ الذي خلقك ورزقك وسوّاك واعتمد عليه، واطلب منه المدد وتمسّك به، ويجب أن يكون توجّهك والتفاتك إليه وتجاهه ولا يكن في بالك معبودٌ سواه، وليكن شوقك ورغبتك منحصرًا في الوصول إلى تحصيل رضاه وحسب، وينبغي أن يكون خوفك وشفقتك من البعد عنه ومن عدم رضاه ومن سخطه وغضبه».

هريدقتو الله ةدارإب يه اهيلع ةبّترتملا ضراوعلاو ثداوحلا عيمج

يشير الإمام عليه السلام في هذه العبارات إلى أنّه مثلما يعود أصل وجود العالم وأل العالم إلى الذات الإلهيّة المقدّسة، تستند كذلك جميع الأحداث والعوارض المترتّبة عليه وترتبط بإرادته وتقديره، وقد تمّ إثبات هذا الأمر في المسائل الفلسفيّة وفي العرفان النظري (التوحيد الذاتي والأسمائي والصفاتي والأفعالي).

هروم أعيمج يف ناسنلإا ىلع بجي ،هذا نمو

الذات التي لا مثيل لها، وأن يجعل سؤاله وطاعته وانقياده لها، وأن يتوجّه إليها بجميع وجوده وسرّه وسويدائه؛ وذلك كما أوحى الله تعالى للنبي موسى عليه السلام: «يَا مُوسَى سَلْنِي كُلَّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى عَلَفَ شَاتِكَ وَمِلْحَ عَجِينِكَ»[1].

وبناءً على هذا، يجب على الإنسان أن ينصب عيني أمله على تلك الذات التي لا مثيل لها حصرًا، وأن يخافها وأن يخشاها فقط، وأن لا يهتمّ بأيّ قدرةٍ أو أثرٍ في هذا العالم.

إشارةٌ إلى المسألة الحياتيّة؛ مسألة الهداية والإرشاد والتوجيه وميسير السعادة والفلاح البشري

«واعلَمْ - يَا بُنَيّ! - أنَّ أحَدًا لَم يُنبِئ عَنِ اللهِ كما أنبَأَ عنه الرّسولُ صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ فَارْضَ بِهِ رائِدًا وإلَى النّجاةِ قائِدًا، فَإنّي لَم آلُكَ نَصيحَةً، وإنَّكَ لَن تَبلُغَ في النَّظَرِ لِنَفسِكَ - وإنِ اجتَهَدتَ - مَبلَغَ نَظَري لَكَ».

يعني: «واعلم يا بُنيّ! أنّ أحدًا من الشخصيّات في الدنيا لم يستطع أن ينبئ عن المقام الربوبي وأوصاف الله

[1] عدّة الداعي، ص ١٣٤.

وخصوصيّته كما أبنأ عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكما عرّفه الآخرين؛ لذا اجعله دليلك إلى سبيل السعادة وعطُمك قائدك وتيجانه صباح الفلاح.

واعلم أنّي لم أخفي عنك شيئًا من النصيحة والإرشاد، والتفت إلى هذه النقطة، وهي أنّك لن تبلغ وتصل إلى مصلحتك وسعادتك ـ مهما سعيت واجتهدت ـ بذلك المقدار الذي أريده لك».

بعد شرح أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الجمل بيان هو لمواقعيّة البشر في هذه الدنيا وانتقالهم إلى دار الآخرة، بعد توضيحه للحقائق والاعتبارات، بعد بيانه لما فيه صلاح الدين أو فساده وأنّه من أجل الوصول إلى الفلاح والخلاص، يجب أن يتمتّع بنيّةٍ صافيةٍ وبصدقٍ الضمير، وأنّه عليه دائمًا أن يسلك سبيل الاحتياط وأن يلزم جانب الحزم في مواقف الشكّ والشبهة، وأنّه يجب عليه أن يتّبع السنن والسُبُل المحكمة والمستندة إلى العقل والفطرة، يُشير إلى مسألةٍ مهمّةٍ وحياتيّة والتي تتضمّن الهداية والإرشاد وتيسير السعادة للبشر، حيث يجب على الإنسان في سبيل رفع الكسل والفتور في العمل والقرار، أن يستعين بالإرشاد والهداية والأخذ بالدليل من قبل خواصّ

خبيرٍ وذو معرفةٍ ومطلعٍ على جميع جوانب وزوايا الحالات المشبوهة والمجهولة. وأن يعتبر كلامه عقلًا منفصلًا ومائزًا ومُتخصّصًا للمبهمات، وأن يعدّه منارة هادية في القلب المظلم للأحداث والمهالك، وأن لا يعصي أوامره ودساتيره وإرشاداته، وأن يُقدّم إرادة هذا الخبير وقراره في المواقف الخطرة وفي اللحظات الحرجة من الحياة البشريّة على إرادته الشخصيّة وميوله؛ وعليه أن يعتبر أمره السبيل الوحيد للنجاة من المعضلة والشبهة التي وقع فيها.

وبناءً على هذا البرهان وحكم العقل القاضي باتّباع الأعلم والخبير، يجب على الإنسان أن يتّبع الرسل الإلهيّين والقادة الدينيّين الذين تكون الحالات المشكوكة والمواقف المشتبهة واضحة جليّة لعين قلبهم ورؤيتهم الإلهيّة، وعليه أن يُرجّح أوامرهم ويفضّلها على جميع إرادات الآخرين وتوقعاتهم وتشجيع وتهديداتهم وسلائقهم.

بی‌پیر مرو تو درخرابات ** هرچند سکندری زمانی[1]

[يقول: لا تسلك طريق الخرابات بغير الشيخ المجرّب، ولو كنت الإسكندر في زمانك].

***

قطع این مرحله بی همرهی خضر مکن ** ظلمات است بترس از خطر گمراهی[2]

[يقول: لا تقطعنّ هذه المرحلة (الصعبة والمحفوفة بالمخاطر) دون صُحبة الخضر؛ لأنّ فيها من الظلمات ما قد يُعرّضك إلى خطر الضياع والضلال].

لزوم اتّباع الإنسان الكامل الواصل

من الطبيعي، بما أنّ الغاية النهائيّة من خلق البشر، هي عبور مراتب الغيب والسير في أسماء وصفات حضرة الحقّ، والوصول إلى حريم القدس والذات الإلهيّة المقدّسة، لذا يجب قطع هذه المسافة مع قائدٍ يكون

---

1. أمثال وحكم دهخدا {فارسي} ج ١، ص ٤٨٤.

2. ديوان حافظ، طبع پژمان، الغزل ٤٦٦.

هو بنفسه قد طوى جميع مراتب الأسماء والصفات بالشهود والعيان واحدةً تلو الأخرى، وأن يكون على دراية تامّة بأسرار ورموز تلك العوالم[1]؛ وأن يكون قادرًا على تفهيم الإنسان السائر إلى الله فيما يتعلّق بمخاطر النفس ومهالكها وعقبات الطريق وتخليصه منها بنحوٍ فعّال ورشيق.

ومن هنا ندرك لماذا خصّص أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفقرات بأنّ رسول الله وأهل بيته هم الأفضل والأكثر استحقاقًا من بين الأفراد لهداية الناس وأخذ بيدهم.

يقول حضرة الشيخ فريد الدين العطّار رضوان الله عليه:

ز مشرق تا به مغرب گر امام است ** علی و آل او

مه را تمام است[2]

---

[1] **أسرار الملكوت**، لقد جاء توضيح هذا الأمر في الجزء الثاني من كتاب [المجلسين التاسع والعاشر من المجالس. راجع: المترجم].

[2] **الهي نامه** عطار (فارسي)، مطلع الكتاب، في فضيلة حضرة أمير المؤمنين عليه السّلام، «أمير المؤمنين حيدر تمام است».

[يقول: إن كان لا بدّ من إمام من المشرق إلى المغرب، فحسبنا عليّ وآله]

وعلى هذا القياس ينبغي هذا الملاك والمعيار، فإنّ الأولياء الإلهيّين الذين طووا مراتب التجرّد بالنحو الأتمّ والأكمل، وتحقّقوا بحقيقة العبوديّة، هم الذين يُمكنهم أن يأخذوا بأيدي السالكين في الطريق إلى الله، ويإيصالهم إلى عتبة المنزل المقصود، ولا فرق في هذه المرتبة بين العالم والجاهل والأصناف المتعدّدة، فجميعهم في أيّ مرتبةٍ كانوا محتاجين إلى الإرشاد والهداية من قبل الفرد الكامل والإنسان الواصل؛ وذلك كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ لَمْ يُرْشِدْهُ اللهُ سُبْحانَهُ لَمْ يَجِدْ إلى رُشْدِهِ سَبيلاً»[1]

يعني: «من لم يضع طوق الانقياد والخضوع على أعتاب الحكيم والعارف ذو الضمير المنير، فسوف يقع في الهلكة والضلالة بالتأكيد في صراع الأحداث وعمى الشبهات».

---

1. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ص ٨٥٩.

«واعلَم ـ يا بُنَيَّ! ـ أنّهُ لَو كان لِرَبِّك شَريكٌ لَأَتَتْك رُسُلُه، ولَرَأيْتَ آثارَ مُلْكِهِ وسُلطانِهِ ولَعَرَفتَ أفعالَهُ وصِفاتِهِ، ولَكِنَّه إلٰهٌ واحِدٌ كَما وَصَفَ نَفسَهُ، لا يُضادُّهُ في مُلكِهِ أحَدٌ، ولا يَزولُ أبَدًا ولَم يَزَلْ. أوّلٌ قَبلَ الأشياءِ بِلا أوَّليّةٍ، وآخِرٌ بَعدَ الأشياءِ بِلا نِهايةٍ. عَظُمَ عَن أن تَثبُتَ رُبوبِيَّتُهُ بِإحاطَةِ قَلبٍ أو بَصَرٍ؛ فَإذا عَرَفتَ ذٰلِكَ فَافعَلْ كَما ينبَغي لِمِثلِكَ أن يفعَلَهُ في صِغَرِ خَطَرِهِ؛ وقِلّةِ مَقدِرَتِهِ، وكَثرَةِ عَجزِهِ، وعظيمِ حاجَتِهِ إلى رَبِّهِ في طَلَبِ طاعَتِهِ، والخَشيَةِ مِن عُقوبَتِهِ، والشَّفَقَةِ مِن سُخطِهِ؛ فَإنّهُ لَم يأمُرْكَ إلّا بِحَسَنٍ ولَم يَنهَكَ إلّا عَن قَبيحٍ».

يعني: «واعلم يا بُنيّ! أنّه لو كان لله عزّ وجلّ شريكٌ لأتتك رسُلُه، ولرأيت آثار سلطنته وقدرته، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكن الله إلهٌ واحدٌ لا شبيه له، كما أنّه وصف نفسه بهذه الصفة.

وليس هذا كمن ذا تُتضادّه وتقابله في سلطنته أبدًا، ولا يتصوّر هذه الآلهة أبدًا، والأبدية تلي ذاته التي لا مثيل لها، هو بداية كلّ شيء وليس هذا كمن شيء قبله أبدًا،

فيحين أنّه ليس له ابتداء أو أولية، ولا يُتصوّر له بداية،

وهو نهاية كلّ الأشياء في أصل وجودها وعوارضها،

في حين أنّه ليس له نهاية وختام، إنّه أعظم من أن يُدرك ربوبيّته قلبٌ أو بصرٌ وأن يصل إلى كُنه ذاته؛ والآن حيث أنّك اطلعتَ على هذه الأمور وعلى هذه الأوصاف، وصرتَ مُطلعًا على قدرته وسلطنته وهيمنته على جميع الخلائق، فكن في قبال الله الواحد الأحد في طلب رضاه وتحصيل طاعته مثلما ينبغي لشخصٍ مثلك بلا مقدارٍ ولا تمكّن، وكما ينبغي لشخصٍ عجزه كثيرٌ واحتياجه إلى ربّه مُبرمٌ وعظيمٌ، وكن كما ينبغي لمثلك بالنسبة للخشية والخوف من عقوبته ومؤاخذته ومن غضبه وإبعاده؛ لأنّ الله لم يأمرك إلّا بالأفعال الحسنة، ولم ينهك إلّا عن الأفعال القبيحة».

ةرخلآاو ايندلا لاوحلأ مامإلا نايب ءارو عفادلاو بسلا نايب امهتّايصوصخو

«أَيُّ نَبِيٍّ إِنَّا دَقَ عَنِ كُتْأَبنَأ ايُّندلا احلاهِ، وزَاوهلا [هيفو] ،اهلاقِتناو أَوبَنأَتْكُ عَنِ آرخلاةِ امو أُعْدِّ هَلِهلأ اهلِ، رَبتعَتِلِ لاثمَلأا امِهيفِ كَلَ تُبرَضو ،اهيلَعْ وَذُحتو ،اهِبِ رَبَتعَتِلِ لاثمَلأا امِهيفِ كَلَ تُبرَضو لُزِنتَ مِهِبِ ابَذ رِفْسَ مِوقَ لِتَثمَكَ ايُّندلا رَبَخ نمَ لُتَثمَ امَّنإ اولمَتْحاَفَ ،أعيرَمَ أبابَجو أبيصَخ لَّازِنتَ اوّمَأفَ ،بُيدَجَ

،رِقَّ السَّرِ ،قِ الصَّدِي ،اقَ فر ،وشُ الخ ،نةَ الشَّ ،اءَ الطَّرِي ،عَ الشَّ

،مِ العَظ ،ةَ الشُّجُو ،أْيِ التَّ ،اوِ العَ ،ةَ الدَّارِ ،مِ تَمزِّقَ أَرْوَ

[فِيهِ] ةً فَفَذَ نَوْرَ يِدِ لاَ ،أَمَلاً كَ ذَلِ مِنْ ءٍ يْ شَ يَدِ سَ لَفَ

مَغرَمًا، ولا شَيءَ أحَبُّ إلَيهِم مِمّا قَرَّبَهُم مِن مَنزِلِهِم، وأَدناهُم مِن مَحَلِّهِمْ؛ ومَثَلُ مَنِ اغتَرَّ بِها كَمَثَلِ قَومٍ كانوا بِمَنزِلٍ خَصيبٍ فَنَبا بِهِم إلَى مَنزِلٍ جَديبٍ، فَلَيسَ شَيءٌ أكرَهَ إلَيهِم ولا أَفظَعَ عِندَهُم مِن مُفارَقَةِ ما كانوا فيهِ إلَى ما يَهجُمونَ عَلَيهِ، ويَصيرونَ إلَيهِ».

يعني: «يا بُنَيَّ! لقد أطلعتُكَ على أحوالِ الدنيا وخصوصيّاتها بنحوٍ جيّدٍ، وأنبأتُكَ عن زوالِ الدنيا وانتقالِها إلى الآخرة أيضًا، وأخبرتُكَ عن عالَمِ الآخرة وما أعدّه الله هناك، ونقلتُ لكَ الأمثلةَ التي يُمكنُها أن تُبصّرَكَ وتمنحَكَ الكمالَ بالنسبةِ للدنيا والآخرة، حتّى تأخذَ العبرةَ منها وكيفَ تطوي طريقَكَ في هذه الدنيا على علمٍ وبصيرةٍ

فإنّما مَثَلُ الشخصِ الذي اطّلعَ على خصوصيّاتِ الدنيا، مَثَلُ قومٍ مجموعةٍ نزلوا في مكانٍ في غايةِ

الصعوبة والقحط وغير مريح، وكانوا يريدون أن يذهبوا من هناك إلى منزلٍ مليء بالخضرة والمراعي ويبعث على السرور، ولذا لم يكونوا يرون بدًا من تحمّل مشقّة الطريق وصعوبته، وأن يُفارقوا الأصدقاء والأحبّة، وأن يتحمّلوا مشكلات الطريق، والطعام غير المرغوب وكلّ ذلك لعدّة أيّامٍ إلى أن يصلوا إلى المنزل المقصود ويأووا إلى محلّ استقرارهم الأبدي، ولهذا السبب لا يشعر هؤلاء بأيّ نوعٍ من الألم والانزعاج من مواجهتهم لهذه المسائل، ولا يرون أنّ صرف الأموال من أجل الوصول إلى هذه الغاية خسارة أو غرامةً، وليس هناك من شيءٍ أحبّ إليهم من الشيء الذي يُوصلهم إلى منزلهم ويُقرّبهم من مقصدهم.

وبالعكس فإنّ مَثَل الشخص الذي انخدع بالدنيا، وابتلي بالظواهر والأمور الجذّابة، ولم يأخذ زادًا لآخرته، ولم يكن لديه خبرٌ عن أحوالها ومقاماتها، مثل قومٍ ومجموعةٍ كانوا في منزلٍ جميلٍ ومحلٍّ ويسكنون في مكانٍ ساحرٍ، ثمّ نزلوا في منزلٍ جافٍ وقحطٍ وحارقٍ جدًا، فلم يكن هناك شيءٌ أبغض إليهم وأصعب من مفارقة ذلك المسكن والموطن ومن الحركة باتجاه المنزل الجديد».

حالات الإنسان المفترضة في مواجهة الحوادث التي تصيبه

في هذه العبارات، هي **النقطة التي تستحقّ التأمّل**، مسألة اشتياق الإنسان بالنسبة إلى الدنيا والآخرة، وبشكلٍ عامٍّ، يُمكن أن يكون للإنسان حالةٌ من ثلاث حالات مفروضة فيما يتعلق بالأحداث القادمة، وذلك بالنحو التالي:

الحالة الأولى: أن تكون الحادثة التي يحتمل وقوعها في صالحه وموافقةً لرغبته وميله، وفي هذه الحالة سوف

يمتلك الشوق والرغبة لتحقيقها، وفي كثيرٍ من الأحيان قد يتملّكه الاضطراب والتشويش خوفًا من عدم وقوعها.

الحالة الثانية: أن تكون حادثةً لا تتوافق مع مصالحه ورغباته وميوله؛ وفي هذه الحالة يكون مضطربًا وقلقًا خوفًا من تحقّقها، ويُريد منع حدوثها بأيّ وسيلةٍ، وأن يُبعد عن نفسه الظروف التي قد تُسبّب حصول هذه الحادثة.

الحالة الثالثة: أن لا تكون هناك أيّ علاقةٍ بينه وبين تلك الحادثة، فوجودها وعدم وجودها سواءٌ بالنسبة للإنسان؛ وفي هذه الحالة، يعبر عنها الإنسان بلامبالاة ودون أن يعتني بها.

والمؤمن، بواسطة ما لديه من رؤية وبصيرة فيما يتعلّق بالعوالم بعد الموت، حيث يُمثّل الانتقال من هذه الدنيا بالنسبة له تركَ المصائب والمشاكل والاختلافات والأمراض والمخاطر، وفي المقابل الدخول في عالم المثال والبرزخ والتمتّع بالنعم اللامتناهية والابتهاج التامّ والالتقاء بالأولياء الإلهيّين وإفاضة أنوار الجمال

الربوبي، وإزالة جميع الأحزان والتشويشات والطيران في الفضاء العطر اللامتناهي ومصاحبة مظاهر الجمال الإلهي من الحور والغلمان، ولذا فهو يعدّ اللحظات الانتقال من الدنيا إلى الآخرة قطعاً. ولا يحتمل الموانع الموجودة [من هذا الانتقال]، ولذا يستقبل ظروف تحقّق هذا الانتقال بطيب نفسٍ وسكينة خاطرٍ؛ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتّقين:

اهنّيع يتلا ةلهملاو] مُهِيْلَعُ اللهُ بَتَكَ يِذَّلا لُجَلأا لاوَلَه

مْهِداسْجَأ يِف مْهُحاوَرْأ رَّقَتْسَتَ مْلَ [ايندلا هذه هيف مهل الله

[ىلعلأا لملأا ىلإ مهحاورأ تراطلو] نِيْيَعَ ةَفزَط»[1]

ةرخلآا رفسو تومل ىلإ الله ءايلوأ قوش

قاللا موحرملا دلاولا نوضر الله عليه:

لقد عانى المرحوم آية الله الأنصاري الهمداني ـ رضوان الله عليه ـ من أمراض مختلفة في أواخر عمره، ومن جهةٍ أخرى زاد ضيق المعيشة والنقص في جوانب مختلفة من معاناته. قال لي ذات يومٍ (للمرحوم آية الله الوالد): «لماذا ينذر هؤلاء الرفاق والأصدقاء ويتوسّلون ويذبحون الأضاحي من أجل بقائنا في هذه الدنيا؟ فما هي نتيجة الوجود في هذه الدنيا سوى المتاعب والأمراض والمشاكل؟!» ثمّ قال: «لولا الحديث والرفاقة مع هؤلاء الرفقاء والأحبّة الذين يأتون من أماكن بعيدة وقريبة لزيارتنا، لما كانت لي رغبةٌ في البقاء في هذه الدنيا حتّى ولو للحظةٍ واحدةٍ!».

---

1. ١٦٠ص ،٢ ج {هدبع} ةغلابلا جهن

وقد نقل أحد أقارب الحقير ما يلي:

ـ بعد المرض الذي أصاب قلب المرحوم الوالد ـ وعودته من مستشفى القائم (عليه رضوان الله عليه ـ في مدينة مشهد إلى المنزل، جئتُ إلى محضره (عليه السلام) وقلتُ: الشكر لله أنّك استردّيتَ صحّتك وعافيتك، وأخرجتَ من القلق والاضطراب.

فتغيّر وجهه وهو في حالٍ من الانزعاج، وكان ذلك مشهودًا في وجناته تمامًا، وقال: «ماذا يريد هؤلاء الرفاق مِنّا في نهاية المطاف؟» لماذا لا يدعوننا وشأننا؟! لماذا لا يتركوننا نرتاح من هذه الدنيا؟! لماذا قاموا بكلّ هذا المقدار من التوسّل والدعاء والنذر وطلب الحاجة؟! ألم نُبيّن لهم كل ما يلزمهم لسعادتهم وبصيرتهم؟! حسنًا، فليتركونا لحال سبيلنا، ولعملنا ولنذهب إلى العالم الآخر».

لمّا رأيتُ أنّه أبدى الانزعاج والشكوى بنحوٍ شديد، وأنّ ذلك قد لا يكون مناسبًا له على الإطلاق، قلتُ له: «سيّدنا الحبيب، إنّنا إنّما نتوسّل بهذه الأعمال من أجل

بؤسنا وشقائنا نحن، وإلّا فإنّنا نعلم مكانك في ذلك العالم وأنّك ستتنعمّ بأيّ رحمةٍ وعنايةٍ من العنايات الإلهيّة هناك، ونعلم أنّك تعدّ اللحظات للوصول إلى تلك المراتب والمقامات».

طبعاً كان سماحته يقول هذه الكلمات بعد أن انتقلت روحه في المستشفى إلى عالم الآخرة لمدّةٍ قليلةٍ، مثلما ذكر هو بنفسه لهذا الحقير، حيث قال:

لقد أخذوني إلى ذلك العالم، لكنّهم أعادوني إلى هذه الدنيا بواسطة التوسّلات والنذورات والالتجاءات الشديدة من قبل الرفقاء، وقد حدّدوا لي مدّةً قصيرةً، وقالوا: «ليس لديك فرصة كبيرة، فسرّع بكتابة مؤلّفاتك قدر المستطاع، واعلم أنّك لن تنتقل إلى ذلك العالم وهي غير مكتملة».

وهذا ما حصل.

وصايا سماحة العلّامة الطهراني للمؤلّف الكتاب في المستشفى

وقد كان هذا العبد (راقم هذه السطور) مرافقاً لسماحته في المستشفى في مرضه هذا، وبعد انتقاله لسماحته من وحدة العناية المركّزة إلى قسم الإقامة، قال في ليلةٍ من الليالي لهذا العبد:

هناك وصايا يجب أن أخبرك بها، وعليك أن تسعى جاهداً لتنفيذها.

أوّلًا: أن يُدفن جسدي في المقام الأول بجوار عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام في البادية في القسم السفلي من رجله، وإذا لم يكن ذلك متيسّرًا، ففي الجزء الخلفي من الرأس؛ ولا أرضى أن تدفن فوق الرأس أو قدّام الإمام.[1]

ثانيًا: لا حاجة أن تخبر الأصدقاء والأقارب والمعارف في البلدان البعيدة، وأن تُوقعهم في المشقّة والتعب، يكفي أن تأخذوا الجنازة مع هؤلاء العدّة من الأشخاص الموجودين هنا، وشيّعوها بالفرح والسرور والابتسامة والطرب، خلاصة الأمر شيعوها وأنتم ترقصون، شيّعوا إلى منزل الآخرة! ولا يحزنّ أحدكم أو يبكي! فأنتم لا تعرفون إلى أيّ منزلٍ وكان سأذهب!

ثالثًا: ينبغي أن تستمرّ مجالس العزاء والأعياد التي في منزلي بنفس الحنو والكيفية الحالية إلى الأبد بدون

---

[1] بحسب رأي الحقير: إنّ دفن الجنازة فوق رأس الإمام أو قدّام الإمام موجبٌ لإهانته، وهو حرامٌ شرعًا.

أيّ تغييرٍ، وعليك أن تكون منتبهًا ومراقبًا للسنة
هذه المسألة.

بينما كنت منزعجاً قليلاً من هذه الكلمات، لاحظ سماحته ذلك وقال لي: «يا فلان! لماذا أنت منزعج هكذا؟ فما الذي قلتُ لك؟» ثمّ قال (وهو يُحرّك يده إلى الأمام): «أنا سعيدٌ!» ومدّ هذه الكلمة مدّةً خاصّةً، وكان السرور والبهجة بادياً على محيّاه بحيث أنّ هذا المشهد لا يزال مجسّداً أمام ناظريّ، وبقيت ذكراه اللطيفة والعذبة تترطّب روحي بعد أكثر من عشرين عاماً وتجعلها تتراقص، وتنفخ نفخة الحياة في جسدي الخالي من الروح وفي نفسي المنغمرة في الشهوات والتعلّقات، وتفيض عليّ من أمطار الرحمة.

نعم، هذه هي حال رجال الله وأيّامهم: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1]

وفي المقابل نُشاهد أشخاصاً من المتميّزين بزيّ أهل العلم والمعرفة، ومن الداعين والمروّجين للشريعة، ممّن قضى عمراً فوق المنابر، وتعرّض في خطبه وأحاديثه

---

[1]. ٣٧ من الآية (٢٤) من سورة النّور.

وجلساته وكتاباته لشرح المباني وتوضيح الاعتقادات،
وغرّب الناس وشجّعهم لأن يتحرّكوا إلى منزل الآخرة؛
وقد نقلوا الكثير من التعاليم الدينيّة كما لو أنّهم سمعوها
بأنفسهم من نفس المعصومين، وكأنّهم حصلوا عليها
بروحهم وقلبهم بعلم اليقين وحقّ اليقين من خلال الشهود
الروحاني واللمس البرزخي؛ ولكن ما إن يُصابوا
بمرضٍ مُهلكٍ وخطرٍ جديٍّ، وما إن يروا بأنّ الموت
أمامهم، ويعتقدوا بأنّ طريق العودة أصبح مسدوداً
أمامهم، وأنّ ما تحدثوا به للناس حتى الآن أصبح مُحقّقاً
ومسجّلاً لهم، فجأةً يفقدون عنان اختيارهم ويُحرقون
الدنيا والسماوات بأجمعها، ويطرقون كلّ بابٍ للتخلّص
من هذا المرض القاتل، ويصرفون مبالغ هائلة من المال
محيّرةً للعقول - وتكون تلك من بيت مال المسلمين أيضاً
أو من الحقوق الشرعيّة - كلّ ذلك من أجل رفع ما ابتلوا
به؛ وفي خيالهم الخام يرغبون أن يسبقوا التقدير
والمشيئة الإلهيّة، ويُجيبون بالنفي على دعوة ملك

الموت إلى المنزل الأبدي، وأن يُحرّروا أنفسهم من

قبضة القضاء والقهر الإلهيّين، لكن هيهات! هيهات!

يُعلّمنا أمير المؤمنين عليه السلام في هذه العبارات معياراً واضحاً ودقيقاً جداً، حيث يُمكننا من خلال هذا المحكّ والمعيار أن نفهم جيّداً حالة الأشخاص وشخصيّتهم، وأن نقيس مقدار التعلّق بالدنيا والمادّيّات الموجود في أنفسهم وباطنهم، وأن نطّلع على مقدار صدقهم وتطبيقهم للكلام واعتقادهم به؛ وأن نصل لحقيقة الحال كما يقول الخواجة الشيرازي حيث يقول:

**فردا كه پيشگاه حقيقت شود پديد ** شرمنده

رهروى كه عمل بر مجاز كرد[1]

[يقول: غداً عندما يظهر مقام الحقيقة، سيخجل الذي بنى عمله على المجاز].

وهذا المحكّ والميزان هو لجميع الأفراد، سواءً العالم منهم وغير العالم؛ فالجميع يُمكنهم أن يقيسوا مقدار قربهم وإيمانهم وتعلّقهم من خلال هذا الميزان.

---

[1] ديوان حافظ، طبع پژمان، الغزل ١١٤.

«أَي بُنَيَّ! اجعَلْ نَفسَكَ ميزانًا فيما بَينَكَ وبَينَ غَيرِكَ؛ فَأحبِبْ لِغَيرِكَ ما تُحِبُّ لِنَفسِكَ؛ واكْرَهْ لَهُ ما تَكرَهُ لَها، ولا تَظلِم كَما لا تُحِبُّ أن تُظلَمَ، وأحسِنْ كَما تُحِبُّ أن يُحسَنَ إلَيكَ، واستَقبِحْ من نَفسِكَ ما تَستَقبِحُهُ من غَيرِكَ، وارْضَ منَ النّاسِ بِما تَرضاهُ لَهُم مِن نَفسِكَ، ولا تَقُلْ ما لا تَعلَمُ وإن قَلّ ما تَعلَمُ، ولا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أن يُقالَ لَكَ. واعلَمْ أنَّ الإعجابَ ضِدُّ الصَّوابِ. وآفَةُ الأَلبابِ؛ فَاسْعَ في كَدحِكَ، ولا تَكُنْ خازِنًا لِغَيرِكَ، وإذا أنتَ هُديتَ لِقَصدِكَ فَكُنْ أخشَعَ ما تَكونُ لِرَبِّكَ».

يعني: «يا بُنَيَّ! اجعل نفسك ميزانًا للعلاقة بينك وبين الآخرين، فأحبّ للآخرين ما تُحبّ لنفسك، واكره للآخرين كلّ ما تجده سيئًا لنفسك، ولا تظلم تمامًا كما لا تحب أن تكون مظلومًا، وأحسن للآخرين كما تحبّ أن يُحسن إليك غيرك، واستقبح من سلوكك وما تعتبره قبيحًا من الآخرين، وكُن راضيًا عما يفعله الآخرون بما ترضى أن تفعله لهم، ولا تتكلّم في أمرٍ لا تعرفه ولا تدرك خصائصه وجوانبه، حتّى لو كان لديك القليل من

المعرفة والاطلاع عليه، ولا تقل بحقّ الآخرين أمرًا ما لا تُحب أن يُقال بحقّك. واعلم أنّ الإعجاب بالنفس مخالفٌ للدراية والنظرة الواقعيّة، وأنّه يجرّ أصحاب العقل والتدبير إلى الضلال.

لا، وكُن دائماً أقلّ جدارة في عملك، ففكّر في نفسك وتذكّر دائماً أنّ الآخرين لا يهتمّون لأمرك، ولا تنشغل بأسرار الآخرين ولا تتدخّل في أمورهم، وتذكّر دائماً أنّ نفسك بحيث تُصبح في هذه الحالة هي أقوى سلاح لك في التعامل مع الناس ويبهرهم بالإنجاز الذي حققته لنفسك.

فإذا بيّن الله عزّ وجلّ لك في هذه الأثناء طريقك والمسير الذي تتمناه ومقصدك وغايتك، فيجب عليك أن تقوم أمامه بكمال الخضوع والخشوع، وعُدّ هذا التوفيق وهذه النعمة العظمى منه».

القيم الأخلاقية والأمور الأكثر عملية في التعليق على الأغنى

على الرغم من وجود عددٍ من الأوطان التي تستحقّ التأمّل والتدقيق جدّاً في هذه العبارات، ولكنّنا نُواجه فيها نقطتين أساسيتين تتدرجان في المسائل تحت مجموعها.

النقطة الأولى: أحبّ للآخرين ما تُحبّ لنفسك، واستقبح لهم ما تستقبحه لنفسك، وقد نستطيع القول: تُعتبر هذه القاعدة، القاعدة الأغنى والأكثر عملية، والحقوق الأكثر شمولية في مجال الأمور الأخلاقية والعلاقات الشخصية في حياة البشر الاجتماعية.

إنّ الالتزام بهذه النقطة في كلا جنبتي النفي والإثبات، يصون الإنسان من العديد الآفات والمصاعب وموانع الترقّي وتصونه من حصول اليأس في مسيرته التكاملية؛ وتُمهّد الأرضية لحركة الإنسان في مجال العلاقات مع الآخرين، ويُوفّر التفاعل المنطقي والأخلاقي بين أفراد المجتمع والبيئة الأسرية وبيئة العمل؛ وتبني المدينة الفاضلة التي تحدّث عنها الفلاسفة والحكماء المشهورون وتوقّعوها للأجيال القادمة، وبعبارةٍ واحدة: إنّ أساس حكومة العدل الإلهي والقاعدة التي يقوم عليها والتي لا يُمكن أن تُقام إلّا باليد القوية لحجّة الله حضرة وليّ العصر أرواحنا فداه، سوف تتمّ تشكيلها على هذا الأصل وهذا القانون.

لقد أدرك اليوم جميع أفراد البشر والمجتمعات المختلفة بأنّ جذر كلّ هذه الآفات والأذيّات والتمرّد والاستقواء والظلم والإجحاف والرياء والتملّق والخداع والحيل بين الحكومات والناس هو عدم مراعاة هذا المبدأ والأصل الهامّ والحياتي.

فطالما أنّنا خارج نطاق السلطة وحدود الحكم والسيادة، فإنّ كيفيّة أفعالنا وخطابنا وتوقّعاتنا ومطالبنا تكون بحيث تجذب جميع العقول وتجلب كلّ إنصافٍ وضمير. فتجدنا ننادي بقوّة عن مراعاة العدل ومحو الظلم وتلبية حقوق الناس، وإبراز الصدق وحُسن النيّة، وعدم كتمان الحقائق ومساعدة المحرومين، بحيث تصل صرخاتنا إلى أسماع الشرق والغرب وتُصمّ آذان الأفلاك والمجرّات.

ولكن بمجرّد أن ندخل إلى حيّز الواقع، وبمجرّد أن ننتقل من موقع الناظر ونستقر في مقرّ دائرة الحكم والقيادة؛ ونُصبح بأنفسنا جزءاً من مجموعة الإدارة والحكم، ننسى جميع تلك الكلمات والأفكار والسلوكيّات مرّةً واحدةً، ونُغيّر اتجاهنا مئة وثمانين درجة مستخدمين جميع أنواع الحيل والخُدع، ومن خلال تفسير العبارات والكلمات، وعبر التبرير والتأويل للتصرّفات، ومن خلال اختيار الروايات والأدلّة، فنقف بالضبط في نفس النقطة والموقف الذي كُنّا ننادي قبل

ذلك ببطلانه وظلمه، ودعوا الجميع إلى مواجهته واللنضال ضدّه، وعبّروا عن براءتهم واشمئزازهم منه؛ وهذا الأسلوب جارٍ وساري لدى جميع الناس من جميع الأصناف والأعمار.

الاهتمام بالنفس وعدم التدخّل في أمور الآخرين

أمّا **النقطة الثانية** والتي لا تقلّ أهميّةً عن النقطة الأولى، فهي أن يهتمّ الإنسان بنفسه وعدم التدخّل في شؤون الآخرين.

وقد ينشأ من ذلك الشبهة التالية: ما معنى ما يقولونه من أنّ الشخص الذي لا يعرف أوضاع الناس المحيطين به، ولا يهتمّ بمشاكلهم ومتاعبهم فهو ليس بمسلمٍ، ولا يُمكن أن نطلق عليه اسم الإنسان، ما معنى ذلك إذن؟ وما هو الموقف تجاه هذه النقطة؟

إنّ النقطة التي اهتمّ بها الإمام عليه السلام وأراد التنبيه عليها هي أنّه على الإنسان أن لا يتدخّل في الأمور التي لا ترتبط بالإنسان، والتي لا مدخليّة لعلمه بها أو جهله بها في تنظيم العلاقات بين الأفراد، بل كثيرًا

مما تؤدّي إلى سوء ظنّ الأشخاص تجاه بعضهم البعض ويكون لها تبعات سيئة، ينبغي عليه أن لا يطّلع على كم المسائل وكيفها ولا أن يستخرج سرّها، ولا أن يطّلع على أسرار الناس الذين لا يرغبون بأن يطلعوا عليها الآخرون.

وأمّا ما يتعلّق بالمواطن التي يكون الاطّلاع فيها رافعاً للمشقّة عن الناس ومبعداً للابتلاءات عنهم، والتي تُحلّ من خلالها عقدهم المُغلقة، فلا إشكال فيه، بل هو ممدوحٌ جداً ولازمٌ وواجب.

إنّ أحد العادات السيئة والقبيحة جدًا هي أن يطّلع الإنسان على أسرار الناس كي يتمكّن في يومٍ من الأيّام من استخدامها لتلبية رغباته النفسانيّة. وهو الفعل الذي تقوم به عادةً الحكومات والدول مع شعوبها وأممها.

چو بد كردى مشو ايمن ز آفات ** كه واجب شد طبيعت را مكافات[1]

[يقول: إذا فعلت السوء فلا تأمن من الآفات، فقد وجب على الطبيعة أن تُكافئك].

***

آنكه عيب دگران پيش تو آورد و مشمر ** لاجرم عيب تو پيش دگران خواهد برد[2]

[يقول: إنّ الذي جاء إليك وذكر لك عيوب الآخرين وعددها، لا جرم أنّه سيُفشي عيوبك للآخرين].

ومن ضمن عادات النفس السيّئة، الاستماع إلى أحاديث الآخرين، مثلًا: يتحدّث شخصان عن عُبد مسافة طبيعيّة

---

[1] **گلستان سعدي**، الباب الأوّل، در عبرت پادشاهان [= في عبرة الملوك].

[2] **گلستان سعدي**، الباب الأوّل، در عبرت پادشاهان [= في عبرة الملوك].

عن شخصٍ آخر، فيسعى ذلك الشخص لمعرفة ما يقوله؛ أو عندما يتّصل شخصٌ بشخصٍ آخر بالهاتف، فيرغب شخصٌ أن يفهم ما يجري بينهما.

وإحدى العادات القبيحة الأخرى متابعة معاملات الأشخاص ومواطن التعامل، مثلًا: اشترى صديقٌ منزلًا أو اشترى جهازًا، فنبدأ سؤاله: بأيّ ثمنٍ اشترى المنزل؟ أو من أين حصل على الجهاز؟ أو كيف يُسدّد قرض منزله؟ في حين أنّه لو نشأت مشكلةٌ لنفس هذا الشخص لاحقًا في هذه المعاملة، مثلًا: أصبح مديناً في الصفقة، أو دخل إلى المستشفى بسبب مرضٍ ما، فإنّنا لا نسأله كيف تريد سداد الدين؟ أو من أين سوف تُؤمّن نفقات المستشفى؟ ولكن بمجرّد ان يُسدّد قرضه أو يُرخّص من المستشفى، نسأله كيف دفعت النفقات؟

وأحد الآثار المُدمّرة لهذه العادة السيّئة، هي خلق الخيال واللوهم الخاطيء لدى نفس الآدمي بحيث يُؤدّي هذا الأمر إلى خلق وتخزين الأمور الجزئيّة والتوهّمات في النفس؛ فتبقى نفس الإنسان محصورةً في مرتبة

ن الجزئيّة وموحّدة فيها، وهي التي يجب أن تعبر م
أجل التقرّي والتعالي عن الجزئيّات وأن تتصل
بالكليّات. وهذا هو أخطر عقبةٍ أمام السالك في طريق
الله، حيث يُقوّض ذلك التوقيت الوحدة فيه، وتستعد بدلًا من
ذلك على تشديد الكثرة واستقرارها.

«واعلَمْ أنَّ أمامَكَ طَريقًا ذَا مَسافَةٍ بَعيدَةٍ ومَشَقَّةٍ شَديدَةٍ، وأنَّهُ لا غِنَى لَكَ فيهِ عَن حُسنِ الِارتِيادِ، وقَدْرِ بَلاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهرِ؛ فَلا تَحمِلَنَّ عَلَى ظَهرِكَ فَوقَ طاقَتِكَ، فَيَكونَ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبالًا عَلَيكَ، وإذا وَجَدتَ مِن أهلِ الفاقَةِ مَن يَحمِلُ لَكَ زادَكَ إلَى يَومِ القِيامَةِ ـ فَيُوافيكَ بِهِ غَدًا حَيثُ تَحتاجُ إلَيهِ ـ فَاغْتَنِمهُ وحَمِّلهُ إيّاهُ، وأكثِرْ مِن تَزْويدِهِ وأنتَ قادِرٌ عَلَيهِ؛ فَلَعَلَّكَ تَطلُبُهُ فَلا تَجِدُهُ، واغتَنِمْ مَنِ استَقرَضَكَ في حالِ غِناكَ، لِيَجعَلَ قَضاءَهُ لَكَ في يَومِ عُسرَتِكَ».

يعني: «واعلم أنّه لا يزال أمامك طريقٌ طويلٌ جدًا، وأن المطبات والعوائق الموجودة فيه تكسر الظهر وأن صعبةٌ للغاية ومشكلةٌ جدًا، وليس لديك خيار سوى السير في هذا الطريق بالمنهج الأحسن والاختيار المنطقي، ويُمكنك الاستمرار في السير في هذا الطريق بمقدار ما تحملَ معك من الزاد، وبالمقدار الذي يحتمله ظهرك وتكفيك، حتّى لا يكون عليك مشقّة وصعوبة في

مما ركأ ثرك ظهر يفتكي على أبدًا عضت لا ذلك؛ ولو حملك

تستطيع، حتّى لا تضعف قوّتك تمنعك من الحركة!

وإذا وجدت أحد الفقراء والمحتاجين يستطيع أن

يحمل عنك حملك، ويُعيده إليك يوم القيامة عندما تكون

في أمسّ الحاجة إليه، فاغتنمه واترك حملك عنده،

ولا تدّخر جهدًا في ذلك؛ فقد تتمكن من العثور عليه في اليوم الذي تحتاج إليه. (إنّ

مساعدة المحتاجين وقضاء حاجات المؤمنين تُثقل موازين

الحسنات يوم القيامة، وهي من أهمّ الأعمال التي يُكفّر بها

الإنسان عن بعض ذنوبه يوم القيامة)

واغتنم الإقراض إلى المحتاجين حينما يُغنيك الله وحينما لا تكون بحاجةٍ، كي يردّوا لك دينك في يوم الآخر حينما تكون في مضيقةٍ شديدةٍ، وتحتاج إلى ذلك المال أيّما حاجة، ويُخلّصوك من بلواك».

هذه وصيّة أبٍ فقيرٍ لابنه كلّ ما يُتمنّى أن يجده في

الأغنياء؛ لا تلك الوصايا المملوءة بالنصائح التي لا

أنّ البنان الطويل والبضاعة المزجاة التي لدى الحقير هي أحسنُ عذرٍ أمام أرباب المعرفة؛ لذلك سأشير فقط إلى النقاط التي يُمكن أن تلعب دورًا حيويًّا خاصةً لدى أهل العلم.

يقول الإمام عليه السلام في هذه الفقرات: يوجد أمامنا طريقٌ صعبٌ للغاية، وهو مسير بعيدٌ للغاية، وكلّما كانت أكتافنا ظهورنا فارغة أكثر من الحمل وكلّما كانت حركتنا وسرعتنا في طيّ هذا الفضاء الإلهي أسهل وأسرع. لذلك علينا أن لا نزيد من أعباء المسير على أكتافنا بلا داعٍ ولا نفقد قوّتنا، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول:

1. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

وكما يقول المعصوم عليه السلام:

2. «النَّاسُ فِي سَعَةٍ مَا لَمْ يَعْلَمُوا»

يعني: «طالما لم يحصل علمٌ لدى الناس ولا يقين بالتكليف، فليس عليهم حملٌ ولا دليل على قيامهم بأمورٍ غير معلومةٍ».

---

1. سورة البقرة (٢): الآية ٢٨٦.

2. عوالي اللآلي، ج ١، ص ٤٢٤، عن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ويجب الالتفات إلى أنّ قبول مسؤوليّة أثقال الناس والتعهّد بتكاليفهم وأحكامهم يتطلّب سعةً واسعةً جدًا وقدرةً أكبر من القدرة البشريّة، لا ينبغي أن نتصوّر أنّ هذا الارتباط يتحقّق فقط بمجرّد عرض الحكم على مبنى التشخيص والاستنباط الشخصي؛ بل إنّ الإعلان العمومي لرجوع المقلّدين لي، يعني: ضمان سعادة المقلّدين في الدارين، والفلاح الأبدي للمقلِّد. ذلك الفلاح الذي تكون نهايته الوصول إلى مراتب التجرّد والتوحيد وحقّ المعرفة في مرتبة العبوديّة المطلقة. الآن يجب أن ننتبه إلى أنّ الشخص الذي ينال هذه المرتبة، كيف يُمكنه وكيف سيكون قادرًا على أن يكون موصلًا للإنسان الذي يُقلّده؟! وبعبارةٍ أخرى:

دوشه ازهستی بخش ** کی تواند که ذات نایافته از هستی بخش[1]

[يقول: إنّ الذات التي تفتقر إلى الوجود، متى يُمكنها أن تمنح الوجود للآخرين (فاقد الشيء لا يُعطيه)].

والآن لو أنّ مقلّدي هذا الشخص أوقفوه يوم القيامة وقالوا له: نحن كنّا مستعدين للتحرّك والسير إلى الله، ولو كانت فتواك وحكمك بكيفيّة أخرى، لكنّا قبلناها بالتأكيد بقلبنا وروحنا، ولتحرّكنا نحو المقصد الأعلى وبذلنا نقاط استعدادنا إلى فعليّةٍ، فلماذا حرمتنا أنتَ من الوصول إلى هذه النعمة العظمى؟ ولماذا منعتنا من هذه الفعليّة التامّة من خلال الفتاوى غير المتجانسة وغير المتوازنة التي أدّت إلى ابتعادنا عن الهدف والغاية من الحياة؟ فما هو الجواب الذي يمكن أن يمتلكه؟ لا شيء![2]

---

1. هفت اورنگ جامي، سبحة الأبرار، القسم ٥.

2 يُمكن أن يُطرح السؤال التالي هنا: إنّنا نواجه فتاوى مختلفة بين أهل المعرفة، فأين الفرق إذن؟ إنّ الجواب المفصل على هذا السؤال وتوضيح ذلك سيرد إن شاء الله في الكتاب النفيس الاجتهاد والتقليد وهو أحد آثار الوالد المرحوم العلّامة ـ رضوان الله عليه ـ مع تعليقات هذا الحقير [نجدر الإشارة إلى أنّ الكتاب المذكور طُبع وعُرّب تحت اسم "الدرّ النضيد في الاجتهاد

لذلك كان أعظم أهل العلم والمعرفة والعلماء بالله والعارفاء بالله يتجنّبون بتاتاً مرتبة المرجعيّة؛ لأنّها مقام إصدار الفتوى بشدّة وبما للكلمة من معنى العامّة، ولم يجيزوا ذلك إلّا لخواصّ أصحابهم وتلامذتهم، وكانوا يُحذّرون الآخرين من ذلك بشدّة أيضاً.

قصّة مرجعيّة المرحوم العلّامة آية الله العظمى حجّة الله الأكبر العارف الكامل والسالك الواصل المرحوم الحاجّ السيّد أحمد الكربلائي، التي ذكرها سماحة الولد ـ أدام الله علينا من أنوار أنفاسه القدسيّة ـ بنحوٍ مفصّلٍ في كتابه الشريف **«توحيد علمي وعيني»**[1] [= **التوحيد العلمي والعيني**]، تُبيّن لنا هذا المعنى بشكلٍ جليٍّ؛ فأصبحت هذه القصّة عبرةً لنا تمامًا وتحقيقًا بكلّ كلمةٍ كلمةٍ فيها، وعلينا أن نضبطها في مقام العمل.

[هذا ولكنّنا نُنبّه على أنّ ما ذكرناه في المتن حول "المرجعيّة والتقليد" وما ذكرناه في ص ٦٥] إلى أنّ الاختلاف في فتوى أحد المراجع الدينيّين الإلهيّين والعارفين بالله جائز، بل يرجع بالتأكيد إلى دخول بعض المصالح والأمور التي قد تكون مخفيّة على الكاملين، ولا يكون لها أيّ تأثيرٍ على عمليّة تقرّب الإنسان أبدًا، على العكس من ذلك تمامًا، فقد يكون الاختلاف في الفتوى أحيانًا سببًا في الوقوع في الهلكة والخسران الذي لا يُمكن تداركه.

1. توحيد علمي وعيني (فارسي)، ص ٢٣.

وبالإضافة إلى النقطة المذكورة، فإنّ المسألة الأكثر حساسيّةً والأكثر أهميّةً وخطورةً أكثر بكثير من التصدّي لمقام الإفتاء، هي مسألة قبول مسؤوليّة التربية والتزكية والأخذ بأيدي الأفراد كأستاذ ومربّي خبير وبصير وسالك قطع الطريق ووجد الطريق، وهو للأسف في هذا الزمان بالخصوص ما نجده تحت كلّ غصنٍ كالأشواك وفي قلب كل حجر وكتلة كالفطر، يسعون بنشاطٍ إلى اصطياد القلوب الساذجة والعقول البسيطة والأفكار الخام، ويدعونهم إلى أنفسهم، ويعتبرون أنفسهم الأعلم والأعلى والأعظم، وأمّا البقيّة فيُبرزونهم على أنّهم منحرفون ومكرون ومضللون. ويسيئون استغلال جهل الناس وعدم اطّلاعهم من أجل ازدهار سوقهم ودنياهم. فهذه المجموعة من الأشخاص، هم بالتأكيد من المصاديق البارزة والمقصود بالشخص في كلام الإمام عليه السلام:

«واعلم أنّ أمامك وادٍ ومنحدرٍ مهيبٌ ومُهلكٌ، والشخص الذي يكون حمله خفيفًا في هذه العقبة وفي هذا الوادي، فإنّه يكون أفضل حالاً من الشخص الذي يحمل حملًا ثقيلًا، والشخص الذي يطوي هذه العقبة ببطءٍ، فإنّ حاله أقبح من الشخص الذي يعبرها بسرعةٍ، ومنزلك بعد هذه العقبة وهذا الوادي المُريع، هو إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى جهنّم؛ لذا هيئ لنفسك دليلًا ومرشدًا للطريق قبل نزولك، وقم بإعداد مكانك قبل النزول؛ لأنّه بعد الموت لن يعود هناك شيءٌ يرفع اللوم عنك، ولن يكون هناك من عودةٍ إلى الدنيا».

«واعلَمْ أنَّ الَّذي بِيَدِهِ خَزائِنُ السَّماواتِ والأرضِ، قَد
أذِنَ لَكَ في الدُّعاءِ، وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإجابَةِ، وأمَرَكَ أن تَسأَلَهُ
لِيُعطِيَكَ، وتَستَرحِمَهُ لِيَرحَمَكَ، ولَم يَجعَلْ بَينَكَ وبَينَهُ مَن
يَحجُبُهُ عَنكَ، ولَم يُلجِئْكَ إلى مَن يَشفَعُ لَكَ إلَيهِ، ولَم يَمنَعْكَ
إن أسأَتَ مِنَ التَّوبَةِ، ولَم يُعاجِلْكَ بِالنِّقمَةِ، ولَم يُشَدِّدْ
عَلَيكَ في قَبولِ الإنابَةِ، ولَم يُقايِسْكَ بِالجَريرَةِ، ولَم
يُؤيِسْكَ مِنَ الرَّحمَةِ، بَل جَعَلَ نُزوعَكَ عَنِ الذَّنبِ حَسَنَةً،
وحَسَبَ سَيِّئَتَكَ واحِدَةً، وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشرًا، وفَتَحَ لَكَ
بابَ التَّوبَةِ وبابَ الاستِعتابِ،

فَإذا نادَيتَهُ سَمِعَ نِداءَكَ، وإذا ناجَيتَهُ عَلِمَ نَجواكَ،
فَأفضَيتَ إلَيهِ بِحاجَتِكَ، وأبثَثتَهُ ذاتَ نَفسِكَ، وشَكَوتَ إلَيهِ
هُمومَكَ، واستَكشَفتَهُ كُروبَكَ، واستَعتَدتَهُ عَلى أُمورِكَ،
وسألتَهُ مِن خَزائِنِ رَحمَتِهِ ما لا يَقدِرُ عَلى إعطائِهِ غَيرُهُ،
مِن زِيادَةِ الأعمارِ، وصِحَّةِ الأبدانِ، وسَعَةِ الأرزاقِ، ثُمَّ
جَعَلَ في يَدَيكَ مَفاتيحَ خَزائِنِهِ بِما أذِنَ لَكَ فيهِ مِن
مَسأَلَتِهِ؛ فَمَتَى شِئتَ استَفتَحتَ بِالدُّعاءِ أبوابَ نِعمَتِهِ،

واستمطر شآبيب رحمته؛ فلا يقنطنك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية؛ وربما أخرت عنك الإجابة، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل؛ ورب ما سألت الشيء فلا تؤتاه، وأوتيت خيرًا منه عاجلًا أو آجلًا، أو صرف عنك لما هو خير لك؛ فلرب أمرٍ قد طلبته فيه هلاكُ دينك لو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جمالُه، ويُنفى عنك وبالُه، والمال [لا] يبقى لك ولا تبقى له».

يعني: «واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض، قد أجاز لك أن تدعوه في جميع أمورك، وتعهد لك بالإجابة، وقد أمرك أن تطلب منه لكي يعطيك ويعتني بك، وأن تطلب منه الرحمة واللطف ليحيطك برحمته ورأفته، ولم يجعل بينك وبينه شخصًا يكون واسطةً وحاجبًا وبوّابًا بحيث يتعامل معك كما تقتضي سليقته، [فيأخذك في بعض الأوقات إلى محضر الله، ويمنعك في بعض الأوقات]؛ ولم يحلك إلى شخصٍ بحيث يشفع لك عند الله، ولم يمنعك من التوبة والرجوع

إليه بعد ارتكاب المعاصي والأمور الخاطئة، ولم يُعجّل في عقابك وجزائك، ولم يفضحك أمام الناس في الأوطان التي كنت تستحق فيها الافتضاح، ولم يُشدّد عليك في قبول الإنابة والابتهال والرجوع إلى عتبته، ولم يُثقل كفة جريمة عملك الخاطئ، ولم يجعلك تيأس من رحمته.

وبدلاً من ذلك، جعل ثوابًا وحسنةً على ابتعادك عن الذنب، وحسب معصيتك معصيةً واحدةً، وجعل حسنتك عشرة أضعاف، وفتح لك باب التوبة، وترك لك الطريق للوصول إلى ما ضاع مفتوحًا.

فكلّما ناديته سمع ندائك، وكلّما ناجيته وثقت به همّك علم بنجواك، ولذلك أخبرته بحاجتك ووجهت له ذات نفسك بجميع شرارش وجودك، وشكوت له همومك، وتوجهت إليه لحل مشاكلك، واستعنتَ به لإنجاز أمورك، وطلبت من خزائن رحمته أشياء لا يمكن أن تُعطيها ذاتٌ أخرى غيره من الزيادة في العمر والسلامة في الجسم والسعة في الرزق. ثم وضع الله مفاتيح خزائنه بين يديك؛ لأنه سمح لك أن تسأله وأن تعرض أمامه حاجتك.

فيُمكنك في أيّ وقتٍ أردت أن تفتح أبواب النعم الإلهيّة لنفسك بواسطة الدعاء، وأن تُنزل أمطار رحمته إليك؛ لذلك إيّاك أن تيأس من تأخير إجابة الدعاء؛ لأن العطاء والإغداق يعتمد على نيّة المرء، إذا كانت نيّتك

{أيا عوامه الله عاطاه نوكيفوسف، ةيلاعك تياغو
يعادلا رجأ حبصي تحاعدلل ةباجلإا رخأتتام اريثكو
.رفوأو لزجأ لملآا عاطعلا حبصُيو، ربكأ هباوثو

وكثيرًا ما تطلب من الله طلبًا ولكنّ لا يُعطيك إيّاه، لكنّه في المقابل يمنحك ما هو أفضل منه في المستقبل القريب أو البعيد. أو أنه لم يقبل هذا الدعاء من الأساس؛ لأن المصلحة الأهم تقتضي شيئًا آخر لك؛ إذ كثيرًا ما يكون مطلوبك موجبًا لهلاكك وإلى إزالة دينك وإيمانك، فإذن يجب أن يكون طلبك وحاجتك في الأمور التي تبقى جميلةً ومفيدةً لك، ولا تسبب لك أي مشاكل؛ فإنّ المال ومتاع الدنيا لن يبقى لك، ولن تبقى أنت له».[1]

توملا ىلإو ةرخلآا ىلإ تافتلالاب ملاسلا هيلع نينمؤملا ريمأ ةيصو

«واعلَمْ أَنّك إنّما خُلِقتَ لِلآخِرَةِ لا لِلدُّنيا، ولِلفَناءِ لا لِلبَقاءِ، ولِلمَوتِ لا لِلحَياةِ، وأنَّك في مَنزِلِ قُلعَةٍ، ودارِ

---

[1] راونأ[«توكلمراونأ» باتكي فـ هيلع الله نوضر ـ دلاولا موحرملا بتكدقل لعو، تباجتسا ةيفيكو عادلا لوحلًا ماكلًا صفـ، ٢١٣ص، ٢ج ،[توكلملا ةّخوتين أعوضوملل حيضوتلا نمٍيزمب غرين مىلع اذلو؛ ةباجلإا مدع هذاك.

بُلغَةٍ، وطَريقٍ إلَى الْآخِرَةِ، وأَنَّك طَريدُ المَوتِ الّذي لا يَنجو مِنهُ هارِبُهُ، ولا يَفوتُهُ طالِبُهُ، ولابُدَّ أنّهُ مُدرِكُهُ؛ فَكنْ مِنهُ عَلَى حَذَرِ أن يُدرِكَكَ وأنتَ عَلَى حالٍ سَيِّئَةٍ، قَد كنتَ تُحَدِّثُ نَفسَكَ مِنها بِالتّوبَةِ، فَيَحولَ بَينَكَ وبَينَ ذَلِكَ فَإذا أنتَ قَد أَهلَكتَ نَفسَك».

«واعلم أنّك خلقت من أجل الآخرة وليس من أجل الدنيا، وأنّك خلقت للزوال والفناء، وليس من أجل الدنيا الدنيّة، وأنّك جئت إلى هذه الدنيا من أجل الحياة الأبديّة، وأنّك واقعٌ في الموت، وليس من أجل الحياة الدنيويّة، وأنّك مزعزِلٌ عن مكانٍ مستقرٍّ إلى مكانٍ غير مسير فيه حتّى تستريح في منزل الآخرة، وأنّك لا بدّ أن تموت عن كلّ ما تحبّ وأنّك مسلوبٌ لا محالة، فمن الجنان الدائمة أو من النار الحامية، وأنّك لا بدّ أن تلقى ملك الموت الذي وُكّل بقبض نفسك.

فعليك أن تنتبه! فلا يجدنّك الموت وأنت لست في حالةٍ جيّدةٍ ووضعٍ مناسب للذهاب، وأنتَ تُحدّث نفسك دائمًا بأنّك ستعود إلى الله وتتوب عن تصرّفاتك الخاطئة، فإذا بالموت قد فاجأك ومنعك من التوفيق للتوبة والإنابة إلى عتبة الله، ويأخذك إلى منزل الآخرة، فإنّه في هذا الوقت لن يعود للتوبة أثرٌ، فتكون قد ختمت بختم الهلاك والبوار على نفسك».

«أيْ بُنَيَّ! أكثِرْ مِن ذِكرِ المَوتِ، وذِكرِ ما تَهجُمُ عَلَيهِ، وتُفضِي بَعدَ المَوتِ إلَيهِ، حتّى يأتِيَكَ وقَد أخَذتَ مِنهُ حِذرَكَ، وشَدَدتَ لَهُ أزرَكَ، ولا يأتِيَكَ بَغتَةً فَيَبهَرَكَ.

وإيّاكَ أن تَغتَرَّ بِما تَرَى مِن إخلادِ أهلِ الدُّنيا إلَيها، وتَكالُبِهِم عَلَيها! فَقَد نَبَّأَكَ اللهُ عَنها، ونَعَتْ [نَعَتَ] لَكَ نَفسَها! وتَكَشَّفَتْ [تَكَشَّفَتْ] لَكَ عَن مَساوِيها؛ فَإنَّما أهلُها كِلابٌ عاوِيَةٌ، وسِباعٌ ضارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعضُها بَعضاً، ويَأكُلُ عَزيزُها ذَليلَها، ويَقهَرُ كَبيرُها صَغيرَها، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وأُخرَى مُهمَلَةٌ، قَد أضَلَّت عُقولَها، وركِبَت مَجهولَها، سُروحُ عاهَةٍ بِوادٍ وَعثٍ، لَيسَ لَها رَاعٍ يُقيمُها، ولا مُسيمٌ يُسيمُها، سَلَكَت بِهِمُ الدُّنيا طَريقَ المَعَى، وأخَذَت بِأبصارِهِم عَن مَنارِ الهُدَى، فَتاهوا في حَيرَتِها، وغَرِقوا في نِعَمَتِها، واتَّخَذوها رَبّاً، فَلَعِبَت بِهِم ولَعِبوا بِها، ونَسوا ما وَراءَها.

رُوَيدًا يُسفِرُ الظَّلامُ، كَأن قَد وَرَدَتِ الأظعانُ، يوشِكُ مَن أسرَعَ أن يَلحَقَ!».

يعني: يا بُنيّ! تذكّر الموت كثيرًا، وتذكّر الأحداث التي تندفع إليها مسرعًا بعد الموت والتي سوف تذهب إليها، حتّى تكون مُستعدًّا لهذه الأحداث بسبب هذا التذكّر وهذه المراقبة، ولكي تحصّل الاستعداد والقابليّة للتعامل معها، وتكتسب القوّة والأزر لمواجهة الوقائع والأحداث اللاحقة. ولكي لا تقضي وقتك هكذا وأنتَ غافل عن الموت فيفاجئك مرّةً واحدةً، ويتغلّب عليك وأنت في حالةٍ من الإهمال والحيرة، في الوقت الذي لا تزال غير مستعدٍّ للانتقال من هذا المنزل إلى منزل الآخرة.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الدنيا وأهلها

وإيّاك أن تنخدع بما يحبه أهل الدنيا! (وتُبتلى أنت أيضًا بمصير جهلهم وغفلتهم! وتصوّر أنّ العيش الامتناهي وأنّ الحياة أبديّةٌ في هذه الدنيا سيقودك إلى الغفلة والحيرة والانحراف). فخذ العبرة من تهاجم أهل الدنيا على المتاع الدنيوي والرغبات الشهوانية وتكالبهم عليها، ولا تخطو في نفس طريقهم ومسيرهم!

لأنَّ الله قد وصّف لك الدنيا وزخارفها وبيّنها، كما أنّ الدنيا نفسها أبدت لك حقيقتها وواقعيتها بوضوح (وأنتَ مطلعٌ تماماً على ما يجري في هذه الدنيا وما ينشغل به النّاس، ويمضون أيّامهم به) وقد أصبحت الأمور غير المرغوبة والمرعوبة والقبيحة شيئاً معتاداً ومتعارفاً عليه في هذه الدنيا على الملأ.

فاعلم أنَّ أهل الدنيا كالكلاب المسعورة التي تهجم على بعضها، وكالحيوانات المفترسة والضارية التي تهجم على بعضها البعض وتؤذيها، فيأكل القويّ منها الضعيف، ولا يرحم الكبير منها الصغير.

فتبقى النّاس كالأنعام بحيث تتعلّق مجموعة منها بحظيرتهم، وأخرى مشغولةٌ بالرعي، وقد دُمّرت عقولهم وضلّت (ففقدوا القدرة على التمييز بين الصالح والطالح، وبين المصلحة والمفسدة)؛ وقد أقاموا أمورهم على أساس الأوهام والتخيّلات والجهل. وتنتقل أهل الدنيا على مراكبها العاهة في وادٍ مليءٍ بالصعاب عليها

عبوره. ولا يوجد دليل أو مُرشدٌ لهذه القافلة والماشية،
ولا يوجد راعٍ وصاحب زمام يأخذها إلى المراعي.

سلكت بهم الديناصورات في طريقِ الظلام وفي
سبيل المعمى، حرمت أعينهم من فيض الضوء وإشراق
منارة الهداية، فمشوا في هذه الصحراء وهم تائهين
وحائرين واندفعوا إلى الضلالة في وادي الظلمة،
وغرقوا في نعم الديناصورات العابرة، وجعلوها معبودهم
الرئاسات، وتجميع الثروة، والسعي وراء الشهوات
والإسراف...) فلعبت بهم الديناصورات ولعبوا هم بالديناصورات، ونسوا
ما ينتظرهم بعد الديناصورات وبعد حياتهم في هذا المنزل.

ولكن لن يمضيَ وقتٌ طويلٌ قبل أن يُرفع حجاب الجهل والظلام (بواسطة الموت)، وسيُدخل الناس إلى منازلهم مثل الهودج الذي يُوصله أصحابه إلى منزله، وسيطّلعون على مقامهم مثل شخصٍ مُسرعٍ يأمل في الوصول إلى منزله ومأواه!».

المنزل الحقيقي للروح والبدن والجسم والنفس الأبديّة

لقد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفقرات، المنزل الحقيقي لروح الإنسان وبدنه وجسمه ونفسه، وأوضح موقعيّة كلّ واحدٍ منها في عالم الخلقة والحياة الدنيويّة.

بما أنَّ الناس العوام لم يُعملوا عقلهم ودرايتهم لتشخيص الصلاح والفساد، وصرفوا إدراكهم وبصيرتهم في المتع الدنيويّة وقضاء العمر، لذا بالطبع سيستقبلون كلّ ما يرغبهم بالاستفادة من اللذائذ والشهوات وما يجذب النفس وسيمضون نحوها قدمًا، وسوف يكون كلّ همّهم وغمّهم هو الوصول إلى هذا الهدف وتلك الغاية؛ وبالتأكيد لن يكون لديهم علمٌ عن

وسائط ووسائل ربط الروح الإنسانيّة بعوالم الغيب، وفي حال اطلعوا ولو بقدر يسير فلن يستقبلوا الأمر. وسيتعاملون معها بإهمال وتسامح وعدم اهتمام على الدوام، وسيبتعدون بأنفسهم عن تواصلٍ وتماسٍ معتلك الوسائط وسينشغلون في مجالسهم ومحافلهم بالكلام واﻷمور الدنيويّة دائمًا، وإذا أراد شخصٌ الابتعاد عن هذه المجموعة وأن يسوق الجلسة نحو اﻷمور المعنويّة واﻷخرويّة فسيقابل بعدم الاهتمام، وكثيرًا ما سيواجه بالاعتراض من قبلهم.

إلّا أنّه على العكس منهم، فقد قيّم أهل الدراية واللطنة منزلة روحهم ونفسيتهم بشكلٍ جيّدٍ، واعتقدوا أنَّ النزول إلى هذه الدنيا يُمثّل معبرًا وجسرًا فقط نحو منزل اﻷبديّة، ولم يجعلوا موطن الدنيا منزلًا لهم، بل استفادوا منها من أجل الاستعداد للوفود إلى اﻷخرة.

إنّهم يبذلون أقصى جهدٍ ومع كامل الحساسيّة في اﻷمور التي تقود أرواحهم وأنفسهم نحو عوالم الغيب واﻹنجرّد والغفران؛ ويستغلّون كلّ فرصةٍ لتنمية

ٍليلة سوي أبي يتشبثون ،الآخرة منزل إلى الطريق
،هاجتالا اذه في مهدتساون مهدعاسُتنّهأ لٍتحُيةطساوو
.مهيدأي نولعجي لاو ةٍضيفرصةٍضيفرصةٍضيفرص

تُون لها التي بكلماتهم وأحاديثهم تعبق مجالسهم
الأخرى وراءه، تجعل الإنسان شاملًا
العوالم وراءه الحقيقة العالم الغيب،
ومسرورًا بالنفحات والروائح
ويبتعدون عن الحديث في المسائل الدينية ولا يعتنون
بالتغيّرات والأحداث اليومية، يرفضون الدنايا
ويطردونها في كلّ مرتبةٍ وفي أيّ مكانٍ، ولا يخضعون
لأيّ قالبٍ أو مظهرٍ حتّى لو كان له صبغةٌ أو قناعٌ دينيٌّ.
فلا يخدعهم مكر المُخادعين وخداع الشياطين ووسوسة
الناس قصيري النظر ولا الشعارات ولا إقبال المقبلين
ولا يحرفهم عن مسير الحقّ والمباني المتقنة؛ ينظرون
بخيريةٍ إلى ما يفعله الآخرون في كل فئةٍ وجماعةٍ
ويبذلون أرواحهم في سبيله.

نعم، هؤلاء هم الفطنون في العالم المحترق
والأذكياء من أصحاب الأرواح الزاهرة، الذين [اهتمّوا
بما] قاله سيّد الكائنات وعصارة الممكنات الرسول
الأكرم صلى الله عليه وآله وسلّم حيث قال:

«كم هم كثيرون الصائمون الذين لا يستفيدون من صيامهم إلا الجوع والعطش، وكم هم الذين يحيون الليالي ولا يستفيدون من إحياء الليل إلّا تعب العين والجسد؛ طوبى للأذكياء والحصيفين وأصحاب العقل والدراية الذين وجدوا مسير حياتهم بأحسن وجه، وميّزوا الصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة والحقيقة من المجاز! فقد تجاوز هؤلاء في نومهم وطعامهم الآخرين الذين قضوا أيّامهم بإحياء الليل والصيام، واقتربوا من مقصدهم ومقصودهم».

---

[1] ـ [تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الحديث الشريف رُوي في مسند أحمد، ج ٢، ص ٤٤١، مع قدرٍ من الاختلاف عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ ولكنّه مرويٌّ في معاجم الشيعة الروائيّة الأخرى (عدة الداعي، ج ٤، ص ١٧١، نقلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام).]

تسرم کهصفرهای ذبذ رور دربانخزاب تساوخ ن

حلال شیخ آز حرام ما[1]

[يقول: إنّني أخاف أن لا يربح في يوم الحساب خبز الشيخ الحلال على مُسكرنا الحرام].

[1] ٤. لغز لزغلان، مطبعة مزين، **ظفادن اوید**.

يُنبّهنا أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفقرات إلى نهجه في هذه الدنيا والمقصود من وفودنا إلى هذه الدار هو العبرة؛ ويُحذرنا من أن نستبدل الحق بالباطل والحقيقة بالاعتبار، والأصل بالفرع، كما يُحذّرنا من أن ينصبّ اهتمامنا على الدنيا بدلًا من الآخرة! فتصبح أعمارنا فارغة من المعنى، ولا نحصل على نتيجةٍ من الوجود سوى البوار والبؤس والخسران.

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بقصر الآمال والأماني

«واعلَم [يا بُنَيَّ!] أنّ مَن كانَت مَطِيَّتُهُ اللّيلَ والنّهارَ، فَإنّهُ يُسارُ بِهِ وإن كانَ واقِفًا، ويقطَعُ المَسافَةَ وإن كانَ مُقيمًا وادِعًا.

واعلَمْ يَقينًا أَنَّكَ لَن تَبلُغَ أمَلَكَ، ولَن تَعدُوَ أجَلَكَ، وأنَّكَ في سَبيلِ مَن كانَ قَبلَكَ؛ فَخَفِّضْ في الطَّلَبِ، وأجمِلْ في المُكتَسَبِ، فَإنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَد جَرَّ إلَى حَرَبٍ؛ فَلَيسَ كُلُّ طالِبٍ بِمَرزوقٍ، ولا كُلُّ مُجمِلٍ بِمَحرومٍ. وأكرِمْ نَفسَكَ عَن كُلِّ دَنِيَّةٍ وإن ساقَتْكَ إلَى الرَّغائِبِ، فَإنَّكَ لَن تَعتاضَ بِما تَبذُلُ مِن نَفسِكَ عِوَضًا. ولَا تَكُنْ عَبدَ

غَيرِك قَد جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا. وما خَيرُ خَيرٍ لا يُنالُ إلّا بِشَرٍّ، ويُسرٍ لا يُنالُ إلّا بِعُسرٍ».

واعلم يا بُنيّ! إنّ الشخص الذي يكون مركبه دوران الليل والنهار -سواء أراد ذلك أم لم يُرده- سوف يتحرّك إلى الأمام مع تقدّم الليل والنهار حتّى لو لم يكن يتحرّك بنفسه، وسيطوي مسافة الحياة حتّى لو كان يستريح في منزله ومكانه.

واعلم على وجه اليقين أنّك لن تحقّق آمالك أبدًا، وأنّك لن تتجاوز أجلك، وأنّك سوف تسير على نفس الطريق الذي سار عليه أسلافك.

لذا لا تلجّ ولا تُلحّ في مطالبك ورغباتك، وتصرّف باعتدالٍ وبنحوٍ حسنٍ في أمورك؛ لأنّ بعض الآمال والرغبات غير المعقولة والبعيدة عن التوقّع قد تسبب لك الحرمان وفقدان الفرص وخسارة الأموال؛ فلن يحصل كل طالب على ما يريده، ولن يُحرم كل من أجمل في الطلب.

لفلٍ سيّء أي اكتئاب عن الامتناع بالامتناع نفسك أكرم وأ

ذلك لك أصو ولو حتّى، وشرفه الإنسان شأن عن بعيدٍ أو

الديونيّة والغنائم والنعيم الفاسل الأمر

الكبيرة؛ الأذكياء من ليس أنّك دائرًا أبدًا الوصول على

نقص الجبر أن عليك هذه الخسارة، ولا أن يُمكن

فقدته من شرفتك الإنسانيّة وانتهكته من طبعك

وكرامتك الحيثيّة تلك لك يُعيد ولن وطبيعتك

فقدتها.

ولا تكن عبدًا لغيرك أبداً وقد خلقك الله حُرّاً؛ وليس الأمر بحيث يجب أن يتحقّق للإنسان كلّ غرضٍ جيّد ومأمولٍ قيّمٍ من خلال المقدّمات القبيحة والسافلة، ولا تظنّن أنّه يجب على المرء تذوق الطعم المرّ من المشقة والتعب في كلّ راحةٍ وسعةٍ. (لا تكن صعبًا في أمورك، ولا تلجأ لأيّ شخصٍ مهما كان لتحقيق رغباتك، واترك الأمور والقضايا تسير بسلاسة وسهولة)».

لقد أشار المؤمنين عليه السلام في هذه الفقرات إلى مجموعةٍ من النقاط القيّمة والتي تستحقّ التأمّل أكثر.

النقطة الأولى: مقدار استطاعة الإنسان وقدرته ومقدار رغباته، وما يحقّق آماله في الحياة التي لديه، ومقدار استطاعة البشر وقدرتهم في تحقيق آمالهم.

لا شكّ أنّ بالنظر إلى الصفات والملكات والغرائز التي أودعها الله تعالى في جهاز وكيان الإنسان، لا يمكن لأحدٍ أن يحدّد ما يتعلّق بالوصول إلى معرفة الإنسان وإشباع رغباته؛ وهو في حربٍ

مستمرّة خلال سعيه وراء الملذات والأطايب، مع الموانع الخارجيّة والباطنيّة، وهو لا يكتفي بمرحلةٍ واحدةٍ ولا بموقفٍ واحدٍ فقط.

فبالطبع لكي يبقى الإنسان مصونًا من البرد والحرارة والأخطار، لا خيار لديه سوى بناء مسكنٍ وإيجاد مأوى له؛ ولا يلومه العقل أو العرف من هذه الجهة إذا أراد تحقيق هذه الرغبة المشروعة، ولكنّه عندما يعمل على تحقيق هذه الرغبة، فإنه يتجاوز حدودها؛ ولو أنّه يمتلك القوة والقدرة على تحقيق رغباته، فلنيكونهناكمنيُوقفهذه الرغبات، إنّه يُريد التعدّي على مساكن الآخرين والاستيلاء على أي مأوىًيراه مثيرًا للاهتمام أو جذّابًا.

ومن أجل إقناع الغرائز والحفاظ على النسل، يرى نفسه محتاجًا لتأسيس أسرةٍ واختيار زوجةٍ، ولكنّه عندما يستمرّ في هذا الطريق، ينظر إلى كلّ امرأة جميلةٍ وذات إمكاناتٍ بعين الطمع؛ وتُفكّر المرأة أيضًا بمصاحبة أيّ رجلٍ يُعجبها بصفاتٍ مختلفةٍ؛ وإذا تمّ

توفير الآلاف للإنسان، فستتحول عين الجشع مرّة أخرى إلى الأفق المجهول، وسيحتمل في خياله ووهمه إمكانيّة وجود موردٍ أفضل.

كما أنّه لا يعرف أحدًا بالنسبة لتجميع الثروة والتفوّق في السلطة والشهرة والشعبيّة وتكوين المحبوبيّة، والحكومة وغزو الأراضي وفتح البلاد والأقطار؛ وصفحات التاريخ شاهد صادقٌ وموثوق يؤيّد هذه المسألة.

بناءً على ذلك، بحكم العقل ومراعاة المصلحة، يجب الاهتمام بهذه الأمور بنفس المقدار الذي تكون مفيدةً فيه للوصول إلى الكمال والإصلاح وغير ممانعةٍ من الترقّي والتقدّم؛ وصرف الوقت في هذه الغايات، مساوٍ لتدمير العمر وفقدان فرصة هذه الحياة.

يُقال: سأل المرحوم القاضي - رضوان الله عليه - من حوله عن أحوال وأمور أحد تلامذته الذي عاد إلى مدينته ودياره من النجف. فقالوا: **«الحمد لله تنسّحت أحواله وعاضو، من الكثير عمّ تجتمع حوله، وازدهر عمله في منطقته!»**.

بعد سماع هذا الكلام، أعرب عن أسفه الشديد وقال: **«ليست حالةً جيّدة!»**.

لا ينبغي للاشتغال بالدنيا أن يمنع النفس عن التوجّه إلى الله تعالى

إنّ الاشتغال بأمور الدنيا يجب أن لا يكون إلى الحدّ الذي يحرم النفس من التوجّه إلى الله تعالى؛ كما تقول الآية الكريمة:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[1].

يعني: «يا رسولنا! أخبر الناس: إذا كان آباؤك وأولادك وإخوانك وزوجاتك وقومكم وعشيرتكم وكذلك الأموال التي كنزتموها والمعاملات التي تخافون فشلها أو أن يدخل إليها النقص، والمنازل التي اخترتموها لأنفسكم، إذا كانت كلّ هذه الأمور أهمّ بالنسبة إليكم من الله ورسوله والجهاد في سبيله وأحبّ إليكم، فانتظروا إلى أن ينزل الله تقديره وقضاءه بالغضب عليكم».

إنّ: ملاحظة ذلك كان الأعاظم يقولون باستمرار: يجب أن لا يكون الاكتساب في الصحيح الرزق الحتمي للمعيشة، وليس الحاجة الضرورية الحياتية، أساس الانبعاث على الصحيح والاختيارات على الأهم.

---

[1] التوبة ٢٤. مصدر الآية (٩) سورة التوبة

وأما النقطة الثانية: يقول الإمام عليه السلام: ضعوا جهودكم في أمرٍ حسنٍ وصالح؛ ولا تسعوا إلى نيل سعيكم وجهدكم إلى النتيجة التي تحاولون تحقيقها. وبعبارةٍ أخرى: إنّ واجبك وتكليفك هو الاشتغال بالعمل والتكسّب للمعيشة من خلال النظرة التوحيدية للأشياء، وليس على أساس وجهات النظر والمباني الدنيوية والكثرات النفسانية.

وبناءً على ذلك، لا تفكّر خلال أدائك لواجب الكسب والشغل ما هي الفائدة التي سأحصل عليها أو ما هي الخسارة التي ستقع عليّ! لأنّ الرزق بيد الله وهو المتكفّل لأمور العباد.

في هذه الأيّام هدف الأفراد وغايتهم عند اختيار المجال والمهنة هو كسب المزيد من الدخل وتعاليهم على بعضهم البعض في اكتساب على المنافع والملذّات الدنيوية. فتجد الشاب الذي يسعى لاكتساب العلوم والحِرَف يضع رجله في المحيط العلمي والتجريبي،

يساوره القلق دائماً بشأن المجال والتخصّص الذي يلجأ إليه لتحقيق مستقبلٍ أكثر قبولًا وأماناً لنفسه ولأقاربه. ولا يأخذ في الاعتبار احتياجات المجتمع وضروراته في مختلف المجالات، ولا يعتبر نفسه مسؤولًا عن احتياجات أفراد مجتمعه وأمّته، ويُرجّح راحته على احتياجات الناس والأمّة الذين ينتمي إليهم، وإذا كان مُتمكّناً فإنّه ينسى مسؤوليته في الحياة ويمضي من أجل دراسته وتحصيل الرفاهية إلى ديار الغربة ودول الكفر تاركاً منزله ودياره خلفه؛ ويُقدّم كلّ قوّته العلميّة والتجريبيّة لصالح دول الكفر والإلحاد والدول الأجنبيّة، ويصبح خاتماً في إصبع الأجانب والغرباء، حتّى يتمكّنوا من استخدامه قدر المستطاع في أهدافهم الشيطانيّة؛ ومن أجل الهيمنة على الأمم المظلومة والمضطهدة والسيطرة على الصالح الدنيويّة، بقدر ما يمكنهم إغرائه وإلى آخر رمقٍ يمتلكه، ثمّ لا يكون له من ذلك أيّ نتيجةٍ سوى الخسران الدنيوي والأخروي.

وعلى هذا القياس يجب أن تكون نيّة الشاب المحصّل والمستعدّ الذي يسعى لتحصيل المعارف الإسلاميّة ومباني أهل البيت عليهم السلام، ويضع رجله في مجال العلم نيّةً خالصةً؛ ولا يكون لديه ولو بمقدار رأس إبرة أي مطامع دنيويّة أو مقاصد شهوانيّة ولا الشهرة والصيت والشعبيّة في هذه الدنيا الدنيّة، وأن لا يدع هذه الأفكار تدخل إلى ذهنه وضميره، ولا أن تلوّث أو تشوّه نيته الصافية وصدقه القلبي؛ وعليه أن يطلب من هذه الخطوة الحياتيّة الرضا والتقرّب من المعبود والمعشوق؛ وعليه أن يبتعد عمّا يقوم به العديد من الناس فيدوسون على جميع القيم والودائع الإلهيّة تحت أرجلهم للحصول على تلك الأمور؛ يجب أن يحذر من الشهرة والسمعة؛ ويجعل عليه الاطلاع على مباني أهل البيت والمباني الاعتقاديّة من أجل تربية قلبه وتهذيبه وإخلاصه وإصفاء ضميره؛ وفي مقام التبليغ عليه أن يتوجّه إلى الرضا الإلهي فقط، وأن لا يغترّ بكثرة الناس وإقبالهم، ولا يعتني بتشجيعهم ولا

بتهديداتهم؛ وعليه أن يتجنّب الإفراط والتفريط وغلبة الإحساسات، ولا يجب أن يسبب له نقص الناس في مرحلة اليأس والحزن.

وبشكلٍ عامّ، يجب على كلّ شخصٍ أن يأخذ في الاعتبار الرضا الإلهي في كلّ موقفٍ.

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بحفظ أصالة النفس ومراعاة شرافة الآدمي

والنقطة الثالثة: في هذا البيان للإمام عليه السلام: مراعاة أصالة النفس وعلوّ قيمة الروح وشرافة النفس الآدميّة، في قبال الملذّات العابرة والحطام الدنيويّ والمنافع المستعجلة.

يحذر الإمام عليه السلام في هذه الفقرات من أنّه إيّاكم أن تخسروا الروح العظيمة والحريّة والمرتبة العليا من الخلافة الإلهيّة التي ليس هناك من مرتبةٍ أعلى منها سوى الذات القدسيّة للحقّ! مقابل الوصول إلى حطام الدنيا حتّى لو كانت تبدو قيّمةً في أنظار العموم. ولا تعاوضوا إكسير سعادتكم بالخرز وبالكريستالات الزجاجيّة التي لا قيمة لها! ولا تدفعوا الخسارة الدائمة

وأرواحكم ثمنًا لتحقيق أدنى الملذات، وهي لذّة أهل الدنيا والغفلة، فتحرموا أنفسكم من الحياة الأبديّة! لأنّه في هذه الحالة، تكونون قد بعتم أنفسكم عبيدًا وغلمانًا للذهب الذي يشتريه الآخرون، في حين أن الله خلقكم أحرارًا، وجعلكم عبيدًا له [فقط].

«وإيَّاكَ أن تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ! فَتورِدَكَ مَنَاهِلَ الهَلَكَةِ، وإنِ استَطَعتَ أنْ لا يَكونَ بَينَكَ وبَينَ اللهِ ذو نِعمَةٍ فَافعَلْ، فَإنَّكَ مُدرِكٌ قِسمَكَ، وآخِذٌ سَهمَكَ؛ وإنّ اليسيرَ مِنَ اللهِ ـ سُبحانَهُ ـ أعظَمُ وأكرَمُ مِنَ الكثيرِ مِن خَلقِهِ، وإن كانَ كُلٌّ مِنهُ».

«واحذر أن يقبض عليك مركب الحرص والطمع، فيوردك مناهل الهلكة! وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، فإنك مدرك قسمك، وآخذ سهمك؛ وإن اليسير من الله ـ سبحانه ـ أعظم وأكرم من الكثير من خلقه، وإن كان كل منه».

وإذا كان مقدورًا لك، فلا تجعل بينك وبين إلهك واسطةً من أهل الدنيا، فتأكد من فعل ذلك (لا تعتمد على الناس وأصحاب المناصب أكثر من الحدّ المتعارف للوصول إلى رغباتك ومقاصدك الدنيويّة ولا تنسى الله في تحقيق أمور الدنيا)؛ لأنّك ستحصل على ما قُسم لك، وستحصل على حصّتك؛ وإذا كان العطاء صغيرًا ولكن من عند الله فهو أعظم بكثير وأعلى مرتبةً وأكثر كرامةً

من العطاء الكثير الذي يصل إلى الإنسان من خلق الله، رغم أنّ جميع هذه العطايا هي جانب الله [في الواقع]».

«وتَلَافيكَ ما فَرَطَ مِن صَمْتِكَ أيسَرُ مِن إدراكِكَ ما فاتَ مِن مَنطِقِكَ، وحِفظُ ما في الوِعاءِ بِشَدِّ الوِكاءِ، وحِفظُ ما في يَدَيكَ أحَبُّ إلَيّ مِن طَلَبِ ما في يَدِ غَيرِكَ، ومَرارَةُ اليَأسِ خَيرٌ مِنَ الطَّلَبِ إلَى النّاسِ؛ والحِرفَةُ مَعَ العِفَّةِ خَيرٌ مِنَ الغِنَى مَعَ الفُجورِ، والمَرءُ أحفَظُ لِسِرِّهِ؛ ورُبَّ ساعٍ فيما يَضُرُّه».

«إنّ تدارك ما ينتج عن قصر الكلام والالتزام بالصمت ممكنٌ، فعن طريق التكلّم يمكنك أن تعوّض التقصير وأن تتداركه، ولكن لن يكون مقدورًا أو لن يكون من السهل تدارك ما خرج من فمك وإعادته. يُقال: إنّ الكلام إذا خرج من الفم يكون مثل السهم الذي تمّ رميه من القوس، ولن يكون بالإمكان استعادته) والحفاظ على الماء الذي في القربة يتحقّق من خلال إغلاق فمها.

وقناعتك بما هو في يدك أحبّ إليّ وأكثر إرضاءً لي من النظر إلى ما في أيدي الآخرين؛ ومرارة اليأس من

تحقيق بعض الرغبات والتطلّعات، خيرٌ من اللجوء إلى الناس وسؤالهم وطلب المساعدة منهم من أجل المشتهيات النفسانيّة؛ والعيش مع القليل من المشقّة والجهد ولكن مع العفّة ونظافة الكفّ، أفضل من الثروة والغنى المصحوبان بالفسق والفجور.

وكلّ شخصٍ أولى أن يحفظ سرّه ويحميه من الآخرين؛ وكم هم الأشخاص الذين يسعون في طريقٍ من شأنه أن يضرّ بهم».

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت وحفظ اللسان

من بين النقاط التي ذكرها الإمام عليه السلام في هذه الفقرات: مسألة الصمت وحفظ اللسان عن التكلّم اللغو. ويُمكن القول تحقيقاً: ليس هناك مسألة تمّ التأكيد عليها في النصوص الدينيّة في جميع الأديان كما تمّ التركيز على الصمت وعدم الكلام.

قال لقمان الحكيم لولده:

يا بُنيّ! لو كان الكلام من فضّة لكان السكوت من ذهب»[1]

وقد ورد عن المعصومين عليهم السلام:

---

[1] لآقا، نقلًا عن النبيّ في **فيض القدير**، شرح الجامع الصغير (المناوي)، ج ٦، ص ٢٧٧؛ ونقلًا عن لقمان الحكيم؛ ولكنّه ورد في **مشكاة الأنوار**، ص ١٧٥. (م)

«الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ».[1]

قال الأعظم:

«كثيرًا ما يكون إفشاء بعض الأسرار والحالات موجبًا لسلب الفيوضات والإفاضات إلى الأبد!».

«مَن أكثَرَ أهجَرَ، ومَن تَفَكَّرَ أبصَرَ، قارِن أهلَ الخَيرِ تَكُنْ مِنهُم، وباينِ أهلَ الشَّرِّ تَبِن عَنهم، بِئسَ الطّعامُ الحَرامُ! وظُلمُ الضَّعيفِ أفحَشُ الظُّلمِ».

«من يتحدّث كثيرًا عن فضائله يجيد كتمان أسراره، ومن يكثر من الكلام يؤتى من قبل لسانه، ومن يكثر من المزاح يستخف به ويطمع فيه، ومن يكثر من الضحك يقلّ حياؤه ويموت قلبه، ومن قلّ حياؤه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كان النار أولى به».

---

[1] بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٤٠، ص ٢٢٧.

صاحب الصالحين والأخيار دائمًا، كي تُصبح من زمرتهم بالتدريج، وابتعد عن أصحاب السمعة السيئة والأشخاص الفاسدين والأشرار، حتّى تبتعد عنهم».

مگ شتّوبذنادنخا تسشنبنادبا بحوذرسپ**

دش

تشگم یمدرم دنچ یزور فهک باحصا گس**

دشمدرم و[1]

[يقول: لقد عاشر ابن نوح رفاق السوء فضلّ عن عائلة النبوّة التي كان منها. وجلس كلب أصحاب الكهف مع البشر عدّة أيّام فصار معدودًا مع البشر].

إن تأثّر النفس البشريّة عند الاتصال بالعوامل الخارجيّة هو مسألة لا يُمكن إنكارها أو التشكيك فيها، مثل: عوامل المكان والزمان والأشخاص في المحيط

---

[1]- [كلّيات سعدي] (النسخة المنقّحة): ولو كان كلب أهل الكهف في الرقيم

دشمگ شتّوبذنادنخا طوسرهمت شگرايندنبا بحو

دشمدرم و تفرگنا كينيپ دنچ یزور فهک باحصا گس**

[يقول: أصبحت زوجة لوط صديقة للأشرار، فضلّت عن النبوّة في عائلتها، وصاحب كلب أصحاب الكهف الأخيار عدّة أيّامٍ فصار معدودًا مع البشر]. (م)

وأالحداث التي تحدث، وال بدّ من االعتراف بأنّ تأثير
الرفيق المصاحب ـ سواءً كان جيّداً أم سيئاً ـ قويٌّ جداً
على النفس البشريّة؛ وقد تلقينا أوامر مؤكّدة في هذا
الصدد من قبل القادة الدينيّين واألخالقيّين، وحذروا
بشدّةٍ من االرتباط بالرفيق غير الالئق.

ولهذا السبب كان السكن مُحرّماً في بالد الكفر أيضاً
بنظر الشرع؛ ألنّ الجوّ غير المالئم سيُسبّب انهيار
المنظومة وتحوّل النفس من نقطة النور إلى وادي
الظلمة. وال يحصل هذا أألمر فجأةً ودفعةً، بل يحصل
بالتدريج وبدون أن يشعر الشخص بذلك؛ وبعد مرور
الزمان والتواصل مع المحيط واألطراف، يحصل تغيّرٌ
وتحوّل كبيرٌ لدى اإلنسان بشكلٍ عامٍّ بحيث أنّ شخصيّة
اإلنسان تتحوّل إلى شخصيّةٍ أخرى وتتغيّر رغباته،
على الرغم من أنّه يبدو باقياً على آدابه وعادات السابقة
إلى حدٍّ ما.

«إنّ شرّ الطعام وأسوأ طعام هو الطعام الحرام، لذا عليك أن تتجنّب تناول المأكولات المحرّمة والمشتبهة! واعلم أنّ الظلم - في أيّ مكان وفي أيّ زمانٍ - أمر مذمومٌ وقبيحٌ جدًا، خصوصًا إذا كان المظلوم فقيرًا وضعيفًا».

«إذا كانَ الرِّفقُ أقربَ كانَ الخُرقُ، وإذا كانَ الأمرُ غامِضًا كانَ الإنصافُ أعوَدَ، ومَن يَتَحَرَّ الصَّوابَ يَستَحِقَّ المَدحَ».

«وإيّاكَ والاتِّكالَ عَلَى المُنى! فإنَّها بَضائعُ المَوتى، والعَقلُ حِفظُ التَّجارِبِ؛ وخَيرُ ما جَرَّبتَ ما وَعَظَكَ».

«أيّها المرأة، التي تسارع إلى الفراق والرجوع إلى بيت والدها، مهما كانت أسباب هذا الانفصال والابتعاد عن زوجها، لا بدّ من الالتفات إلى هذه النقطة المهمّة؛ لأنّ:

گر نه بر دوست می‌روی بر دشمن ** تا ز تو دشمن شود دوست به دامن[1]

---

1. الباب ٨، «في آداب المعاشرة».

[يقول: الترحم على الفهد صاحب الأسنان الحادة القاطعة، يعتبر في حدّ نفسه ظلماً للنعجة الوديعة!].

«أعجوبة الأدوية التي يمكن أن تحدث ثورة في الطب، ويمكن أن يُشفى المرضى، ولكن الأمراض المميتة للإنسان والأوبئة المدمرة للأمم، إلى متى ستظل الأبحاث والاختبارات،

وربّما يسمع الإنسان من شخصٍ لا يتوقع منه النصيحة والمشورة، مسألةً جديرةً بالاهتمام ومسألة جيّدة، وربّما يرى من الشخص الذي يتوقّع منه الإرشاد والتوجيه كلمات جميلةً وسلوكًا قبيحًا ورياءً. (لذا في جميع الأحوال، لا ينبغي للإنسان أن يُفتتن بكلمات الأفراد، كما لا يجب أن ينظر إلى كل كلمةٍ بعين الشكّ؛ وإنّما عليه أن يقوم بنفسه بالتحقيق والتفكّر في كلمات الأفراد).

وإيّاك أن تبني حياتك وسعادتك بناءً على رغباتك وآمالك الطويلة المدى وتُحدّد سلوكك بناءً لذلك! لأنّ هذه الرغبات كلّها بضائع للأموات، فهم أيضًا كانوا يمتلكون مثل هذه الرغبات؛ لكنّهم مضوا بأجمعهم وذهبوا».

هچو هآ تفرگم‌اجن آرد ديشمجه‌كرصقن آ

كرد و بوره آرام‌گفرت

بهرام‌كه‌گور مه‌همه‌ى‌تفرگى‌مه‌كه ديد

چگونه‌گور بهرام‌گفرت؟

[يقول: ذلك القصر الذي كان جمشيد يأخذ فيه قدح الفتح، قد خرب وصار مزبلةً فوضعت الخزالة مولدها فيه، واستقرّ فيه الثعلب].

[يقول: هل رأيت كيف أنّ «بهرام» الذي كان يصطاد فريسته طوال عمره.. هل رأيت كيف أخذه القبر واصطاده؟].

:هرّسدّسدق يزاريشلا ظفاحةرضحلوقيامكو

بده جام مى و ازجم مكن ياد ** كه مى داند كه جم كى بود و كى كى[1]

[يقول: أحضر كأس الشراب ولا تذكر «جمشيد» فمن يعلم من كان «جمشيد» هذا؟ ومن يعلم ماذا فعل «كيقباد» حينما حكم؟ لقد مضى وقتٌ طويلٌ عليهما ولم يبقى منهما إلّا الاسم]

«والعقل يحفظ الخبرات والتجارب ويستخدمها لتصحيح أسلوب الحياة ومسار العيش، وأفضل تجربةٍ يُمكنك الاستفادة منها هي التجربة التي تمنحك العبرة والعظة وتبدي لك القبيح والجميل».

تاقولأاو صرفلا ظفحب ملاسلا هيلع نينمؤملا ريمأ هيصو

«بادِرِ الفُرصَةَ قَبلَ أن تَكونَ غُصَّةً، لَيسَ كُلُّ طالِبٍ يُصيبُ، ولا كُلُّ غائِبٍ يَئوبُ، ومِن الفَسادِ إضاعَةُ الزّادِ، ومَفسَدَةُ المَعادِ، ولِكُلِّ أمرٍ عاقِبَةٌ، سَوفَ يَأْتيكَ ما قُدِّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُخاطِرٌ؛ ورُبَّ يسيرٍ أنمَىٰ مِن كَثيرٍ وَلا خَيرَ في مُعينٍ مَهينٍ، ولا في صَديقٍ ظَنينٍ، ساهِلِ الدَّهرَ ما

[1]. ظفاحن اويد، طبع پژمان، الغزل ٣٠١.

ذَلَّ لَكَ قَعودُهُ، ولا تُخاطِرْ بِشَيءٍ رَجاءَ أكثَرَ مِنهُ، وإيّاكَ أن تَجمَحَ بِكَ مَطيَّةُ اللَّجَاجِ!».

يجب على الإنسان أن يتربّص الفرص المناسبة على الدوام؛ لأنّه قد لا تتكرّر مرّةً أخرى؛ كما ورد عن الإمام عليه السلام أنّه قال:

«اغتَنِموا الفُرَصَ، فإنّها تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب»[1].

وقد رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، أنّه يقول:

«إنَّ لِلّهِ في أيّامِ دَهرِكُم نَفَحاتٍ، ألا فَتَعَرَّضوا لَها، ولا تُعرِضوا عَنها»[2].

يعني: «إنّ لله عزّ وجلّ في أيّام حياتكم نسيم رحمةٍ وبركةٍ، فإيّاكم أن تغفلوا عن هذه الفرص، واجعلوا أنفسكم مستعدّين ومضيفين باستمرار لتلك النفحات على الدوام!».

**صوفی ابن الوقت باشد ای رفیق ** نیست فردا گفتن از شرط طریق[3]

---

1. نهج البلاغة (عبده)، ج ٤، ص ١٤٢، مع اختلافٍ يسير.
2. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢٢١، مع أدنى تفاوت.
3. المثنوي المعنوي، الدفتر الأوّل، القسم ٦.

[يقول: اعلم يا رفيقي بأنَّ الصوم يوميٌ في الصوم، وأنَّ من شروط السير في هذا الطريق ترك التسويف والعمل على تأجيل الغد إلى الغد.]

«لا يصل كلّ طالبٍ إلى مطلوبه، ولا يعود كلّ ما فسد ضائعٍ وغائب، ومن جملة الفاسد بل أعلى الفاسد إضاعة زاد الآخرة، وفي النتيجة تضييع المعاد ويوم الآخرة؛ [لأنه بدون زاد الآخرة الذي هو القرب من حضرة الحقّ، لن يبقى مكانٌ للإنسان في منزل الخلود][1].

1: قال والدنا المرحوم، سماحة العلّامة الطهراني رضوان الله عليه:

في إحدى الليالي، رأيتُ في عالم الرؤيا أنني كنتُ في صحراء جافّة وحارقة، ولم يكن هناك أيّ بناءٍ أو عمران على مدّى نظري. في تلك اللحظة، رأيتُ شبحاً يبدو من بعيدٍ يقترب باستمرارٍ حتّى أصبح أمامي، رأيتُ أنها امرأة عجوز وكانت بالية جداً إلى درجة أنّ ملابسها كانت مُمزّقة، وقد استحوذ القبح والقذارة على وجودها بأكمله، وقد وصلت إليّ وهي تعرج وتتكئ على عصا ومريضة ولا رمق، نظرتُ إليها جيّداً فرأيتُ أنّها واحدة من أقرب أقاربي وأرحامي.

فقلت لها: «ماذا فعلتِ لتلقي هذا المصير في هذا اليوم؟».
قالت: «لقد قضيتُ أيّامي في الدنيا بالغفلة عن ذكر الله وسرتُ خلف آمال النفس الأمّارة...» وطلبتْ منّي العون والمساعدة للتخلّص من مثل هذا المصير.

فقلتُ لها: «في الدنيا كنتِ منهمكة بالتوقف عن التصرّفات والأعمال التي تقومين بها، لم تقبلي منّي نصحي مهما ألححتُ في طلب العون والمساعدة منّي الآن!؟».
وأخرجتُ لها حبّة كانت في جيبي، وأعطيتها لتأكلها. فقالت: «ما هذا في جيبي، لم أرَ مثل هذا الزاد من قبل!؟» فقلت لها: «ليس لديّ شيءٌ آخر». فأدارت ظهرها لي، وابتعدت.

ولكلّ شيءٍ في هذا العالم عاقبةٌ، (ليس الأمر بحيث يفعل الإنسان ما يريد وليس عليه أن يقلق بشأن عواقب أفعاله ومآلها).

إذا وُرّدت لك شيء فوسفه لصيل إلى كل لحظة، الذي يرجائيه، يعيد نفسه الحلأدث الذي يخشاه الكثير من الناس، ولكن المبرّر الوحيد لتلك الانحلالات المستقبلية هو القلق الذي يأتي من الأمر الذي يستحق العناية.

لا تخرج من بيتك صباحًا دقيقة تستعد فيه بالمرآة والمشط، ولا تخرج من بيتك لأي سبب من الأسباب، ولا تخرج من بيتك لأي مكان من الأماكن، ولا تخرج من بيتك لأي شخص من الأشخاص، ولا تخرج من بيتك لأي شيء من الأشياء، ولا تخرج من بيتك لأي وقت من الأوقات، ولا تخرج من بيتك لأي سبب من الأسباب.

عليك بالمداراة مع الأيّام طالما كانت منقادةً لك، (وعندما ترى أنه ليس هناك من يهتمّ بكلامك، أغلق فمك ولا تتسبّب بالصداع لنفسك بلا سبب).

ولا تخاطر بنفسك طلبًا للزيادة (اقضِ وقتًا واستخدم جهدًا معتدلًا لتسيير أمورك ومشاغلك)، وإيّاك أن تدع العداوة والأحقاد واللجاج يبتعد بك عن مسير الحقّ، أو

أن يُفلت عنان اختيارك من يديك، أو أن يبتعد العقل والتدبير عن مجال تصرّفاتك وقراراتك! فيقودك إلى طريقٍ نتيجته الظلم والإجحاف والتعدّي والخروج عن الحدود الإنسانيّة والضوابط الإلهيّة».

قال أمير المؤمنين عليه السلام حول الصداقة والرفاقة وحقوق الصديق

«احمِلْ نَفسَكَ مِن أخيكَ ـ عِندَ صَرمِهِ ـ عَلَى الصِّلَةِ، وعِندَ صُدودِهِ عَلَى اللُّطْفِ والمُقارَبَةِ، وعِندَ جُمودِهِ عَلَى البَذلِ، وعِندَ تَباعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وعِندَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وعِندَ جُرمِهِ عَلَى العُذرِ؛ حتّى كأنّكَ لَهُ عَبدٌ، وكأنّهُ ذو نِعمَةٍ عَلَيكَ؛ وإيّاكَ أن تَضَعَ ذلكَ في غَيرِ مَوضِعِهِ، أو أن تَفعَلَهُ بِغَيرِ أهلِهِ!

صَديقُكَ، صَديقُ صَديقِكَ وعَدُوُّ عَدُوِّكَ، فَتَعادِي صَديقَكَ لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَديقِكَ، وتَجَرَّعِ الغَيظَ فَإنّي لَم أرَ جُرعَةً أحلَى مِنها عاقِبَةً ولا ألَذَّ مَغَبَّةً. وامحَضْ أخاكَ النَّصيحَةَ حَسَنَةً كانَت أو قَبيحَةً، وتَجَرَّعِ الغَيظَ مِن غَيظِكَ؛ فَإنّي لَم أرَ جُرعَةً أحلَى مِنها عاقِبَةً ولا ألَذَّ مَغَبَّةً. وخُذ عَلَى مَن غالَظَكَ؛ فَإنَّهُ يوشِكُ أن يَلينَ لَكَ، ولِن لِمَن خاشَنَكَ؛ فَإنَّهُ يوشِكُ أن يَنقادَ لَكَ، وإن أرادَتكَ قَطيعَةَ عَدُوِّكَ بِالفَضلِ؛ فَإنَّهُ أحلَى الظَّفَرَينِ، وإن أرادَتكَ

كَلِذ هَلا دَبا نإ اهيَلإ ُعجرَي ًةيقبك ِسفَن نِم هَلِق بَتسا فكيخأ ،امأموَي

ومَن ظَنَّ بِكَ خَيرًا فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، ولا تُضيعَنَّ حَقَّ أخيكَ، اتِّكالًا عَلى ما بَينَكَ وبَينَهُ؛ فَإنَّهُ لَيسَ لَكَ بِأخٍ مَن أضَعتَ حَقَّهُ، ولا يَكُن أهلُكَ أشْقَى الخَلقِ بِكَ، ولا تَرغَبَنَّ فيمَن زَهِدَ عَنكَ، ولا يَكونَنَّ أخوكَ أَقوىٰ على مُقاطَعَتِكَ مِنكَ عَلى صِلَتِهِ، ولا يَكونَنَّ عَلى الإساءَةِ أقوَى مِنكَ عَلى الإحسانِ، ولا يَكبُرَنَّ عَلَيكَ ظُلمُ مَن ظَلَمَكَ؛ فَإنّه يَسعَى في مَضَرَّتِه ونَفعِكَ، ولَيسَ جَزاءُ مَن سَرَّكَ أن تَسوءَهُ».

كيفية التعامل مع الآخرين

عندما ترى إمامًا لا يعطي الطلاقة من جانب الرفيق أو أخيك فقم بالمبادرة لتجديد الرابطة، وعندما يُغلق الطريق أمامك بالقوة وتلتكدّر، افتح مرّة أخرى بالطف والتلقّي منه، وحينما تجد منه بخلًا وإمساكًا في الأمور قُم بالبذل والعطاء، وعندما يهرب منك، فاقترب منه، وعندما يعاملك بالشدّة، أجبه بالرأفة واللين، وعندما يتكبّر أخطب حقّك، فاعتبره معذورًا، وتعامل وعندما يتصرّف بنحوٍ إنساني كما يتصرّف بعد في قابل معه وتصرّف مع الأطفال، بحيث لا ينسب أيّ جرمٍ أو خطأ إلى مولاه، مولاه، ويرى نفسه يرى نفسه إلى دوعة طلاغ الأغلاط جميعًا أنّ وأنّ مولاه الحاكم، ويرى أنّ مولاه ولي النعمة.

وإيّاك أن تقوم بهذا الدستور في غير موضعه المناسب، كما لا تفعله مع غير أهله ومن ليس له القابليّة لهذا المطلوب! (بعض الناس لا يملكون تحمّلًا واستعدادًا للتعامل الكريم، يخسرون أنفسهم في قبال محبّة الآخرين ولطفهم، ويضطربون ويتخطون حدودهم ويرون أنفسهم دائنين للآخرين. فلا ينبغي

العمل بهذا الدستور مع هؤلاء الأفراد؛ لأن النتيجة ستكون عكس ذلك ولن يتحقّق الهدف).

وإيّاك أن تجعل صديقك مخصوصًا لك في أيّ وقتٍ من الأوقات؛ لأنّك ستخسر صديقك في هذه الحالة، ولا تقصّر بالواجبات الأساسيّة - سواءً أحبّ ذلك أم لم يُحبّه - لأنّك في الإيمان وفيًّا لصديقك؛ لأنّ هذه التجربة مُتعلّقة بالاستمرار، ولا يوجد شروطٌ أو فضل من أحدٍ على الآخر، ولا مانع من التنازل عن بعض الحقوق.

كن ليّنًا مع الشخص الذي تتعامل معه، ولكن لا تخلط بين الليونة والضعف؛ لأنّ الأمور لا تسير بهذه الطريقة.

وإذا كنت ترغب في قطع العلاقات مع صديقك (لسببٍ من الأسباب)، فلا تقطع الطريق أمامه بحيث تخرّب جميع الجسور بينك وبينه، بل اترك طريقًا ضيقًا

لعودته (ولا تتكلّم معه بكلماتٍ غير لائقةٍ، ولا تترك ذكرياتٍ سيئةٍ وقبيحةٍ في ذهنه ونفسه).

س/ ظننت بك ظنًّا حسنًا، فلا تملّه ولا تظهر له الشكر من ذلك، أبدًا له وجهٌ أحسنُ وأظهرُ عليه وأدلُّ على ذلك. وإيّاك أن تضيّع حقّ صديقك اتكالًا على القرابة والصداقة فتستحوذ على قلبه وتتركه يتعلّق بمن لا يصلح له؛ لأنّ الشخص الذي ضيّعت ذكرى غير منسيّة، ولأنّك لن تكون صديقًا لك بعد ذلك.

ةبسنلابا سانلا ءوسأ نوكتن يحبٍ لعفب مقتلا و
.كنومصاخيف ،كتلئاعلا

كفطلرّدقُي ملو مىلعنمأدارلكظهر هولعصرحتلا و
.كتّبحمو

نوربتعيسانلا لعجتةقيرطبفرّصتتنأكإيّاو
مهرشاعتلا كّذلأو ،كبمهتقلاعطقيفنّيقحمهسفنأ
نيجعزنمنوحبصُيذلا ،يغبنيمكامهمعملاعتلا و
نوكتنيحبٍوحنبفرّصتتنأكيلعلبل ،كنمنيرّدكمو
سانلابكتقلاعنوكنأبجيو ،مهيلعايلعلاديلا لك
كّذأو ،مصاخلادنعدقتعيلا نوذأمهمعلىحقّ
نّأبأورّوصتينأبجيلبل ،ةموصخلاوموللا قحتست
.كمركوكفطلعمجسنيلامهباوجوم هّدر

ولا تعتبر الأعمال السيئة التي قام بها الآخرون تجاهك عظيمةً (لا تجعلهم يدخلوا إلى نفسك، ولا تُعرهم تلك الأهميّة)؛ لأنهم بهذا الفعل القبيح، سيجلبون العواقب الوخيمة على أنفسهم، وسيجلبون النتائج الجميلة لك، ولا تُكافئ خير الناس بالشر والسوء».

«واعلَمْ -يا بُنَيَّ!- أنَّ الرِّزقَ رِزقانِ: رِزقٌ تَطلُبُهُ ورِزقٌ يَطلُبُكَ، فإنْ أنتَ لَم تَأتِهِ أتاكَ، ما أقبَحَ الخُضوعَ عِندَ الحاجَةِ، والجَفاءَ عِندَ الغِنَى، إنَّ لَكَ مِن دُنياكَ ما أصلَحْتَ بِهِ مَثواكَ، وإن جَزِعْتَ عَلى ما تَفَلَّتَ مِن يَدَيكَ فَاجزَعْ عَلى كُلِّ ما لَم يَصِل إلَيكَ، استَدِلَّ عَلى ما لَم يَكُن بِما قَد كانَ [فَإنَّ الأُمورَ أشباهٌ]، ولا تَكونَنَّ مِمَّن لا تَنفَعُهُ العِظَةُ إلّا إذا بالَغتَ في إيلامِهِ؛ فَإنَّ العاقِلَ يَتَّعِظُ بِالآدابِ، والبَهائِمُ لا تَتَّعِظُ إلّا بِالضَّرْبِ.

اطرَحْ عَنكَ واردِاتِ الهُمومِ بِعَزائِمِ الصَّبرِ وحُسنِ اليَقينِ. مَن تَرَكَ القَصدَ جارَ، والصاحِبُ مُناسِبٌ، والصَّديقُ مَن صَدَقَ غَيبُهُ، والهَوى شَريكُ العَمى. رُبَّ قَريبٍ أبعَدُ مِن بَعيدٍ وبَعيدٍ أقرَبُ مِن قَريبٍ؛ والغَريبُ مَن لَم يَكُن لَهُ حَبيبٌ.

مَن تَعَدَّى الحَقَّ ضاقَ مَذهَبُهُ، ومَنِ اقتَصَرَ عَلى قَدرِ الكِفافِ أبقَى لَهُ. وأوثَقُ سَبَبٍ أخَذتَ بِهِ سَبَبٌ بَينَكَ وبَينَ اللهِ، ومَن لَم يُبالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ. قَد يَكونُ اليَأسُ إدراكًا إذا كانَ الطَّمَعُ هَلاكًا. لَيسَ كُلُّ عَورَةٍ تُظهَرُ، ولا كُلُّ فُرصَةٍ

تُصابُ؛ ورُبَّما أخطأَ البَصيرُ قَصدَهُ، وأصابَ الأعمى رُشدَهُ.

أخِرِ الشَّرَّ، فَإنّكَ إذا شِئتَ تَعَجَّلتَهُ. وقَطيعَةُ الجاهِلِ تَعدِلُ صِلَةَ العاقِلِ. مَن أمِنَ الزّمانَ خَانَه، ومَن أعظَمَه أهانَهُ. لَيسَ كُلُّ مَن رَمَى أصابَ، إذَا تَغَيَّرَ السُّلطانُ تَغَيَّرَ الزّمَانُ. سَل عَنِ الرَّفيقِ قَبلَ الطَّريقِ، وعَن الجارِ قَبلَ الدّارِ. إيّاكَ أن تَذكُرَ مِنَ الكَلامِ ما كانَ مُضحِكًا! وإن حَكَيتَ ذَلِكَ عَن غَيرِكَ».

يعني: «واعلم يا بُنيّ! أنّ الرزق قد قُسّم إلى قسمين: الأوّل: هو الرزق الذي تبحث عنه وتسعى إليه. والثاني: الرزق الذي يبحث عنك، وإذا لم تذهب إليه، سيأتي إليك!

وكم هو قبيحٌ التواضع والخضوع في أوقات الفقر والحاجة والتمرّد والجفاء في أوقات الغنى! إنّ الدنيا مفيدةٌ بالنسبة لك طالما كانت لمنفعة الآخرة، وطالما تتمكن من الحصول على الزاد منها لسفر الآخرة، (وأمّا أكثر من ذلك فلن يكون فيها من نتيجة بالنسبة للإنسان سوى الوزر والوبال).

وإذا كان الجزع والفزع مستحسناً بالنسبة للمتاع الذي ضاع، فالجزع والاضطراب بالنسبة لما لم تحصّله بعد، وطبّق نفس التفكير وهذا الأسلوب من المقارنة على ما لم تكتسبه بعد، والذي تفتقده الآن؛ لأن كلّ الأمور المتشابهة مع بعضها، فهي تشترك مع بعضها من جهة الاضمحلال والبوار.

وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بقبول النصيحة

ولا تكن ممن يبين الأفراد الذين لا ينتفعون بالنصيحة والعظة، إلّا عندما يكون حديثاً قاسياً وحاداً، وحينما يتغيّر سبيل العظة والنصيحة باتجاهٍ شديد وغليظ؛ لأنّ العاقل يتعظ من خلال الأدب والتصرّف الحسن، أمّا الحيوانات فلا تتعظ إلّا بالضرب والتأديب.

امنع دخول الأحزان والآلام إلى قلبك، فابتعد عنها من خلال التحلّي بالصبر والاعتقاد الراسخ بالمشيئة الإلهيّة في نزول المصائب والشدائد.

إنّ الشخص الذي يترك الاعتدال ينحرف ويضلّ.

وعليك أن تُصاحب في أمورك الصاحب والرفيق المناسب الذي يكون بمثابة الأهل والأقارب، والصديق الحقيقي هو الشخص الذي يكون صادقاً معك في السرّ. والشخص يسير مع هوى النفس، كالأعمى الذي يسير طريقاً بلا علمٍ أو اطلاع، وربّما تبدو الأمور بعيدة وغير محتملة؛ ولكنّها تكون أقرب إلى الإنسان من الأمور القريبة؛ وربّما تبدو بعض الأمور قريبة ولكنّها تكون أبعد من البعيد، والفقير والغريب هو الذي ليس له صديق أو رفيق شفيق.

ومن ينحرف عن الطريق الحقّ، سيكون طريقه ضيّقاً ومسيره صعباً، ومن يرضى بذلك القدر المقدّر والمقسوم يقنع به، بقي له إلى الأبد.

وإن أوثق وسيلة يُمكن أن تتمسّك بها، هي ارتباطك بإلهك فهو أوثق وأكثر اطمئناناً من أيّ سببٍ ووسطةٍ، ومن لا يُراعي شأنك ومقيّمك فهو عدوّك.

بـاوصلا نيعو هسأيلا نوكيت لاحلا ضعبفو

.أكلاهك اذآ نانوكيع شجلاو عمطلا نأ ؛ةحلصملاو

ليس من الضروري أن تنكشف للإنسان الأمور المخفية عنه بحيث يصل إلى سرّها وكنهها، ولا يُمكن الوصول إلى النتيجة المرجوّة في كلّ فرصةٍ؛ وربّما لا يصل الأشخاص ذوو الخبرة والتجربة إلى مُرادهم، لكنّ الشخص الأعمى وعديم التجربة والخام يصل إلى مراده».

ەبارخ ردنا ەلبا جنر و ەدرمەصغ ازرگايميک

يفاتەگنج[1]

[يقول: لقد مات الكيميائي (الذي يدرس تحويل المواد إلى الذهب) من الغصّة والتعب، ووجد الأبله الكنز تحت الخرابة!].

---

[1] **يدعسناتسلگ** ، الباب الأوّل، در سيرت پادشاهان [= في سيرة الملوك].

«لا تتسرع في القيام بالأمور القبيحة؛ لأنّها لن تفوتك متى شئت أن تفعلها، والانفصال عن الجاهل يعادل الارتباط والعلاقة مع الشخص العاقل، وكل من يثق بالدهر خانَه، وكم من عظّم الأيّام أصبح ذليلًا وحقيرًا، وليس كل سهمٍ رُمي أصاب الهدف، وعندما يتولّى السلطان والحاكم طريق الجور والظلم، فإن الزمان سوف يكون ظالمًا وجائرًا.

ابحث عن الرفيق قبل أن تتحرّك للسفر (سواءً أكان السفر ظاهريّاً أم معنويّاً وسلوكًا إلى الله) واستخر عن الجيران قبل أن تشتري الدار. وعليك أن تتجنّب الكلام الركيك والسخيف والمضحك! حتّى لو كنت تنقل ذلك عن شخصٍ آخر».

إذا التفتنا إلى هذه الفقرات، فستتوقف بعض المواطن والمسائل الجديرة بالتأمّل لكلّ واحدةٍ منها تحتاج إلى شرحٍ مفصّلٍ؛ ولكن مع ملاحظة خصوصيّة

هذا الكلام ومحدوديّة الصفحات سنكتفي بتوضيحها بنحوٍ إجمالي.

إطلاق الرزق في كلام أهل المعرفة على المراقبات القلبيّة والتجليّات الإلهيّة

المسألة الأولى: بيان الإمام لمسألة الرزق والقوت، والذي يحتاج إلى توضيحٍ موجزٍ.

يقول الخواجة حافظ الشيرازي رضوان الله عليه:

در ** دست مصنع قسمت كرد بنوش باده كه قسّام ازل روزي ما كرد

آفرينش از انواع نوشها و نيش[1]

[يقول: اشرب من الخمر الذي قسمه لك مُقدّر الأمور، فهناك في العالم أنواع من الشراب بعضها دواء وبعضها سم].

---

[1] ديوان حافظ، طبع پژمان، الغزل ٥٨٦.

يُطلق الرزق في كلمات أهل المعرفة على الواردات القلبيّة والتجليّات الإلهيّة وانبساط النفس وإدراك حقائق العالم العلوي، ولكن بالطبع يُمكن استفادة هذا المفهوم من آيات القرآن وكذلك من الروايات المأثورة عن أهل البيت عليه السلام. وهذا الرزق إنّما يحصل من خلال التوفيق الإلهي للأفراد ولكن استخدامه يعتمد على قرار نفس الشخص وهمّته واختياره. مثل: إرسال الأنبياء الإلهيّين والأئمة المعصومين عليهم السلام، وأولياء الحقّ الذين تفتح كلماتهم وخطبهم النافذة للدخول إلى عالم الغيب، يجب على الإنسان أن يسير على خطاهم بعزمٍ راسخٍ وهمّةٍ عالية، فيُبدّل من خلال الطاعة والانقياد التامّين مراتب استعداد وجوده إلى فعليّةٍ.

كان المرحوم والدنا ـ رضوان الله عليه ـ يقول:

لقد فرشنا السفرة للجميع، والآن إذا لم يأت أحد، فيجب أن نقول: إذا كان المتسول كسولًا، فما ذنب صاحب المنزل؟!

وهذا القسم من الرزق لا يحصل إلى من خلال الفرد، وبالكسل والتواكل لن يصل الإنسان إلى أي مكان.

وأما الرزق بمعنى الرزق الظاهري وهو المراد هنا فهو وسيلة للبقاء واستمرارية الحياة الظاهرية في عالم الدنيا هذه؛ حيث يجب على الإنسان أن يدفع من هذا الرزق بقدر ما يستطيع لقضاء احتياجات حياته اليومية بسهولة وراحة البال، كما عليه أن يتجنّب الإسراف، كما لا يجب أن يُصاب بالحرص خوفاً من الغد، كذلك أن لا يصرف كل وقته في تحصيل هذا الرزق، وعليه أن يعلم أنّه ليس هناك من عائد أو فائدة يتنفع بها في مقابل عمره ووقته الذي صرفه.[1]

كلام أعاظم أهل الطريقة عن ضرورة الكسب الحلال والشغل

يرى أعاظم الطريق بأنّ العمل والشغل أمرٌ لازمٌ للأفراد؛ ولم يُؤكّدوا على مقدار الربح ونتائج العمل، بل عدّوا ذلك من نعمة الله عزّ وجلّ. واستقبحوا الجلوس بلا

[1] لقد جرى توضيح هذا الأمر في مجلس شرح حديث عنوان البصري.

اًرضُمكلذ اوربتعاو ،ٍدِيفمٍلِغشلابرملاعا ءاضقولمع

.هيّقرتلو صخشلل ةيكولسلا لاوحلأاب

ينبغي على الكاسب أن يتكسّب بالكسب الحلال بمقدار الضرورة، فيجب على الطبيب أن يستخدم وظيفته لمنفعة الناس والمحرومين، وأن يمتنع عن ادخار الأموال وتخزين متاع الدنيا، ويجب على العالم الديني أن يبني عمله على أساس إنارة الأفكار وتبليغ المباني الرصينة للدين المبين وحسب. فعليه أن لا يُفكّر في الصيت والشهرة، ولا أن يستخدم علمه لتخزين الأموال والأمتعة الدنيويّة؛ وأن يكتفي بما قدره الله تعالى له، وربّما يُيسّر له سبيلاً ويفتح له طريقاً، وهكذا جميع أصناف الناس وطبقاتهم، حيث يجب على واحدٍ منهم أن يقنع بالتقدير الإلهي.

وكما يقول الخواجة حافظ الشيرازي:

به پادشاهی عالَم فروز ندارد سر ** گر ز سر تعنّت خبر شود درویش [1]

---

[1] ديوان حافظ، طبع پژمان، الغزل ٥٨٦.

[يقول: لا يخضع الدرويش لسلطة العالم (وللمناصب)، فإنّ خير الدرويش (السالك) إنّما يأتي إذا اطّلع على سرّ القناعة].

تجنّب الأمر الذي لا يتوافق مع كرامة الإنسان وعزّة طبعه

أمّا **المسألة الثانية**: فهو الخضوع والتواضع في وقت الحاجة إلى المساعدة، وإبراز الخصومة والتعالي عند عدم الحاجة وارتفاعها. بالإضافة إلى أنّ هذه المسألة تؤدّي إلى قطع ربط الإنسان بمبدأ الوجود، وتجعله يتوجّه إلى الأسباب المادية، لا تنسجم أيضاً مع الكرامة الإنسانية وعزّة النفس؛ وتُبدي الشخص والشخصية في أنظار الناس بوجهٍ ومظهرٍ حقير ووضيع.

ولألسف نحن نُشاهد هذه الصفة غير المقبولة في الكثير منّا، فعند التواصل مع بعضنا البعض نبحث عن الفرص فقط؛ وبعد تجاوز الأزمة نتلبية الحاجة نعود إلى منزلتنا النفسانيّة المنحطّة والدنيئة والقبيحة. فتجدنا نخدع مخاطبنا من خلال استخدام اللسان المعسول وتركيب الكلمات بنحوٍ موزون من أجل الوصول إلى مقاصدنا الشهوانيّة، ونأسره تحت تأثير وسيطرة الجوّ المجازي؛ ونجعله يطمئن من خلال آلاف الوعود والحيل فنصل إلى مقاصدنا الشهوانيّة ـ سواءً أكان ذلك لرفع احتياجاتنا المادّيّة أم للوصول إلى مقامٍ أو مكانةٍ خاصّةٍ، أم من أجل رفع معاناةٍ أو مرضٍ، أو من أجل الرغبات الجنسيّة والشهويّة ـ ولكن بعد تحقيق مرادنا، نُغيّر وجهنا الظاهري والمخادع، ونعود إلى نفس تلك الصورة القذرة والشيطانيّة والبعيدة عن الإنسانيّة؛ ننسى جميع الوعود نتعامل مع مخاطبنا بالحيلة والخداع. هذه الصفة، هي صفة النفاق والشيطنة.

يجب أن يكون الإنسان عزيزًا متمتّعًا بالكرامة والحرية، وأن يكون مرفوع الرأس ومستقلًا متمتّعًا بالأصالة؛ سواء وصل إلى ما يريد أم لم يصل.

كيفيّ التعامل مع الفرص الضائعة والمفقودة

المسألة الثالثة من المسائل المذكورة: كيفية التعامل مع الفرص الضائعة والمفقودة. يُبيّن الإمام وجود تشابهٍ بين مسائل الماضي والمستقبل، وموطن هذا التشابه هو عدم وصول الإنسان إلى أيّ منهما؛ لأن الدنيا تمضي والإنسان يعيش باستمرار، وعلاقته بما فقده وما لم يُحقّقه بعد واحدة.

﴿مَا فَاتَ مَضَى وَمَا سَيَأْتِي كَأَيْنٍ ** فَاغْتَنِمْ الْفُرْصَةَ بَيْنَ الْعَدَمَيْنِ﴾[1]

يعني: «ما فات لن يعود، وما سيأتي ليس من المعلوم أن يأتي ويحصل، فقم واغتنم الفرصة بين العدمين».

---

1. تفسير الجواهر، ج ٧، ص ٤٢٠.

وأمير المؤمنين عليه السلام ناظرٌ في هذه المسألة

وهذا الموطن كما في المسألة السابقة إلى كلا الجهتين

الدينوية والأخروية.

ففي الجهة الدنيويّة يجب وضع القاعدة والقانون على أساس كون متاع هذا العالم مؤقّتًا، ويجب ألا ينشغل القلب بالشيء الذي نفقده، ولا ينبغي أن ينشغل فكرنا؛ لأن الدنيا محلّ عبورٍ، وليس منزلًا للاستقرار والوفود. وكلّ شخصٍ يشغل قلبه بالفرص الضائعة التي كان ينتظرها ويتوقّعها، ويستمرّ بالحسرة والحزن على فقدانها فسوف يُعاني من خسارةٍ روحيّة وسيخسر رأس ماله الممنوح له من الله [أي العُمر]. مثلًا: انتظار الزوج [أو الزوجة] الذي لن يكون متاحًا بعد الآن، أو تجارةٍ أصبحت خارجةً عن اختياره، أو ملكٍ أو عقارٍ لم يعد متاحًا له بعد الآن، أو منصبٍ أو مقامٍ تم منحه إلى شخصٍ آخر.

،ايندلا ةعتمأ ةلمج نم يه رومألا هذه عيمج ىلإ يّدؤي ملعلا اذه يف اهب تّقؤملا يبلقلا لاغشنلااو لوقي امكو ؛يقيقحلا انئدبمو اندصقم نع اندامتعبا :هرّسفلا الله سّدق[يمورلا نيدلا لالج] انلاومة رضحم

مرغ باغ ملکوتم نیم از عالم خاک ** دو سه

روزی قفسی ساخته اند از بدنم

خنک آن روز که پرواز کنم تا بر دوست ** به

هوای سر کوی شر و بالی بزنم.

من به خود نامدم اینجا که به خود باز روم **

آنکه آورد مرا باز برد در وطنم

می وصلم بچشانند تا در زندان ابد ** از سر عربده

مستانه به هم در شکنم[1] **

[يقول: أنا طائر روضة الملكوت ولست من عالم

التراب، ولقد صنعوا لي قفصاً من بدني لأيّام معدودات.

فما أسعد ذلك اليوم الذي سأحلّق فيه إلى الحبيب،

وأخفق بأجنحتي بهوى ديارهِ.

أنا لم آتِ بطوع إرادتي لأذهب بمشيئتي، بل إنّ من

جاء بي سيردّني إلى وطني.

---

[1] المثنوي المعنوي، آخر الدفتر الرابع، ص ٤٣٧.

اسقني شراب الوصل لكي أكسر باب سجن الأبد بواسطة عربدتي السكرى (أي أضمحل وأصل إلى الفناء)].

ومن هذا، كان لا بدّ علينا أن نصرف همّتنا وإرادتنا في الأمور الباقية التي لا تزول وأن نهتمّ بما ينفعنا في ذلك العالم، وأن نحزن ونشعر بالمصيبة لفقداننا ما يسحبنا ويقودنا بذلك الاتجاه والعالم، وأن نعمل على تعويض ذلك وتداركه، وأن نُهيِّئ أنفسنا للحصول على تلك الفرص؛ وأن نعمل بما قاله حضرة الخواجة [حافظ] الشيرازي:

چنین مهست دایه از پیر دانا **فراموشم نشد هرگز، همانا

که روزی رهروی در سرزمینی **به لطفش گفت رندی همنشینی

که ای سالک چه در اینانه داری **بیا دامی بنه گر دانه داری

جوابش داد گفتا دام دارم **ولی سیمرغ میبایدشکارم

بگفتا چون به دست آری نشانش **که از ما بی نشان است آشیانش

چو آن سرو روان شد کاروانی ** چو شاخ سرو

می‌کن دیده‌بانی

مده جام می و پای گل از دست ** ولی غافل مباش

از دهر سرمست

لب سرچشمه‌ای و طرف جویی ** نم اشکی و با

خود گفت و گویی

به یاد رفتگان و دوستداران ** مواقق گرد با ابر

بهاران

چو ذالان آمدت آب روان پیش ** مدد بخش از

آب دیدهٔ خویش [1]

[يقول: أنا لا زلت أذكر نصيحة الشيخ العارف لا

أنساها أبداً.

إنَّ ساللكاً حاذقاً وواصلاً قال لأحد السالّك:

ما الذي يحويه جرابك أيّها الصوفي؟ قم وانصب

شركاً إن كان فيه حَبّاً.

[1] دیوان حافظ، طبع پژمان، ص ۳۰٤، مثنویات.

فأجابه: أجل؛ عندي شراك ولكنّي أروم صيد السيمورغ [العنقاء].

فقال: كيف السبيل إلى ذلك مع أنّه لا أثر يقول: لعشّها؟

[إشارة إلى قامة المعشوق الرسولة تلك بما أنّ شجرة السرو قد صارت قافلةً، فلتجعل من غصنها حارساً.

لا تخسر كأس الخمر والباقة وهو الزهر، ولكن لا تغفل عن الدهر السكران فإنّ الدهر لا يعرف جنونه ولا يستطيع أحدٌ أن يُحاسبه على فعله).

وقف عند حافّة نبع الماء وعلى أطراف النهر، وأجرى دمع العين على الخدّ وحدّث النفس.

ولتذرف الدمع مثل غيوم الربيع - على ذكرى الأحبّة الذين فقدتهم.

إذا ما جاء الماء كي يأخذ له مدداً فاسأل من العود عن عيونه].

ولذا نرى أنّ الأئمة عليهم السلام والعرفاء الإلهيّين، وأولياء الآخرة، كانوا منشغلين بالتفكير المستمر بالمحبوب

فكان ما يشغل نفسهم ويُقلقهم هو هذه المسائل، وحصلوا من متاع الدنيا كل شيء يكون في سبيل تسهيل وفودهم إلى ذلك العالم، وتركوا الباقي على حاله.

الاعتبار والاستقبال الحسن للنصيحة والموعظة

المسألة الرابعة من المسائل التي تستحق الذكر في هذه الفقرات: الاتعاظ والاستقبال الحسن للنصيحة والموعظة.

لا شكّ بأنّ جميع الأفراد قبل أن يصلوا إلى المعلّية العقلانيّة لديهم أخطاء في الفكر والمعلومات في كلّ مرتبةٍ من المراتب، ويجب عليهم أن يلتفتوا إلى هذه الأخطاء والاشتباهات وأن يُصحّحوها من خلال الاستعانة ببقيّة الأشخاص، والنقطة المهمّة هنا، هي أنّه إذا توقّف الإنسان بمجرّد التفاته إلى الاشتباه وانتباهه إلى الخطأ بسبب تنبيه الآخرين، فرفع يده عن الطريق والفكر الخاطئ، سوف تُصبح نفسه مستعدّةً للترقّي، وسوف يرتقي إلى أن يصل إلى نفس تلك المرتبة والمرحلة؛ وسوف يُصبح مُستعدّاً للارتقاء إلى المرتبة التالية والمرتبة الأعلى، وستتوفّر الأرضيّة لتقبّل الرتبة الأصعب بالنسبة إلى نفسه؛ وفي الواقع سوف يكون قد اقترب درجةً واحدةً إلى التجرّد التامّ. وإذا تمنّع أمام النصيحة والعظة وبرزت لديه الأنانيّة وحاول أن يتهرّب من الاتهام عبر تبريرات وتأويلات ولم يعترف بالخطأ، فسوف تقف نفسه في تلك المرتبة، وسوف يحصل لها عقليّة سلبيّة وسيّئة؛ بالإضافة إلى أنّه سيفقد

قوّته واستعداده فيما يتعلّق بالوصول إلى المرتبة الأعلى، وسيكون مستعدًا ومهيّئًا للسقوط والانحطاط إلى المستوى الأدنى. وهذا هو الخطر العظيم الذي يُهدّدنا جميعًا بالانحطاط ويسدّ طريق الترقّي والسعادة أمامنا.

لقد قال لي والدنا المرحوم العلّامة - الطهراني - رضوان الله عليه - مرارًا:

كنتُ أعمل على إصلاح أخطائي ورفع اشتباهاتي قبل أن يُنبّهني عليها أستاذي، كنتُ أقوم بتحليل تصرّفاتي والتحقيق فيها بنفسي ثمّ أصلحها. الآن، نحن نُنبّه الأشخاص بالصراحة، لكنّهم لا ينتبهون رغم هذه التنبيهات!

ونفس هذه المسألة كانت هي السرّ وراء تعاليه وترقّيه إلى المراتب العليا.

وقال سماحته:

إنّ الأستاذ هو الوطن التي لا يُدرك فيها الإنسان خطأه واشتباهه بنفسه، وليس في الوطن الذي يتيسّر

للشخص التعرف على الخطأ لنفسه؛ فعندئذ لا حاجة لأسئلة!

المسألة الخامسة من المسائل التي تستحقّ الذكر هنا: لزوم اعتماد الإنسان على إرادته واختياره؛ فحتّى لو قُدّمت له نصيحةٌ من شخصٍ عظيمٍ كوليّ الله أو الإمام المعصوم عليه السلام، فإذا أراد الشخص أن يُرتّب أثرًا على ذلك على أساس ثقته بالإمام عليه السلام أو بذلك الشخص المبرّز، فلن يؤدّي فعله ذلك إلى حصول التأثير المطلوب والنتيجة المرجوة.

بحثٌ في عدم رسوخ رأي النساء وعدم ثبات فكرهم

«وإيّاكَ ومُشاوَرَةَ النِّساءِ! فإنَّ رَأيَهُنَّ إلى أفَنٍ، وعَزمَهُنَّ إلى وَهْنٍ، واكْفُفْ عليهِنَّ مِن أبصارِهِنَّ بِحِجابِكَ إيّاهُنَّ، فإنَّ شِدَّةَ الحِجابِ أبقى عليهِنَّ، ولَيسَ خُروجُهُنَّ بأشَدَّ مِن إدخالِكَ مَن لا يوثَقُ بِهِ عليهِنَّ، وإنِ استَطَعتَ أنْ لا يَعرِفَ غَيرُكَ فاعِلُ، ولا تُمَلِّكِ المَرأةَ مِن أمرِها ما جاوَزَ نَفسَها، فإنَّ المَرأةَ رَيحانةٌ ولَيسَت بِقَهرَمانةٍ، ولا تَعْدُ بِكَرامَتِها نَفسَها، ولا تُطمِعْها في أن تَشفَعَ لِغَيرِها.

وعدَيكِلَذإنَّ،رَةٍإفرَمَوضِعٍغيرَيفُرُاغتِلااوإيَّاكِ

لِكُلِّ،واجعَلْبِ الرَّيْ،ئَةَإلَى البَرا،ئَةَإلَى السُّقْمِ،والصَّحيحَةَ

إنسانٍ مِن خَدَمِكِ عَمَلًا تأخُذُهُ بِهِ، فَإنَّهُ أحرَى أنْ لا

يتَوانَوا في خِدمتِكِ، وأكرِمْ عَشيرَتَكَ، فَإنَّهُمْ جُنَّتُكَ

الَّذي بِهِ تَطيرُ، وأصلُكَ الَّذي إلَيهِ تَصيرُ، ويَدُكَ الَّتي بِها

تَصولُ، استَودِعِ اللهَ دينَكَ ودُنياكَ، وأسأَلُهُ خَيرَ القَضاءِ

[لَكَ] في العاجِلَةِ والآجِلَةِ، والدُّنيا والآخِرَةِ، والسَّلامُ».

يعني: «عليكَ أن تمتنع عن استشارة النساء! لأنّ آرائهنّ ليست راسخة ثابتة، وسيتغير أفكارهنّ وإرادتهن سريعًا.

وجنّبهم الدغات الآفات من خلال ستارهم وحجابهم واللف من أبصارهنّ عن غير المحارم، لأنّك كلّما أوليت هذه المسألة اهتمامًا أكبر (أي ستارهم ومنعهم من التعامل مع الرجال) كلّما كان وضعهم في سلامٍ وعافيةٍ، واعلم أنّ خطر تركهنّ للمنزل ليس أكثر من إدخال رجلٍ لا تثق به عليهنّ، وإذا كنت تستطيع أن تفعل شيئًا بحيث لا يعرفن رجلًا غيرك فافعله.

ولا تجعل للمرأة اختيارًا خارج شؤونها الشخصيّة؛ لأن المرأة مثل الريحان، وليست مثل أبطال الحرب، حيث لم تُخلق وتُكوَّن من أجل الأمور المشكلة والاضطرابات الاجتماعيّة.

ولا تبالغ في احترامها ومراعاة تكريمها، ولا تشجعها على الشفاعة والتوسُّط للآخرين.

وتجنب إظهار الغيرة في غير موقعها المناسب! لأن هذا الأسلوب في التضييق قد يكون له تأثيرٌ معاكسٌ؛ ويحوّل الحال الصحيح والمستقيم للمرأة إلى سقيمٍ وغير مُحبّذ، يتملكك الشكّ والريب بالنسبة للأفراد الطاهرين.

وحدد برنامج العمل لكل واحدٍ من خدمك، كي لا يكلوا الأمور إلى بعضهم البعض، ولا يتكاسلوا في أداء مسؤوليّاتهم.

وأكرم أقاربك وعشيرتك؛ لأنهم بحكم الجناحين الذين يرفعانك ويصعدان بك إلى مقاصدك وأهدافك،

وهم جذرك وأصلك الذي تنتسب إليه، وهم يديك القوية التي تدافع بها عن نفسك.

واستودع الله دينك ودنياك، وأنا أسأله أن يمنّ عليك بأفضل التقدير والمشيئة لكلا الدارين العاجلة والآجلة، وأسأله أن يمنّ عليك بالسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة. والسّلام».

تحليل كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول كيفيّة ارتباط الرجال بزوجاتهم

يتعرّض الإمام عليه السلام في هذه الفقرات التي يمكن اعتبارها أكثر العبارات حساسيّة في هذه الوصيّة، التي لا بديل لها، لمسألة علاقة الرجال مع زوجاتهم، وقد يكون فهمها باللحن والصحيح بعبارة بالنسبة للكثيرين حتى للمبلّغي الشريعة والأفاضل المهيمن؛ ولهذا يقوم البعض بحذف هذه الفقرة عند تحديثهم عن هذه الوصيّة! والبعض الآخر الذين لا يمتلكون هذه الجرأة والجسارة على هذا النوع من هتك الساحة المقدّمة للإمام عليه السلام وعدم احترامها، فإنّهم يعتبرون أنّها ترتبط بظروف وتمتلئ ذلك الزمان؛ وهناك آخرون يخلون

مسؤوليّتهم من الإجابة والإهانات فيتخفّفون بتحرّرون
منها من خلال الإقرار بالجهل وعدم الاطلاع الكافي،
ويحاول البعض تبرير هذه التقاطعات عبر تأويلات
وتبريرات متضحكة.

والنكتة المضحكة هنا هي أنّ بعض مدّعي الفضل والدراية جعلوا أنفسهم ملكيّين أكثر من الملك وجعلوا النظر عن القرائن التاريخيّة والآثار الأصيلة والقطعيّة لزعماء الدين ورواد الشرع المبين، فحاولوا أن يثبتوا أرجحيّة وأفضليّة جنس النساء على الرجال متمسّكين بأدلّةٍ واهيةٍ تُضحك الثكلى، ويعتبرون أنفسهم رواداً في مجال تبليغ مباني الدين وترويجها، وفي خيالهم أنّه إذا أرادوا يُرضوا مجموعةً غير ناضجةٍ وعاميّة، فلا بدّ أن يضعوا قدماً بين الثقافات غير المتزنة الحديثة لهذا العصر، غافلين عن أنّ مثل هذه السلعة لا تشترى في ساحة العلم والتحقيق، بل في سوق المتجوّلين والسفلة، وهناك أيضاً لن تستمرّ أكثر من بضعة أيّام.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[1]

---

[1] ١٧. سورة الرّعد (١٣): مقطعٌ من الآية

يعني: «التخيّلات والتبريرات تزول مثل زبد البحر، وأمّا ما هو مُفيدٌ وقيّمٌ للناس فإنّه يبقى في الأرض».

ومن المثير للاهتمام أنّ بعض الأشخاص تمسّكوا في مسألة تفوّق النساء على الرجال بهذه الآية:

﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾[1]

يعني: «يا ربّ! لقد ولدتُ مريم أنثى ـ والله أعلم بما وضعتُ وولدتُ ـ وجنس الذكر لن يكون كجنس الأنثى أبدًا».

وقالوا: إنّ الله قد جعل مقام المرأة أشرف من الرجل، فهو يقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾، بينما كان يجب أن يقول: ليس الأنثى كالذكر. في حين أن تقدّم تشبيه جنس الذكر ـ في هذه الآية ـ على الأنثى من أجل مراعاة تحسين العبارة لا شيء آخر؛ لأنّه الملاحظ دائمًا في باقي الآيات هو تقديم الذكر في مقام التكليف والخطاب على

---

[1] ٣٦. سورة آل عمران (٣): مقطع من الآية

الأنثى؛ لكن هذا ليس دليلًا على أفضلية الرجل على المرأة.

لقد أكّدتُ مراراً وتكراراً في خطاباتي وكتاباتي على أن واجبنا هو مجرّد بيان مباني وأحكام الشرع المقدّس، بمقدار فهمنا وإدراكنا لحقيقة التشريع لا أكثر.

الدين لا يحتاج إلى ملكيّتك أكثر من الملك

إنّ الدين لا يحتاج إلى ملكيّتنا أكثر من الملك، ولم يجعلنا أحد قيّمين ولا أولياء على الناس؛ إنّ الوليّ والقيّم والمولى صاحب الخيار جميعاً في الزمان الحاضر هو فقط وفقط قطب عالم الوجود وعماد دائرة الإمكان، حضرة بقيّة الله أرواحنا فداه، ويجب علينا أن نقف للجواب أمام الإمام فيما يتعلّق بمسألة أداء التكليف وتبليغ الرسالة، سواءً رضي الناس أم لم يرضوا.

مشكلتنا هي أنّنا نضع أنفسنا مكان إمام الزمان عجّل الله فرجه الشريف، ونوحي للناس بأنّ زمام الدين والشريعة بأيدينا، فالدين سيكون قائماً وراسخاً بوجودنا، وسيتفكّك وينهار في غيابنا؛ فنلبس ذلك الجلباب المتناسب مع القامة الجميلة لمولانا، ونضعه على قامتنا القبيحة المشوّهة الدميمة، ونعّدي قيمومتنا

عدى الدين. لدين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صاحبُ، وهو صاحب الاختيار فيه. لقد جاء آلاف الناس ممّن هم أفضل منّا وأعلم منّا وذهبوا، ولم يتغيّر أيّ شيء، والناس تمضي بحياتها على أساس اعتقاداتهم وسيُمضوها هكذا.

والنقطة التي تستحقّ التأمّل هنا، هي أنّ كلّ شخص يتعامل مع التعاليم الدينيّة بناءً على مدركاته الخاصّة إلى جانب استعداده لتقبّل الأمور، وكم هم كثيرون الأفراد الذين وقفوا بوجه إنجازات الشريعة والرسالة وأبرزوا لها الخصام من منطلق العناد واللجاج؛ إنّ رسالة الأنبياء الإلهيّين لا تتعطّل بسبب العناد وإنكار عددٍ من الناس، ولا تخسر نفسها وتتخلّى عن الإرشاد أو تنوير الأفكار وتصفية القلوب.

وبشكلٍ عامٍّ، لقد نزل الدين ونزلت الشريعة الإلهيّة لمن لديه استعداد وتقبّل لها، وليس للمنحرفين ومن يختلقون الأعذار والمتنقدين.

وقد خاطب القرآن الكريم رسول الله قائلًا:

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾[1]

يعني: «إنّك لن تستطيع أن تأتي الأشخاص العمي المعاندين إلى الطريق الصحيح».

صفات الأولياء الإلهيّين هي للمتّعظين

إنّ الكتب العارفة الإلهيّة وصايا الأولياء الإلهيّين هي لمن يعتبر ويتّعظ، وليست لأصحاب القلوب العمياء، فالنظام التربوي الذي أسّسه الوحي وقاده قافلة الوادي الآمن، إنّما وضع من أجل تربية عددٍ خاصٍّ من الأفراد، وليس لكلّ واحدٍ من أولئك الجاحدين الذين ليس لديهم هدفٌ في الحياة سوى ترويج الاعوجاج ونشر الانحرافات والوقوف بوجه مباني الفطرة والتوحيد، والذين يعملون على سدّ طريق الأولياء الإلهيّين ووضع الموانع أمام مسيرهم.

ومن هنا، فإنّ المسائل التي سيقرأها القارئ المحترم فيما يلي مبنيّةٌ على أساس قبول الحقّ

---

1. الآية ٨١، سورة النمل (٢٧).

والتسليم لمباني الشريعة والمعارف الحقّة، وبالطبع لا ندّعي أبداً بأيّ وجهٍ من الوجوه أنّنا منزّهون عن الخطأ أو الاشتباه، فهذا الادّعاء يختصّ بالمعصوم عليه السلام.

كيفيّة العلاقة بين الرجل والمرأة في نصوص حضارات المعصومين عليهم السلام

لقد بيّنت النصوص التي تركها الأئمّة المعصومون عليهم السلام مسألة العلاقة بين الرجل والمرأة بشكلٍ عامٍّ وفي محيط الأسرة بشكلٍ خاصٍّ، مجموعةً من المسائل التي تستحقّ الإشارة من أجل توضيح هذا الموضوع.

أحد المواطن المذكورة، هو وقائع معركة الجمل التي وقعت بتحريضٍ من عائشة وإثارة الفتنة من قبل اثنين من صحابة النبيّ اسمهما طلحة والزبير، حيث شنّوا حرباً شاملة ضد خليفة المسلمين بالحقّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وقُتل عددٌ كبيرٌ من الطرفين خصوصاً من قبل جيش البصرة وجيش

عائشة. وقد قُتل في هذه المعركة طلحة والزبير أنفسهم

(اللذان أشعلا نيران هذه الحرب)

وبعد إخماد نيران الحرب هو هزيمة جيش عائشة، قال أمير المؤمنين عليه السلام عدداً من الأمور في ذمّها، حيث قال عليه السلام:

«وَعُقِرَ بَعِيرُهَا وَانْهَزَمَ جُنْدُهَا وَأَفْجَعَ الْبَصْرَةَ أَبْنَاؤُهَا وَأَرَامِلُهَا بِمَنْ حَصَدَهُمُ السَّيْفُ مِنْ أَبْنَائِهَا وَأَزْوَاجِهَا، فَاغِرَةً فَاهَا لِلْمَقَاتِلِ، رَكِبَتْ جَمَلَهَا وَخَلَطَتْ بِهِ وَأَدْبَرَتْ تَقُودُ جَمَلَهَا وَتَحْدُو حَدْوَ الْمُتَنَسِّمِينَ، وَقَدْ ظَنَّتْ أَنَّ الْأُمُورَ عَلَيْهَا لَا لَهَا، وَأَنَّ الْعَهْدَ بِهَا قَرِيبٌ، وَأَنَّ الْحَبْلَ لَمُتَّصِلٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تُؤَمِّلُ، وَأَنَّ الْعَثْرَةَ تُقَالُ بِالرَّغْبَةِ، وَأَنَّ الْمَرْكَزَ يَرُدُّ الْقَنَاةَ الذَّابِلَةَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ يُصْلِحُهُ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يُصْلِحْهُ بِالْأَمْسِ، وَهَيْهَاتَ لِمَا تُرِيدُ! أَنَّى وَلِمَا تُرِيدُ! وَمَا لَهَا وَمَا لَهَا بِهِ مِنْ ذِمَامَةٍ فِي دِينٍ وَلَا سَابِقَةٍ فِي خَيْرٍ، وَإِنَّهَا لَقَرِينَةُ مَا عَهِدْتُ، وَلَبِئْسَ الْقَرِينُ إِلَى النَّارِ!»[1]

يعني: «اعلموا يا أهل البصرة! أنّكم كنتم جندًا لامرأةٍ فهي التي كانت تقودكم، وكنتم تتبعون حركة جملها، فكنتم تتحمسون وتنشطون على وقع صوت جملها ورغائه، فلمّا قُتل وعُقر تفرّقتم وهربتم».

ويقول في مكان آخر حول هذا الموضوع:

«أَمَّا فُلَانَةُ، فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ لَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ؛ وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ؛ وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى؛ وَالْحِسَابُ عَلَى اللهِ تَعَالَى»[2]

---

1. نهج البلاغة (عبده) ج ١، ص ٤٤.
2. نهج البلاغة (عبده) ج ٢، ص ٤٧.

يعني: «وأمّا عائشة فقد حفّزها رأي النساء وأوهامهم لارتكاب مثل هذه الخيانة، وقد أقدمت على القيام بهذه الواقعة بسبب حقدها الدفين تجاهي، والذي كان يغلي باستمرار في روحها مثل وعاءٍ منصهرٍ في فرن الحداد. وإذا طُلِبَ منها أن تفعل مع غيري عين الفعل الذي فعلته معي، فلن تُقدم على ذلك بأيِّ وجهٍ من الوجوه؛ ومن الآن فصاعداً، ستبقى حرمتها ومكانتها بسبب انتسابها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم محفوظةً؛ وأمّا جزاء هذا الفعل ومسؤوليّة هؤلاء القتلى، فيجب أن تسوّيها مع ربّها ويجب أن تجيبه عنها».

«مَعاشِرَ النّاسِ! إنّ النِّساءَ نَواقِصُ الإيمانِ، نَواقِصُ الحُظوظِ، نَواقِصُ العُقولِ».

كذلك خاطب الإمام عليه السلام الناس بعد معركة الجمل في هذا الصدد، وقال لهم ما يلي:

«مَعاشِرَ الناسِ! إنّ النِّساءَ نَواقِصُ الإيمانِ، نَواقِصُ الحُظوظِ، نَواقِصُ العُقولِ؛ فأمّا نُقصانُ إيمانِهِنَّ؛ فقُعودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والصِّيامِ في أيّامِ حَيضِهِنَّ؛ وأمّا

نم فِاصلأا ذُخ ظُوظحِهِنَّ فَمَوا رِيثُهُنَّ عَلَى نُصقُ انِيَتأَرَمْا ةَدهَاشَفَ نَّهِلوقُعُ نُصقُ انِ أَمَّا وَ لِاجّرِلا لِ ثِيرا وَ نم ا ونوكو !ءِاسّنِلا رَارشِ او قَّتاَفَ ؛دِحاولا لِجُرَّلا ةِدهَاشَكَ ىّتَحَ ،فِورعَملا ي فَّنُهوعيطُتَ لاو !رِذَحَ ىَلَعَ نَّهِرِايخِ ارِكثملا ي فَنَعَمطُيَ لا»[1]

يعني: «أيّها النّاس! اعلموا أن إيمان المرأة ونصيبها وعقلها ودرايتها في مرتبةٍ أدنى مقارنةً بطائفة الرجال؛ وأمّا نقصان إيمانهنّ فهو الحرمان من الصلاة والصوم في أيّام الحيض وهذه شهادةٌ صادقةٌ؛ وأمّا نقصان نصيبهن وحظهنّ، فيجب أن يقال: إنَّ ميراثهن من المتوفى هو نصف ميراث الرجال؛ وأمّا ضعف عقولهنّ، فإنّ شهادة امرأتين تُقبل في حكم شهادة رجلٍ واحدٍ، احذروا من النساء المثيرات للفتن وخذوا جانب الاحتياط من خيارهن أيضًا، ولا تطيعوهنّ في أمور المعروف والأمور الحسنة، حتّى لا يطمعن في أمور المنكر والأمور السيئة».

---

[1]. ١٢٩ص ،١ ج {هدبع} ةغلابلا جهن

تأمل في هذه الفقرات وأيضًا في مفاد الآية الشريفة:

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾[1].

يعني: «يجب أن يشهد شاهدان من الرجال على هذه الحادثة، فإذا لم يكن هناك رجلان شهودًا، فليشهد على ذلك رجلٌ وامرأتان من الأشخاص الذين تثقون بهم؛ لأنّه إذا نسيت إحدى المرأتين أو تزلزلت، تُذكّرها الأخرى وتُخرجها من الاشتباه».

من هذا يتّضح للإنسان أنّ هذه المسألة، وهي أنّ بناء التشريعات الإسلامية على أساس العلاقة الوثيقة والحقيقية؛ طرح مثل هذا الاقتراح هو من أجل تعزيز وتوطيد العلاقات الاجتماعية بين الحضارة، وتثبيت أي شيء آخر لا.

---

[1]. البقرة (٢): من الآية ٢٨٢.

ونجد في العصر الحالي، بعض المفسرين يعملون على توجيه وتأويل وتفسير آيات القرآن تفسيرًا خاطئًا مخالفًا لنصّ القرآن الصريح؛ وكما ذكرنا سابقًا، من أجل الحصول على إعجاب مجموعةٍ واستحسانهم، فنرى أنّهم يتخلّون عن مبادئهم ومعتقداتهم، فيحرّفون المفاهيم القرآنيّة بنحوٍ مخالفٍ لمراد المتكلّم والوحي الإلهي.

مثلًا: يفسرون «الضلال» الوارد في هذه الآية الشريفة بالنسيان ويقولون: لما كان بالإمكان أن يعرض للمرأة النسيان بسبب الأعمال المنزليّة وتربية الأطفال وكثرة مهامها، فإنّه قد تنسى وتغيب الوقائع والحوادث عن بالها في مقام الشهادة، ولذلك جعل الله شهادة امرأتين مساويةً لشهادة رجلٍ واحدٍ في هذه الحالات!

فـ الإنسان ليدهش واقعاً من هذا التبرير والتحريف

ويستعيذ بالله. ففي نهاية المطاف، أين رأينا أن مهام المرأة والعمل المنزلي وتربية الأطفال، خاصةً في الأوضاع الحالية، هو أصعب وأكثر إزعاجاً من عمل الرجل ومشاكل عمله والتعامل مع القضايا الاجتماعية خارج المنزل ومن الابتلاءات المتعددة؟! بل الأخير لماذا يجب أن نبيع مستقبلنا بثمن بخس من خلال هذه الأرجيف، ونقدّم حكم الله والمباني الرصينة للشريعة بهذه السخافة في سوق المكاريين ليهبوها؟!

إنَّ هذا العبد، وفي حدود العلاقات الاجتماعية التي أمتلكها مع الأصدقاء وغيرهم، أُقرّ وأعترف بأنّ المشاكل الاجتماعية والابتلاءات الفكرية تشويش الخاطر الذي يُصيب الرجال إذا ما قارنّاها مع ما يُصيب النساء في هذا المجتمع فهي أكثر بمرّات وتقصم الظهر أكثر؛ فمتى كانت تتحمّل المرأة بعضاً من هذه المصاعب والابتلاءات بحيث تؤدّي بها إلى نقص في ذاكرتهنّ وتنسى الأمور؟! بل يُضاف أنَّ الأمر بالعكس

تماماً، فإنَّ ذاكرة المرأة في تسجيل الأمور الجزئيّة وحفظها أقوى بمراتب من ذاكرة الرجل، وليس هناك مجال للشكّ والشبهة في هذا الأمر.

فهل معنى الضلال في الآيات القرآنيّة هو النسيان؟

هو لفظ الآية: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[1] بمعنى النسيان؟!

أو آية: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[2] هل هي بمعنى التذكّر والنسيان؟!

إنّنا نسأل من الله بعباده.

وبعبارة أخرى: هل نحن أكثر رحمةً ولطفاً وشفقةً من الله بعباده، بحيث أنّنا نمنا بتحريف المفاهيم الوحيانيّة، كي لا نُزعج خاطر عددٍ من الأفراد غير المطلعين؟! غافلين عن أنّه بهذه الطريقة، لم نفقد فقط رضا الله واستحقاقنا سخطه، بل أغلقنا أيضاً طريق السعادة والخلاص والصحوة والتصحيح أمام تلك العدّة

---

1. سورة النّساء (٤) ذيل الآية ١١٦.
2. سورة يونس (١٠) مقطع من الآية ١٠٨.

من الأفراد الذين ارتكبوا هذا التحريف من أجلهم،

وحرمانهم من الوصول إلى الفوز العظيم؛

ونفس هؤلاء الأفراد سيمسكون بنا يوم القيامة وسيحتجون علينا في محضر العدل الإلهي وسيقولون: يا ربّ! رغم أنّنا كنّا في الدنيا جاهلين بواجباتنا وتكاليفنا ومتمرّدين عليها؛ لكنّ هؤلاء العلماء والمبلّغين الشريعتكهم الذين لم يُروا الطريق وكتموا الحقيقة عنّا وأخفوا الواقع عنّا، لكي يكسبوا رضاك؛ ولو أدّوا وظيفتهم، لربما كنّا انتبهنا ولتشكّلت نافذة الصلاح والفلاح في قلوبنا.

وهذا الكلام هو لسان حال الأشخاص ـ الذين هم حسب الظاهر وقفوا ضدّ هذه المبادئ وعارضوها وخالفوها ـ لكنّ المسألة بالنسبة لأولئك الذين كانوا محايدين في هذا المجال وكانوا ينتظرون سماع مبادئ الوحي وفتح آذان قلوبهم لحقائق الشريعة، فهي قصّةٌ أخرى!

وعلى هذا الأساس يرى صاحب هذا القلم نفسه ملزماً بالعمل على توضيح وتبيين كلمات زعماء الدين وسيرتهم؛ بدون ملاحظة أيّ اعتبارات أو إغماض

للنظر، بل فقط بناءً على ما توصلتُ إليه من النصوص الإسلامية والآثار التي وصلتنا من حاملي لواء الوحي والتشريع وبمقدار سعتي الوجودية وبضاعتي العلمية وبمقدار تجربتي، وقد ركزتُ في كلامي وخطابي على هؤلاء الناس والمخاطبين الذين ينظرون حين قراءتهم ومطالعتهم إلى هذه العبارات من منظار الإنصاف، ويضعون جانباً وسوسات الشيطان وتلبيساته فيتعمقون فيها، وليس لديهم أيّ هدفٍ أو غايةٍ سوى رضا الله والوصول إلى مراتب العلية والقرب.

تنشأ فطرة كلٍّ من المرأة والرجل من مبدأ واحد

بناءً للنصوص وتصريحات المآثر الوحيانية، فإنَّ فطرة الإنسان ـ سواءً أكان رجلاً أم امرأةً ـ قد نشأت وابتدعت من مبدأ واحدٍ، وهو الروح القدسية للذات الأحدية المقدّسة، والآية الشريفة: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1] ناظرةٌ في خطابها إلى كلا الجنبتين الذكورية والأنوثية، كذلك يقول تعالى:

---

1. سورة المؤمنون (٢٣): ذيل الآية ١٤.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

يعني: «أيّها النّاس! لقد خلقناكم من جنس الذكر والأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل مختلفة، كي تعرفوا مقامكم وتعلموا مكانتكم وحقيقتكم، فاعلموا أنّ أكرمكم عند الله، هو أتقاكم».

لم يجعل معيار الفضيلة والقرب من الله في هذه الآية الشريفة، جنس الخلق ونوع الخلق، بل تعالي النفس الآدميّة، بدون ملاحظة أيّ أمرٍ آخر؛ مثلما جعل الجنس المذكر بنحوٍ إلى جنب مع الجنس المؤنّث محلًّا للخطاب في آياتٍ أخرى، ووجّه التكليف إليهما كليهما في سياقٍ واحدٍ، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ

---

[1]. الآية ١٣ من سورة الحجرات (٤٩).

وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وبناءً على ذلك، فإن النفس والروح كلاهما الجنسين نشأت من مرتبةٍ واحدةٍ، وهي نفس مرتبة ذات واجب الوجود؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[2] وكلّ شيءٍ في عالم الوجود يعتمد في قيمته ومقداره على أصله وجذوره، وليس على بروزه وظهوره في مقام التعيّن وفي الخارج؛ لأنه في مقام الرجوع سوف يعود إلى نفس جذره ومبدئه.

تنشأ مسألة الرجولة والأنوثة في المراتب التي دون مرتبة النفس

من هنا يتّضح أن مسألة الرجولة والأنوثة قد نشأتا في المراتب التي هي دون النفس، يعني: حقيقة روح الإنسان عبارةٌ عن حقيقةٍ واقعيّةٍ واحدةٍ، وفي السير النزولي من مقام الذات عندما تصل إلى مرتبة

---

1. سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٣٥.
2. سورة الحجر (١٥): مقطعٌ من الآية ٢٩.

تركّب الصورة - والتي يُعبّر عنها بالملكوت - يتمّ تشكيل الجانب الفاعلي والانفعالي فيها؛ أمّا قبل ذلك فتكن هذه الحيثيّة منتفية؛ وجود الملائكة [آدم] كانت في مرتبة سابقة على الحيثيّة الفاعليّة والانفعاليّة وليس بعدها، وذلك إذا ما قارنّها بالنسبة إلى خلق الإنسان وتشكّله. وفي هذه المرتبة من تركّب الصورة تختلف خصائص كلا الجنسين.

وبناءً على هذا الاختلاف ينشأ التكليف التشريعي والوظائف؛ لأنّ التكليف قائمٌ على أساس الحقائق الوجوديّة الخارجيّة وقابليّاتها، لا على مجرّد إرادة وسليقة المولى ومهما كان فليكن!

في هذه المرتبة تتشكل القدرة الجسميّة والاستعدادات والغرائز والصفات لكلّ واحدٍ منهما، ويختلف حتّى الأفراد من نفس الجنس واللون فيما بينهم؛ وبناءً على هذه الاختلافات في الصفات وخصوصاً لطافة النفس في جنس النساء وتصلّبها في جنس الرجال، يتمّ تنظيم القوانين الاجتماعيّة وتنظيم العلاقات، ويتمّ تدوين تكليف خاصّ لكلّ جنس، وينزل له حكمٌ من جانب الله عزّ وجلّ.

وهنا نصل إلى هذه النقطة البالغة الأهميّة، وهي أنّ العمل بالأوامر الإلهيّة لكلّ فردٍ، لن يقتصر على إيجاد الراحة والأمان الاجتماعيّين والاعتدال في العلاقات بين الطرفين وحسب، بل سوف توصل كلّ واحدٍ من الجنسين في مقام التربية والترقّي الروحي إلى استكمال

النفس المرتبة الفعليّة، وسوف توصله إلى الغاية والمقصد من خلقهما، ولكن في المقابل سوف يؤدّي عصيان الأوامر والتكاليف الإلهيّة إلى اختلال النظام الاجتماعي كما أنّه سيقوض أصل الحياة الدنيويّة وأساسها ـ كما هو مشاهدٌ ـ وسيمنع كلا الطرفين من الوصول إلى مرتبة الفعليّة والهدف الأصلي من الخلقة.

في نظام الخلقة والتربية يبقى الرجل بمثابة الصيّاد وصيده يكون من الجنس المخالف، يلاحقه حتّى يُسخّره لأجله، والمرأة تبقى مثل الصيد الذي يبحث عن ملجأ آمن فتجلس بسكينةٍ في حضن صيّادها يحميها من الدغات الحوادث والمُهلكات والاضطرابات المحيطة بها؛ وكم هو جميلٌ ورائعٌ هذا التقسيم وهذه الهيكليّة.

الحكمة الإلهيّة في خلقة الذكر والأنثى

لقد خلقت اليد الحكيمة للخلقة الرجل ليكافح ويسعى ويجتهد وينضل ويتعامل مع الصعوبات والأمور المزعجة، ولكي يقوم بتدبير وإدارة المشاكل الاجتماعيّة والأمور الخارجة عن تشكيل الأسرة؛

وقرّرت أن خلقة المرأة من أجل تحقيق السكينة والحيوية والبهجة والسرور والصفاء اللطف والمودّة والاستمرارية والانسجام والأمن في محيط المنزل وتدبير شؤون الأطفال وإدارة الأسرة. إنّ البيئة الداخلية لأسرة وسع وسع أمورها واللطف والصفاء الخاصّ هي أمورٌ تحقيقها فقط، وهذه المسألة مشهودة تمامًا؛ أمّا التعامل مع أمور المعاش وكسب الرزق الحلال وحلّ المشاكل والتعامل مع العقبات الخارجية أيضًا سوف تكون في وسع الرجل وقدرته النفسية أيضًا.

من الطبيعي أن يتسبّب تغيير الوظائف والتكاليف بين الجنسين وفي الوصول إلى حصول مشاكل عويصة، وما ثبت بالتجربة هو أمرٌ لا يتغيّر، هو رغبة الجنس الذكر في الوصول إلى الجنس الآخر وتملّكه في أيّ شرطٍ وظرف، وعلى ما يبدو أنّ هذه المسألة لا تنتهي؛ وإذا لم يبد اهتمامًا كبيرًا في مرحلةٍ ما، فليس بسبب عدم وجود الغريزة والرغبة، بل بسبب بروز بعض الموانع أو المُعتقّة، وعند زوالها يعود إلى نفس تلك الرغبة وذلك الميل المودع فيه؛ والمرأة أيضًا أودع في ذاتها العطف واللطافة والصفاء الخاصّ بها، وعندما تصطدم مع رغبة الرجل وإرادته، تفقد السيطرة وتنجذب إلى رغبات الرجل ورغباته. ولا يُوجد فرقٌ في هذه المسألة بين جميع طبقات المجتمع، وكما نُشاهد لم يستثن الشيطان في خداعه للناس وإغوائهم وتدميرهم أيّ أحدٍ.

هناك قول معروفٌ حيث يقولون: ليس هناك من جملةٍ ألذّ ولا أعذب ولا أكثر جاذبيّة وسحرًا من جملة «أحبك» تنجذب المرأة إلى الرجل؛ والآن سواءً قيلت هذه

الجملة عن صدقٍ وصفاء ومحبّة، أم بدافع المكر والخداع ولحيرة والشيطنة، وقد نُقلت روايةٌ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله كذلك لها نفس هذا المضمون[1].

وكلّ هذا التأكيد على حفظ حريم العلاقات بين الرجل والمرأة الموجود في الإسلام يعود إلى هذا السبب: **المحافظة على لطافة المرأة وصفائها في قبال ميول الرجل ورغباته وأغراضه القذرة.**

والآن لا بدّ من الإذعان والاعتراف بأنّ معجزة كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الوصيّة العجيبة فيما يرتبط بكيفيّة تنظيم العلاقات بين المرأة والرجل في الظروف والمرأة تظهر نفسها بشكل جيّد في هذه الأيّام، وتكشف الستار عن سرّ المسألة ولِمّها. وكأنّ هذه الجملة قد كُتبت أصلًا من أجل هذا الزمان وهذه الظروف، ليس من أجل ألف وأربعمئة عامٍ مضى.

---

[1]: الكافي، ج ٥، ص ٥٦٩: «قول الرّجل للمرأة إنّي أحبّك، لا يذهَب من قلبها أبدًا».

لأسف أصبحت كيفيّة الحياة في مجتمعات اليوم بنحوٍ يبعث على الخجل جدًا، فالعيش في الشقق والمجمعات السكنيّة بلا أبواب ولا هيكل، وإشراف النوافذ على منازل الناس، وعدم مُراعاة الحجب والحياء والعفّ في المجمّعات السكنيّة، وحريّة التواصل بين النساء والرجال، والفتيات والصبيان، والأحاديث والمجالسة وإلقاء النكات والضحك وغيرها، تضع الوضع الاجتماعي والعلاقات الأسريّة في معرض التهديد الجديّ.

لا يعلم إلّا الله أيّ بلاءٍ نزل بمنازلنا وأيّ آفةٍ مدمّرةٍ حلّت بالكيان الأسري بسبب هذه المحلات التجاريّة ومراكز التسوّق المتنوّعة وبسبب التواصل الذي يجري بين الرجال والنساء في هذه الأماكن، إلى أين أوصلنا الاختلاط في العلاقات والأحاديث الجانبيّة عند الأبواب والمزاح والضحك والمجاملة والجلوس على سفرةِ طعامٍ مشتركةٍ بحجّة إيجاد الحرارة في العلاقات الأسريّة والصداقة واستقبال النساء للوافدين والسلام

باليد على الضيوف وتقديم النساء الضيافة للرجال وأصدقاء الزوج والمزاح وبذل النفس أمامهم، وإقامة العلاقات الهاتفيّة بين الرجال وسيّدة المنزل؟!

هناك عواقب كثيرة تستتبع اختلاط النساء والرجال في محيط العمل والعلم

لسوء الحظّ ليس هناك من صورةٍ حسنةٍ لاختلاط الرجال والنساء والأطبّاء والممرضين والموظّفين في المستشفيات [الذكور منهم والإناث]، وستكون لهذه عواقب يستتبعها؛ كما أنّ المعضلة نفسها تتكرّر في البيئة العِلميّة في الجامعات وخلال اشتراك الشباب والشابّات في الفصول والأماكن التعليميّة، ومن خلال حضور السيّدات بمظهر غير لائق، ممّا قد يؤدّي إلى حدوث حالاتٍ نادرة في كثيرٍ من الأحيان.

ما هو الداعي الذي يقتضي توحيد صفوف الشابّات مع صفوف الشباب؟ ولماذا يتمّ اختيار أساتذة صفوف النساء من الرجال؟ وما هي المشكلة التي ستطرأ لو كانت بيئتنا العلميّة والتعليميّة خاليةً من هذه المسائل

ايا قد تجعلنا نتعرّض ـ لا سمح الله ـ لقضاء الأحداث التي

أو تجربة؟ المعرفة واكتساب البحث من مزيداً أخرى

ً فاليوم وفي بعض البلدان، هناك جامعاتٌ خاصةٌ بالنساء من الحاجب إلى مديرة الجامعة، وليس بينهنّ حتّى رجلٌ واحدٌ؛ ولا يقتصر الأمر على أنّه لا نقص فيها أو قصور، بل هي أيضاً من بين أقوى الجامعات وأكثرها شهرةً في العالم من حيث العلوم والنتائج الأكاديميّة، ومن بين هذه الجامعات يُمكن الإشارة إلى جامعة جدّة في المملكة العربيّة السعوديّة.

ونفس هذا الأمر ينطبق على المستشفيات أيضاً. وتجدر الإشارة إلى أنّ مراعاة هذه المسألة وتنفيذها قد حصل قبل عدّة سنوات في مدينة مشهد الرضا المقدّسة وذلك في مستشفى الإمام الرضا عليه السلام، وذلك من قبل عددٍ من الأطباء المتديّنين والمُخلصين وذوي الكفاءة، واستمرّ لمدّة ستّة أشهر، وكان جميع الأفراد في جناح النساء من الأخوات المحجّبات، ولم يكن يُستعان برجلٍ إلّا في غرفة العمليّات الجراحيّة حيث كانوا يستعينون بجرّاحٍ رجلٍ من الأطباء الرجال عند الضرورة والحاجة فقط. ومن المثير للاهتمام، أنّه

باعتراف أطباء هذه المستشفى وإقرارهم هم أنفسهم، كان كلٌّ من الوضع والتماسك والإدارة في هذا القسم خلال هذه الفترة التي بلغت ستّة أشهر أفضل حتّى من الإدارة التي سبقت القيام بهذا المشروع، لقد كان الوضع أفضل وأكثر تكاملًا؛ ولكن للأسف تم حلّ هذا البرنامج وعادت الأمور إلى ما كانت عليه بسبب أعذارٍ واهيةٍ من قبل بعض المسؤولين ذوي العلاقة!

تدريس العلوم الإسلاميّة ليس مجوزًا لتصدي الرجال لتعليم النساء وتدريسهم

ونفس هذا الأمر ينطبق على المراكز العلميّة الحوزويّة أيضًا، ففي العديد من هذه المراكز، يتصدّى معلّمٌ من الرجال لتدريس النساء والإجابة على أسئلتهم، وهذا خطأٌ، فإنّ تدريس العلوم الإسلاميّة لا يُمثّل مجوّزًا للرجال للتصدّي لتعليم النساء وتدريسهم؛ فالنفس نفسٌ، والشيطان جالسٌ في الكمين ينتظر الفرصة المناسبة في كلّ لحظةٍ لإغواء الطرفين.

هذا نُذُرك عمق وجذور كلمات السيّدة الزهراء سلام الله عليها التي تقول فيها عن المرأة ما يلي:

«خيرُ النساء التي لا ترى رجلاً ولا يراها رجلٌ»[1].

كما أنّه يكشف عن معنى كلام المعصوم عليه السلام ويجعله جليّاً حينما يقول: «لا تجلسوا النساء في الغرف المشرفة على الأزقة والمنازل»[2].

حينما أوصى الإمام عليه السلام ابنه بأن افعل أمرًا بحيث لا تستطيع زوجتك معه أن تتحدّث مع أيّ رجلٍ فافعل، فبالتأكيد كان يعرف شيئًا ينبغي علينا أن نسعى أكثر ونجتهد أكثر من أجل إدراكه.

وراقم هذه السطور، بسبب ارتباطه مع مختلف أفراد المجتمع وبسبب المسؤوليّة التي كانت بيدي حتّى الآن، أعلن صراحةً أنّ فتنة الشيطان ووساوسه وأنّ إغواء إبليس الرجيم لا تختصّ أبدًا بالأشخاص غير الملتزمين والمتفلّتين والذين ليس لديهم أيّ قيدٍ أو حدٍ يردعهم؛ بل تشمل كلا الجانبين فتشمل حتّى المؤمنين

---

[1]: وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٦٧: «خَيْرُ لِلنِّساء أنْ لا يَرَينَ الرِّجالَ ولا يَرَاهُنَّ الرِّجالُ».(م)

[2] (م) «فرغ بالنِّساء بالغُرَف لا تُنْزِلوا النِّساء»: الكافي، ج ٥، ص ٥١٦

والمؤمنات والناسكين والناسكات أيضاً؛ ولا يمكن لأحدٍ أن يعتبر نفسه مأموناً ومصوناً من سطوة الشيطان وإغوائه، وأنّه يستطيع أن لا يُراعي الموازين والمباني الواردة عن الشرع المقدّس.

العار الذي جلبته الهواتف النقالة والإنترنت

وفي هذه الأيّام لا بدّ من الاعتراف مع أسفٍ حسرةٍ وتأسّفٍ وألمٍ، بأنَّ تواصل النساء والرجال بواسطة الهواتف المحمولة أو عن طريق الإنترنت، والفضائح التي جلبتها معها، تمضي باتّجاه تدمير بنيان الروابط الأسرية من جذورها. وأنا لا أعلم لماذا ولأيّ سبب يجب على المرأة أن تجيب على مكالمات الرجال في حال لم يكن الرجل متواجداً في المنزل؟! وإذا لم تجب، فما المصيبة والفاجعة التي ستحلّ؟!

ب الذهاب من ناحية أخرى، لماذا يتعيّن على النساء إلى السوق والمتاجر بمفردهنّ لشراء احتياجاتهنّ، ومواجهة الرجال الغريبين والمولعين بالهوى والهوس والأغراض القذرة، فيقومون بالسؤال عن الجودة أو الأسعار؟ ولماذا لا يشعر أزواجهم والمسؤولية على عاتقهم بالمسؤولية في هذه المواطن؟! فترى أنّهم يُرسلون نساءهم بمفردهن إلى هذه الأماكن، ويجلسون في البيت؟![1]

---

[1] عندما كان والدنا المرحوم ـ رضوان الله عليه ـ يُقيم في طهران، كان يذهب أحيانًا إلى السوق شخصيًا لشراء ملابس أهل المنزل وإعداد الأقمشة؛ وكان يشتري ما تحتاج إليه الأسرة من أحد خيار التجار في ذلك الزمان والذي كان متزينًا بكسوة رجال الدين (واسمه المرحوم الآقا السيّد علي أكبر بيش نماز)، وكان يعمل في السوق في مجال بيع الأقمشة. وكان المرحوم السيد علي أكبر شخصًا شهمًا ومتعبّدًا ومتدينًا وصالحًا ومعروفًا جدًا بين أهل السوق بحسن العمل ومراعاة الموازين. ذات يوم، عندما كنت في ذلك الزمان طفلًا في العاشرة من العمر ذهبت إلى السوق برفقة والدي، سمعتُ المرحوم السيّد علي أكبر يقول لأبي: «أيّها السّيد الطهراني! من بين رجال الدين وأئمّة جماعات طهران، ليس هناك من أحد سوى سماحتك وشخصٍ أو شخصين آخرين يأتون إلى السوق لشراء حاجيّات أسرهم، أمّا البقية فيرسلون زوجاتهم للشراء».

وما يُثير الاهتمام أكثر، هو أنه خلال إقامته في طهران، كان يعيش في حيّنا أحد بائعي القماش المشهورين والمتديّنين وهو كبيرٌ في السنّ، وبالإضافة إلى معرفته السابقة بالمرحوم الوالد ومودّته له، كانت له علاقة مع جميع أهل العلم وأئمّة الجماعات أيضًا. وفي أحد الأيام قال لوالدنا: «من بين عائلات جميع أئمّة الجماعات ورجال الدين في طهران، لا يوجد سوى عددٍ قليلٍ من الأخوات اللائي يأتين إلى متجرنا لشراء الأقمشة والملابس بالفعل، أمّا البقيّة فيأتين للنزهة والتفنّن وغيره!».

وإذا قال شخصٌ: إنّ الالتزام بمراعاة هذه الضوابط

وهو نوعٌ من التّطرّف أو الغلوّ، يمكن الإجابة

على هذا التحدّي بالنّقض والحلّ:

أمّا النّقض: فلأنّ الالتزام بهذه الضوابط لا

يؤدّي إلى الغلوّ والتّطرّف، وإلّا لكان كلّ من

يصلّي ويصوم ويحجّ متطرّفاً وغالياً، وهذا

باطلٌ بالضّرورة، وكذلك الالتزام بالضّوابط

الأخرى.

وأمّا الحلّ: فلأنّ الغلوّ والتّطرّف ليس

مجرّد الالتزام بالضّوابط الشّرعيّة، بل هو

الالتزام بها مع الإخلال بالمقاصد الشّرعيّة

والمصالح المعتبرة، كما لو أدّى الالتزام

بالضّوابط الشّرعيّة إلى الإخلال بالمصالح

الكبرى، كالتّسبّب في الفتن والحروب

الأهليّة، أو إلى الإخلال بالمقاصد الشّرعيّة

الكبرى، كالتّسبّب في الفوضى وانتشار

الجريمة، أو إلى الإخلال بالمصالح والمقاصد

معاً، كالتّسبّب في الفتن والحروب الأهليّة

التي تؤدّي إلى انتشار الفوضى والجريمة،

وهذا

هنا يجب أن نتذكّر حرقة أمير المؤمنين عليه السلام وانزعاجه حينما خاطب رجال أهل الكوفة قائلًا: «سمعتُ أنّكم تجلسون في المنازل وتذهب زوجاتكم إلى السوق للتسوّق ويتحدّثن مع الرجال ويتبادلون المزاح».

*الكافي، ج ٥، ص ٥٣٧.

سليس، بل قطعًا لا يستحقّ هؤلاء الناس هذا الأمر.

هذا من جمالِ الشكّ في هذا الأمر.

ثانياً: من يضمن أن حدوث الانحراف والاعوجاج

خاصٌّ بفئةٍ أو فردٍ خاصّين، بينما باقي الأفراد مستثنين

من ذلك؟ وكما ذكرنا سابقاً، أثبتت التجربة خلاف هذا

الأمر. بناءً على هذا، فإنَّ مقتضى الاحتياط سيكون في

مراعاة الموازين، والامتثال لأوامر الشرع.

ويقول البعض في انتقاده لعدم الاختلاط بين المرأة

والرجل: بدلاً من منع الاختلاط، يجب أن نبني ثقافةً في

المجتمع من أجل أن لا يُحرم الرجال والنساء من مزايا

الاختلاط والتحدّث والعشرة مع بعضهم البعض، وفي

المقابل لن تترتّب المفاسد والعواقب الوخيمة لهذه

العلاقات؛ ويذكرون كمصداقٍ لكلامهم المجتمعات

الغربيّة والعلاقات الأسريّة في الأمم والدول الغربيّة.

و يجب أن يُقال في الإجابة على ذلك: أفلا يوجد

هناك فسادٌ وانتهاكٌ للأعراض في المجتمعات الغربيّة

ولا انتهاك لحقوق الآخرين؟ واعجبا! رغم وجود كلّ

هذه الانحرافات والتجاوزات، إلّا أنّنا نغضّ الطرف عن

الحقائق ونُحني القضايا الواقعيّة الخارجيّة بعيداً عن دائرة البحث والتحقيق من خلال اللجوء إلى العناد.

هل أعين هؤلاء مُعمضةٌ عن الإحصاءات الانحرافات والتجاوزات في تلك المجتمعات التي يتم نشرها في تلك المجتمعات من وقتٍ آخر؟ تلك القوائع التي تجعل أيّ مستمعٍ يُمكن أن تُسمّيه آدمياً، يشعر بالاشمئزاز والتنفّر؟ ففي نهاية المطاف ما هو البناء الثقافي الذي يجعل الفرد قادراً على السيطرة على رغباته النفسانيّة وشهوته الحيوانيّة ورغباته الشيطانيّة؟ أرونا إيّاه وعلّمونا!

لا يقتصر الأمر بالنسبة للبناء الثقافي على أنّ لا يعدّ الاختلاط مع الجنس الآخر مجازاً به وحسب، ولكنه أيضاً يحرق الثقافة أيضاً، وسوف يُدمّر بنيان الأسرة. فهل من الممكن من خلال البناء الثقافي إبقاء القطبين المعاكسين للمغناطيس بعيداً عن بعضهما؟! وعلى فرض أنّك استطعت من خلال تلقين أحد الطرفين أن تجعله يفهم، فماذا ستفعل مع الطرف الآخر؟

ومن ناحيةٍ أخرى ما زلنا لا نفهم فوائد الاختلاط وتبادل الأحاديث بين الجنسين!

فما هو الخطأ في ممارسة المرأة للرياضة والتنزّه في الحدائق وأماكن التفرج في بيئةٍ خاصّةٍ بهم، ويكون للرجال مساحة خاصّة بهم يُمارسون فيها الرياضة والتنزّه أيضاً؟ هل تستقع السماء على الأرض؟! أم تستهب الأعاصير وتمأل الهواء؟!

وما هو الإشكال في حصر محيط الإدارات والمستشفيات والجامعات والمصارف والمؤسسات بجنسٍ واحدٍ من الجنسين؟ فيقوم كلّ من الجنسين بالعمل والنقاش والبحث والتفكير والحديث مع شخصٍ من جنسه، وليس لهم أيّ علاقةٍ بالجنس الآخر، ثمّ يعود كلّ واحدٍ منهم إلى منزله وموأواه بعد الانتهاء من عملهم؟ فما هي الفائدة التي لا يُمكن تحقيقها إلّا من خلال التواصل والاختلاط بين الرجال والنساء في مكان العمل وخارج مكان العمل وفي الشوارع والمتنزهات والمركبات

وودور السينما، وما إلى ذلك، وإلّا سوف يتم تجاهل الملك والأمة يضمحلّان؟!

النفس نفسُ، ولا تعرف الثقافة، وإنّما تُوجّهه الثقافة وتفسرها طبقًا لميولها ورغباتها وتطلعاتها؛ ألم يكن جميع هؤلاء الناس من ذوي الثقافة والمتعلّمين والمشاهير، سواءً في هذا البلد أم في باقي البلدان والدول، بحيث وصلت أخبار انحرافهم وعدوانهم إلى خواجة شيراز أيضًا [هذا نوعٌ المثل الدارج في اللغة الفارسيّة في حال انتشر خبرٌ بين الناس عن تصرّفٍ قبيحٍ من شخص، فإنّهم يقولون: لم يبقَ أحدٌ لم يعرف بخبر فلان إلّا خواجة شيراز، بسبب بعد مدينة شيراز وكناية عن أنّ الجميع اطلعوا على الواقعة، وهذا سماحة السيّد يريد أن يقول: حتّى خواجة شيراز علم بما يحصل من فظائع في الدول الغربيّة!! [م]]، فهل هم جهلاء وليس لديهم اطلاع على ما يجري؟!

وأمّا المسألة الأخرى التي تمّت الإشارة إليها في هذه الفقرات فهي عدم مشاورة النساء، وهو الأمر الذي يُمكن ملاحظة نظائره في غير هذه الجمل.

يمكن تحصيل سرّ هذا الأمر من بين سطور المسائل المذكور أعلاه؛ وهو غلبة الحالة الإحساسيّة والعاطفيّة للمرأة مقارنةً بالرجل؛ وبطبيعة الحال، يُمكن أن نجد هذا الحُكم مصداقًا له في المواطن التي تتعلّق إلى حدٍ ما بالمسائل الإحساسيّة، مثل: التجارة والحرب والجهاد والأمور الصعبة والمشكلة التي تطرأ للإنسان طوال حياته، وتتطلّب مزيدًا من القدرة على التفكير والتعقّل؛ وحيث إنَّ روح المرأة ونفسها اللطيفة إنّما خُلقت للتعامل مع الأمور اللطيفة والظريفة، لذا فهي لا تستطيع أن تتّخذ القرارات المناسبة وكما ينبغي عند مواجهتها لهذه الأحداث، أو قد تنزلق في الخطأ والاشتباه أسرع بسبب وسوسات الأفراد. وكما رأينا في حرب الجمل كيف خدع طلحة وزبير عائشة زوجة رسول الله وغرّباها وشجّعاها على القتال وعلى محاربة عليٍّ المرتضى عليه السلام.

وبالتالي يُمكن الادعاء على وجه اليقين والجزم أنّ الروايات والأحكام التي صدرت في مثل هذه الحالات

من علماء الدين ليست عامّةً وتنحصر ببعض المواطن الخاصّة فقط.

ونُشاهد نظير هذا الأمر في الروايات التي ذكرت أنّ مخالفة العامّة هي أحد وجوه الرشد وتشخيص الصواب وأنّ سبيل الرشد والصلاح يكون في مخالفة فقه أهل السنّة والفتوى الغالبة لدى أهل السنّة؛ لأنّ مبنى فقه العامّة قائمة على معارضة الفتاوى الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام؛ وذلك كما نقل صراحةً عن أبي حنيفة، وهذه المسألة هي حيث تحتمل المخالفة مع فقه العامة، وليس في كلّ موطنٍ وفي كلّ حكمٍ. ولذا نرى أنّ العديد من أعاظم الفقهاء كانوا يلقون نظرةً على فقه العامّة ومصادر رواياتهم قبل إصدار الفتاوى والأحكام، بل وفي بعض الحالات رجّحوا حكمهم وفتاواهم على الحكم المتعارف والوارد من ناحية فقهاء الشيعة.

وبالتالي لا يُمكن تبرير مجرّد المخالفة للعامة في كافّة الأمور وكافة الأحكام؛ بل ذلك يكون ميسر في هذا

القانون في الموطن التالية: **أولاً:** حين يكون هذا كتنافي

بين فتوى العامة وفتوى الشيعة. **ثانياً:** حين تكون هذه

المنافاة ناشئة عن أصول التشيّع المسلّمة وتتعارض مع

روح الفقه الشيعي.

وعلى هذا الأساس يتّضح معنى كلام الإمام عليه السلام الذي يقول فيه: «شاوِروهُنَّ وخالِفوهُنَّ»[1]؛ لأنّه أوّلاً: هذه المسألة إنّما تتحقّق عندما لا يصل الفكر إلى نتيجةٍ بعد استشارة الأفراد ممن لهم صلاحيّة الإشارة ومع ذلك يبقى الإنسان في الشكّ والحيرة بين الإقدام على العمل وبين الامتناع عن ذلك.

وثانياً: في الموطن التي تكون فيها آراء النساء وأفكارهن مختلفةً عادةً عن آراء الرجال وأفكارهم؛ وذلك بسبب هيمنة مشاعر المرأة وطريقة نظرتها إلى تلك الأمور. وبهذا المفهوم يُمكن تفسير نقصان العقل؛ لأنَّ ما يسبب النفور والخروج عن مسير الصواب والطريق القويم ليس العقل النظري والتعامل مع النظريّات؛ بل هو العقل العملي وقوّة خلق فعل الإنسان في الخارج؛ يعني: قد يُقرّ الإنسان ويذعن بحسن العدل وقبح الظلم مثلاً؛ ولكن في مقام العمل لا يستطيع أن ينُفّذ هذه القاعدة التي أذعن بها كما ينبغي.

---

[1]. عوالي اللآلي، ج ١، ص ٢٨٩.

وبالطبع يجب الاعتراف بأنه لا ينبغي أن نتصوّر في أيّ وقتٍ من الأوقات بأنّ الرجال لا يقعون في الخطأ بتاتاً؛ بل على العكس من ذلك سوف يُواجهون هذا الامتحان وهذه التجربة أكثر من النساء، ولكن المسألة المهمّة هنا هي أنّ خطأ الرجال في هذه المواطن ناجمٌ عن المعرفة والاطّلاع والعلم والشعور، وإذا أراد الشخص الخروج عن الطريق القويم وأن يسلك سبيل الانحراف والهلاك، فسيكون ذلك راجعاً إلى العناد وعن سابق إصرارٍ وتصوّر؛ وهذه المسألة مشهودةٌ ومملوسةٌ بوضوحٍ في القضاء والمحاكمات عبر التاريخ؛ لكن التزلزل أو تعبير القرآن الضلال لدى النساء قد يكون لا إراديّاً وبسبب سيطرة الإحساس ودخول التخيّلات والتوهّمات وليس بسبب العناد والاستكبار. ولهذا السبب، تعتبر شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجلٍ واحدٍ

وهذا نختتم حديثنا كما بدأناه بتوضيح صفات الإمام عليه السلام، ولا نسمح لأنفسنا بالتجرّؤ والتجاسر أكثر من ذلك أمام محضر العصمة المطلقة؛ ونلتمس بعجز من ولاة الأمر التوفيق والسداد والصلاح والفلاح لجميع المؤمنين والمسلمين في مسيرتهم القويمة.

مداح خورشيد، مدّاح خود است * كه دوشم**

سلام و دامرمد است[1]

[يقول: إن مدّاح الشمس في الواقع يمدح نفسه، وكأنّه يقول: إنّ عينيّ مفتوحتان وسالمتان، غير مُرمدتين].

والسلام علينا وعلى جميع عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته

قم المقدّسة، ليلة الأحد التاسع والعشرين من ربيع الثاني من سنة ١٤٣٢ هجريّة قمريّة

الآثم السيّد محمّد محسن الحسيني الطهراني

---

[1]. **المؤلف، الدفتر الخامس، القسم الثاني.**

القرآن الكريم: المدينة المنوّرة (خط عثمان طه).

نهج البلاغة: شرح الشيخ محمّد عبده، ٤ مجلّدات، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

إحياء العلوم: أبو حامد الغزالي، توفي: ٥٠٥ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٨ ج.

أسرار الملكوت: آية الله الحاجّ السيّد محمّد محسن الحسيني الطهراني، دار الحجّة البيضاء ومكتب وحي، ١٤٢٦ هـ.

الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة: السيّد رضيّ الدين عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس، المحقّق: جواد القيومي الأصفهاني، ٣ ج، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام.

أقرب الموارد في فصح العربيّة والشوارد: سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ إيران، ١٤٠٣ هـ.

إلهي ناموس: فريد الدين العطار النيشابوري.

الأمالي (الشيخ الصدوق): أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، انتشارات كتابخانه اسلاميه، طبع چهارم، ١٣٦٢ ه.ش، مجلّدٌ واحدٌ.

أمثال وحكم: دهخدا.

أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري، توفي: ٢٧٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، طبعة ١٣٩٤ هـ.

انسان موجود ناشناخته: الكسيس كارل.

بحار الأنوار: العلاّمة الشيخ محمّد باقر المجلسي، طبع دار الكتب الإسلاميّة (مرتضى آخوندي) طهران ١١٠ ج وطبع الوفاء بيروت.

البلد الأمين: الشيخ إبراهيم الكفعمي، مكتبة الصدوق، طبعة حجريّة، طهران.

تحف العقول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، القرن الرابع الهجري، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

تهذيب الأحكام: أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي) التحقيق: السيّد حسن الخرسان، تصحيح الشيخ محمّد الآخوندي، ١٠ مجلّدات، دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ هـ.

توحيد علمی و عينی در مكاتيب حكمی و عرفانی: حضرت علّامه آية الله العظمی حاج سيّد محمّد حسين حسينی طهرانی، انتشارات حكمت، چاپ اول، ١٤١٠ ه.ق.

ديوان اشعار سنايي.

ديوان اشعار شوريده شيرازي.

ديوان اشعار صائب تبريزي.

ديوان خمسه نظامي گنجوی.

ديوان خواجه حافظ: مولانا شمس الدّين محمّد حافظ الشيرازي، با تصحيح واهتمام حسين پژمان، نشر: كتابفروشی فروغی.

رباعيات حكيم عمر خيام.

عدّة الداعي ونجاح الساعي: أحمد بن محمّد بن فهد الحلّي الأسدي، صحّحه وعلّق عليه: أحمد الموحدي القمّي، كتابفروشي وجداني، قم.

عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: محمّد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور، قدّم له آية الله السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق الشيخ الحاج آقا مجتبى العراقي، مطبعة سيّد الشّهداء قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ ه. ق.

غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد بن محمّد التميمي الآمدي، توفي: ٥٥٠ هـ، انتشارات دفتر تبليغات قم، سنة ١٣٦٦ ش.

الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ابن صبّاغ، توفي: ٨٥٥ هـ، دار الحديث للطباعة والنشر.

الكافي: أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفّاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ، ٨ مجلّدات.

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة عليهم السلام: ابن أبي الفتح الأربلي، توفي: ٦٩٣هـ، الناشر: دار الأضواء - بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ.

گلستان سعدي: الشيخ شرف الدين مصلح بن عبد الله السعدي الشيرازي.

گلشن راز: الشيخ محمود الشبستري، الناشر: كتابخانه طهوري، طهران، طبع اول ١٣٦١ ش.

مثنوي شير وشكر: الشيخ البهائي.

مثنوي معنوي: مولانا جلال الدين محمّد بن محمّد بن الحسين البلخي الرومي، به خط ميرخاني.

المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء: محمّد بن المرتضى الملقب بالمولى محسن الكاشاني، صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفّاري، طبع دفتر انتشارات اسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

المرأة في ظلّ الإسلام: مرتضى نور الدين فضل الله.

مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي،

الناشر:مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة ١٤١٩ هـ.

مسند أحمد: احمد بن حنبل، ٦ ج، دار صادر - بيروت، لبنان.

مطلع انوار: (دوره مهذّب و محقّق کتوبا تخطی، مُراسلات و مواعظ) علّامه آیة الله حاج سیّد محمّد حسین حسینی طهرانی، مقدمه و تعلیقات: آیة الله حاج سیّد محمّد محسن حسینی طهرانی، ١٤ ج، انتشارات مکتب وحی، چاپ اوّل ١٤٣١.

معرفة الله: سماحة العلّامة آیة الله العظمی الحاجّ السیّد محمّد الحسین الحسینی الطهرانی، ٣ أجزاء، الناشر: دار المحجّة البیضاء، ١٤٢٠ هـ، الطبعة الأولی.

معرفة الإمام: سماحة العلّامة آیة الله العظمی الحاجّ السیّد محمّد الحسین الحسینی الطهرانی، ١٨ جزء، الناشر: دار المحجّة البیضاء، ١٤١٦ هـ، الطبعة الأولی.

مكارم الأخلاق: الطبرسي، ١ ج، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة ١٣٩٢ هـ.

من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، الطبعة الثانية.

منهاج: خواجه عبد الله أنصاري.

نظام حقوق زن در اسلام: الشهيد آية الله مرتضى مطهّري، انتشارات صدرا.

نور ملكوت القرآن: العلّامة آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهراني، تعريب: حسن إبراهيم، دار المحجّة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠.

هفت اورنگ: جامي.

وسائل الشيعة: الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ.

***